مكتبة
مؤمن قريش

أغرب حكايات النهب الفكري المعاصر

انتحالات الأدعياء

"جمعية التجديد الثقافية أنموذجًا"

فرقان الوائلي

المؤسسة الثقافية
٢٠٠٧

أغرب حكايات التراث الفكري المعاصر

انتحارات الأدعياء

"جمعية التجديد الثقافية أنموذجا"

فرقان الوائلي

الرابطة القصصية
٢٠٠٧

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م

توطئةٌ أولى

من ينظر إلى التاريخ، وبالأخص الإسلامي منه، يلاحظ ظاهرةً مستديمةَ التكرار هي ظاهرة انتحال الباطل لمقولات الحقِّ، والتي تجدها شاخصةً منذ بدء الرسالة الإسلامية المباركة، وتراها مُمَثَّلةً في من هم مثل مسيلمة الكذاب والمتنبئة سجاح اللذين وقعت من أثر انتحالهما حروبٌ داميةٌ، ضحاياها بالألوف.

وتستمرُّ هذا الظاهرة بعدئذٍ في أشكالٍ وصورٍ شتى، أبرزها انتحال الخلافة تحت ذرائعٍ لا تقوى أمام الحجة الإلهية الواضحة في (عشرات النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية) التي تمَّ التصرُّفُ بها جميعاً من قبل الكارتل المعادي للرسالة السماوية، وبالشكل الذي بدأ يتكشَّفُ بوضوحٍ أمام منطق التاريخ بكلِّ أدواته المعرفية في زماننا هذا. ومن بين هذه الذرائع: الشورى، أو القرابة، أو منطق (نحن مع من غلب).

وقد جرى التنظير لهذا الانتحال منذ أيام الخلافة الأولى، واستمرَّ لما بعدها في الحقبتين الأموية والعباسية اللتين تعدَّت الانتحالاتُ في غضونهما الصعيدَ السياسي إلى الصعيد الفكري العام بما فيه العقائدي والأدبي وعلى نطاقٍ واسعٍ أفضى إلى غموضٍ وتشويشٍ لمجمل الوقائع التي جرت في صدر الإسلام وما يليه. وكان للساسة المنتحلين من خلفاء جبابرةٍ وبطانة حاكمةٍ تعضدهما حاشيةٌ فكريةٌ منتفعةٌ الدور الأكبر في هذا الأمر الذي انتهت عاقبتُهُ الى تشرذمِ المسلمين إلى فرقٍ وأحزابٍ متخاصمةٍ ومتحاربةٍ، ولا زالت هي كذلك من بعد مضي أكثر من ألفٍ وأربعمائة عامٍ.

وبنظرةٍ خاطفةٍ إلى وقائع التاريخ لدى (الشيعة) تحديداً فإننا نجد أن الانتحال قد **وجد طريقه أيضاً بخصوص الإمامةِ. فهناك من انتحلها لآخرين من الذرية النبوية** دون آخرين، ولكن بشكلٍ لم يؤثِّر على ثبات مسيرتها التي انتهت أزمتها بيد الأمام الثاني عشر المهدي المنتظر (ع).

غير أنه ما إن تمّت الغيبة حتى تراكمَ الانتحال للنيابة والسفارة بعضه على بعضٍ، وفضح بعضه البعض الآخر إلى أن استقرّت الحقيقة على أربعة نوابٍ انتهت الغيبة الصغرى مع وفاة آخرهم لتبدأ الغيبة الكبرى التي شهدت من الانتحالات ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى.

وفي عصرنا الحالي فلا زلنا نشهد كشكولاً من الانتحال الواسع النطاق للسفارة والنيابة عن الأمام عليه السلام، والذي يجري في مجتمعاتنا ليكون علامةً دالّةً على مدى الانحدار اللا أخلاقي الذي ضاعت خلاله المعايير واستغُلّت فيه نواتج الخلافات الأولى الناجمة عن الانتحال الأول للخلافة خدمةً لمصالح دولٍ وممالك أخرى تسلّطت على مقدرات هذه الأمة. وكان أساس هذا الاستغلال هو في جعل المقولات الصادقة والكاذبة في خانةٍ واحدةٍ من التقييم دون محاولة الفرز بينهما، أي المدّ في سياسة التجهيل لدى البنية الفكرية المسلمة، وجعلها غير قادرة على التمييز وذلك في إطارٍ ثقافيٍ مخطّطٍ له كي يحول دون وعي المسلمين بحقيقة ما هم عليه. وكانت ميزة هذا الاطار هي في توظيف مقولات الحقّ لخدمة مناكير الباطل بحيثُ يصبح الباطل متلبساً بالحقّ حتى لكأنه الحقّ.

فلك أن تنظر إلى المشهد العراقي الغرائبي كنموذجٍ لتحصي عشرات بل مئات المنتحلين. وبعضهم قد ضمن لنفسه مساحةً في ضمائر الناس بحيثُ أن له القدرة على تحريك الأوضاع وفق ما يشاء. ولا زال الوضع يتطوّر هناك بصورةٍ لمّا تتضح نتائجها على المدى البعيد.. فالتفاعل بين الأخلاط مستمرٌ.

ونحن في كتابنا هذا نتطرّقُ بشكلٍ خاصٍ ومركّزٍ إلى ما ينتحله الادّعاء لدى جماعةٍ محدّدةٍ، ولكن لا في العراق، بل في وسطٍ شيعيٍ آخرٍ هو الوسط البحريني.

وإذ نقتصرُ على ذلك فبدافعٍ يتعلّقُ بنا نحن الذين انضوينا تحت لواء الفكر القصدي الذي يحاول جاهداً الإمساك بالحقيقة الضائعة بين ركام الاعتباط النفعي الذي هو السبب الأول لكلّ هذه المصائب.

والدافعُ الذي حدانا للتصدّي لهذه الجماعة تحديداً هو أنها لم تكتفِ بانتحال الفكرُ القصدي، وسرقة القواعد القصدية بطريقةٍ خلت من الحياء وحسب، بل إنّ ما

أثارنا أكثر هو أن يُستخدَم هذا الانتحال بعد الإضافات العديدة ذات الرونق الـذي لا يخلو من الحقّ من أجلِ أغراضٍ بعيدةٍ عن أهداف القصدية التي هي نفسها أهـداف الإسلام الأصيل. فالقصديةُ همُّها الدعوةُ إلى خُلُقِ أهلِ البيت عليهم السلام انطلاقـاً من إيماننا أنهم هم أهل القصد، وأنهم هم المنار، وأنهم هم الإسلام. بينما تبيّنَ لنا أنَّ أول أغراض المنتحلين هي في دعم مدَّعيات تشكُّلٍ جماعيٍّ يدعو لتجديـد ديـن الله بعيداً عن هدى أهل العصمة (ع) إتكاءً على ما تمَّ انتحالـه مـن القـصدية أسـساً وتطبيقاً، وذلك بعد أن أدَّعو السفارة للإمام المهدي عليه السلام فـي بدايـة تأسُّـس تجمّعهم من خلال الأحلام. فالقصدية عند هؤلاء مجرَّد وسيلة لتثبيت هذه المدَّعيات في ضمائر الناس بهدف استلاب وعيها لغاياتٍ لا نشكُّ في أنها بالضدِّ مـن الـدين نفسه، وإن كان الهدف المعلن لهذا التشكّل الجماعي التجديدي هو الحفاظ على أصالة الدّين.

أقول: من المثير تقمّص القصدية لإثباتِ مدعىً يستترُ بـه الأدعيـاءُ أهـدافاً وغاياتٍ خفيةً لا يمكن السكوت عنها.

وعلى ذلك فحالما علمنا بالذي جرى ويجري الآن في البحرين مـن انتحـال فاضحٍ للقصدية عبر مؤلفاتٍ كثيرةٍ وزُعت على نطاقٍ واسعٍ من وراء الكواليس[1]، فقد أخذنا على عاتقنا مسؤولية وضع النقاط على الحروف في سبيل الدفاع عن الفكر القصدي من خلال فضح العمل الانتحالي للأدعياء المعاصرين كي تتمَّ الحجَّةُ علـى كلِّ من وقع بيده بحثنا هذا من أجل أن ينفض عن نفسه ما تـأثَّر بـه مـن ظـاهر هؤلاء.. فأثر السجود هو أول ما ينتحلُ الشيطان!

أيها القاريء الكريم.. قد تراني قاسياً في ما قلته وما سأقوله. وعذري في ذلك أنَّ الباديء أظلمُ، فحيث أننا وصمنا جمعية التجديد الثقافية بانتحال وسرقة القـصدية عبر مقالٍ مهنيٍّ لنا نُشرَ في أحد جرائد البحرين، فإنَّ جهابذة هذه الجمعية لم يتوانوا

---

[1] قامت جمعية التجديد بطباعة مؤلفاتها المنتحلة دون تسجيلها في الدوائر الرسمية المختصة، ووزعتها على أوسع نطاق عبر مريديها. وحسبك أن المكتبات في البحرين تخلو منها تماماً لغاية طباعة كتابنا هذا.

عن الردَّ بأسلوبٍ فوقيٍّ مليءٍ بالعبارات التي تفصحُ عن حقيقة خُلُقِ صاحبها، الأمر الذي شكَّلَ دليلاً مضافاً على أحقِّية موقفنا منهم. وستجد في آخر الكتاب ردَّهم هذا. والله عزَّ وجلَّ من وراء القصد.

فرقان الوائلي

المقـدّمـــة

منذُ منتصف التسعينات من القرن الماضي أظهرت القصدية تنظيراتهـا ومـا تلاها من تطبيقاتٍ على رويّةٍ وهونٍ· فكان يراها الأماثلُ فالأماثلُ من القـرّاء بمـن فيهم أهل الاختصاص في المجالات كافةً· حتى إذا مرّت بضع سنين رأيتَهـا وقـد طبّقت الخافقين وأصبحت مثارَ جدلٍ واسع النطاق في الوسط الفكري في العـراق، وفي بلدانٍ أخرى، وخاصّةً بعد وفاة المفكّر عالم سبيط النيلي رحمه الله الذي تـرك مؤلفاتٍ ندر أن يكون لها مثيلٌ في أثرها وتأثيرها·

ولكنها كانت مؤلفات وحسب، فلم ترافقها ادّعاءات، ولم تصحبها انتحـالات، ولم يكن القصد منها مجرّد الإثارات· وإنّما كانت قوّتها فيها، في صدقها، في عمـق مضمونها ممّا يعرفه كلُّ من أنصف الحكم وخلا من مغبة الهوى والانتماء لـسوى الصدق· وإذا كان هناك من التزم المباني القصدية من الضمائر الحيـة المعروفـة بخُلُقِها ودوام خيرها بين الناس، فملم نجد منهم من أدعى امتلاك زمامها وقام بنـشر ذلك عبر الآفاق في مشروع سراتي أو غير سراتي!

ولكني أقول: لولا أنه التواضع والحياء مخافة الرجاء مـن غيـر الله لكـان للقصدية أن تنهض من خلال كرامة الله على كثيرٍ من أفاضلها· ولكنها لا تجعل من تلك الكرامات معارضَ للدعايةِ لها أو الترويج لمقاصدها· إنما بدلاً من ذلك تجـدها في شكرٍ دائمٍ لله تعالى على ما حباها من نعمٍ لا تحصى، ومنها ثباتها في المواجهات العلنية أمام الآخر بكلِّ ما تملكه من قوّة في الطرح واستقامةٍ للدليل· ولك أن تـرى هذا الشكر في سيما الصدق لكلِّ الباحثين الشرفاء عن الحقِّ مجرداً·· وهـؤلاء هـم القصديين ولو وجدت قسماً منهم تحت عنوان الاعتباط·

وبالمقابل، فتعال أخي القاريء وانظر·· كم مِنْ من يدعي أنه النبأ العظيم بين ظهراني هذه الأمة؟·· تعال وانظر كم من مهديٍّ موعودٍ ينعقُ هنا وهناك؟!·· كم من حسنيٍّ مزعومٍ؟، وكم من قحطانيّ، وكم من يماني؟!!··

ثمَّ تعال وانظر.. كم من باب؟، وكم من مدّعٍ للسفارة عن مولانا الأمام الحجة المظلوم؟

ثمَّ تعال وانظر.. كم من مدّعٍ للولاية والمرجعية والأعلمية عن غير استحقاقٍ؟

ثمَّ تعال وانظر.. كم من حمقى خلف حمقى من الاتباع المغترّين؟!!

وكم من ضحايا؟!

نعم.. انظر إلينا في العراق الغارق في فتنةٍ لا مثيل لها. ثم ليكن منك أسفٌ يطيح بك خجلاً من أمّةٍ شقيةٍ ضاعت منها المعايير وكان همّها علفها..

ألوفٌ من التائهين من مسلمي آخر الزمان تجدهم في خضم الصراع مع العوالم الغريبة التي تفوّقت على عوالمهم العجيبة.. ويريدون هدىً؟!.. ألوفٌ من الضحايا تنادي أخلافها عبر الآفاق المطبقة للمقابر الممتدة أن عودوا القهقرى إلى غير مسير.. فالنهاية سعير!

ولكن من ذا الذي يرتدع دون زيف السراب؟.. مَنْ سوى حكمةٍ متواريةٍ تقوم على استحياءٍ وعمرها الأذى!.. ألا قتالاً لها.. ألا تباً!

حكمةٌ متواريةٌ يحملُ شعاعها أفرادٌ منزوون ينتظرون الفرصة ليرفعوا شعاراً معاكساً عسى أن يتغيّر المسيرُ.. فالمصير!

وإنّما هم القصديون حقاً.. أولئك الذين إن حضروا لم يعرفوا!

[أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ وأَبِي بَصِيرٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ عِنْدَنَا وَاللَّهِ سِرّاً مِنْ سِرِّ اللَّهِ وعِلْماً مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَاللَّهِ مَا كَلَّفَ اللَّهُ ذَلِكَ أَحَداً غَيْرَنَا وَلَا اسْتَعْبَدَ بِذَلِكَ أَحَداً غَيْرَنَا وإِنَّ عِنْدَنَا سِرّاً مِنْ سِرِّ اللَّهِ وعِلْماً مِنْ عِلْمِ اللَّهِ أَمَرَنَا اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ فَبَلَّغْنَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ما أَمرنا بِتَبْلِيغِهِ فَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَوْضِعاً ولَا أَهْلًا ولَا حَمَّالَةً يَحْتَمِلُونَهُ حَتَّى خَلَقَ اللَّهُ لِذَلِكَ أَقْوَاماً خَلَقُوا مِنْ طِينَةٍ خُلِقَ مِنْهَا مُحَمَّدٌ وآلُهُ وذُرِّيَّتُهُ ع ومِنْ نُورٍ خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ مُحَمَّداً وذُرِّيَّتَهُ وصَنَعَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الَّتِي صَنَعَ مِنْهَا مُحَمَّداً وذُرِّيَّتَهُ فَبَلَّغْنَا عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَنَا بِتَبْلِيغِهِ فَقَبِلُوهُ واحْتَمَلُوا ذَلِكَ فَبَلَغَهُمْ ذَلِكَ عَنَّا فَقَبِلُوهُ واحْتَمَلُوهُ وبَلَغَهُمْ ذِكْرُنَا فَمَالَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِنَا وحَدِيثِنَا

فَلَوْ لَا أَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ هَذَا لَمَا كَانُوا كَذَلِكَ لَا وَاللَّهِ مَا احْتَمَلُوهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَقْوَاماً لِجَهَنَّمَ وَالنَّارِ فَأَمَرَنَا أَنْ نُبَلِّغَهُمْ كَمَا بَلَّغْنَاهُمْ وَاشْمَأَزُّوا مِنْ ذَلِكَ وَنَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ وَرَدُّوهُ عَلَيْنَا وَلَمْ يَحْتَمِلُوهُ وَكَذَّبُوا بِهِ وَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَنْسَاهُمْ ذَلِكَ ثُمَّ أَطْلَقَ اللَّهُ لِسَانَهُمْ بِبَعْضِ الْحَقِّ فَهُمْ يَنْطِقُونَ بِهِ وَقُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ لِيَكُونَ ذَلِكَ دَفْعاً عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا عُبِدَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ فَأَمَرَنَا بِالْكَفِّ عَنْهُمْ وَالسَّتْرِ وَالْكِتْمَانِ فَاكْتُمُوا عَمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَاسْتُرُوا عَمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالسَّتْرِ وَالْكِتْمَانِ عَنْهُ قَالَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ وَبَكَى وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ فَاجْعَلْ مَحْيَايَا مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتَنَا مَمَاتَهُمْ وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً لَكَ فَتَفْجَعَنَا بِهِمْ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْجَعْتَنَا بِهِمْ لَمْ تُعْبَدْ أَبَداً فِي أَرْضِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً]

أخي القاريء الكريم:

أعد قراءة هذا الحديث الشريف.. ألا دعك من كتابنا. أعد قرائته لا لمرّةٍ ولا لمرتين، بل لعشرٍ حتى لو فهمت!.. فإن لم تفهم فتعال معي وأخبرني:

هل ثمَّ من شخَّصَ لنا هؤلاء الشرذمة القليلين الذين لولا حفظ الله ما كان عُبِدَ اللهُ في أرضه؟.

هل ترى في الأكابر والأصاغر من تواضع ولو دون تواضع هؤلاء فَكُنْتَ وَسَتَرَ.. قَبِلَ واحتَمَلَ ومالَ قلبه إلى حملة سرّ الله؟. هل يرى قلبُكَ أحداً منهم خُلِقَ من طينة آل محمّدٍ؟!!

أتعرف معنى أن يميل قلبك إلى من تحبّ؟.. بل أتعرف الحبّ؟

إن كنت تعرفُ.. فلا أظنّك إلاّ هاتفاً معي:

إنّهم قليلون أيّها السادة.. شرذمةٌ قليلون!

فمن أين لمئات الأدعياء الحجّةُ حتى تفوق كراماتهم كرامة هؤلاء الشرذمة القليلين؟!

في البحرين.. حيثُ الشيعةِ العامرةِ بحبٍّ غامرٍ لأولياء الله المعصومين عليهم السلام كإخوانهم الذين في العراق.. هناك كما هنا فتنةٌ تستعرُّ برمادها الذي يخفي تحته بركاناً سيطيح بالجميع إن لم تع القلوب وتفهم العقول وتخفّ الغلواء.. فتنةٌ هي

من وحي الادّعاء الذي نوّهنا عن نماذجه قبل قليل.. وأسمت نفسها (جماعة الأمـــر) وأسمتها الناس (جماعة السفارة)!.

ولستُ أريد أن أتحدّث عنها، أو أفصّل في تاريخها، وإن كـــان فـــي جعبتـــي الكثير الكثير.. فهذا ممّا لا يهمني في شيء أبداً.

إني هنا لأتحدّثَ عن فضيحةٍ ندر مثيلها تنمُّ عن الـــدرك الـــذي يـــصل إليـــه الأدعياء حين الانتحال.. فضيحةٍ مؤلمةٍ لا أجد مناصاً من التنويه عنها على رؤوس الأشهاد. وما ذلك إلاّ لأنها ظاهرةٌ بوضوحٍ كالشمس في رائعة النهار. وســـترون أن اللصَّ يبقى لصّاً وإن كان له من البلاغة القدح المعلى.. ألا وإنَّ ديدن الطغاة في حلو اللسان وفساد الجنان.. فأذكّركم بالطاغية الحجّاج وعمّه ابن آكلة الأكباد وولي نعمته ابن الوزغ بن الوزغ عبد الملك بن مروان.. وأذكّركم بطغاة العرب وغير العـــرب ممَّن تعالت خطبُهم بفصيح القول وبليغ الكلام وهم من هم في الشراسة والطغيان.

أما وأنوّه لكم عن فساد الجنان لقادةِ ملّةٍ لا أبلغ من لسانهم، ولا أعجـــب مـــن كيدهم، ولا أمثلَ من نطقهم!

هؤلاء.. قد تجرّئوا وانتحلوا مؤلفات القـــصدية انتحـــالاً.. ولا مغـــزى لهـــذا الانتحال ولا هدف سوى أن يقولوا: (هاكم الحقيقة خذوها منّا نقيةً ومدهـــشةً لكـــن عليكم بالمقابل أن تصدّقوا أنها من مكارم "أمرٍ مقدّسٍ" أعطانا من فضله، وحبانا من فاضل نعمته)!.. ثمَّ ليغترّ بهم من يغتر، ولترفع المخدرات من بعدهم كلَّ ستر!. وألاَّ فأي مغزى آخر يبرّر لهم هذا الانتحال الذي خلا من أدنى إشـــارةٍ إلـــى القـــصدية العامرة التي طبقّت الخافقين؟!!

قبل مدّةٍ جاءني نداءٌ خَيّرٌ يقول لي: إنِ اذهب أيها القصدي وافتح كـــذا موقـــعٍ على الانترنت ثمَّ انظر لترى. وقد عيّنَ الموقعَ الذي ما إن فتحته حتى تحمَّستُ لمـــا فيه من مباحثَ كانت قريبةً من القصدية، بل بدت لي ابتداءً وبالقراءة العجلى كأنهـــا القصدية شاخصةً، وحسبتُ أنها من وحي ما سبق وجاء به النيلي رحمـــه الله، فلـــم أترك صفحةً من هذا الموقع، ولا كتاباً أو مقالاً مدرجاً فيه إلاَّ وبحثتُ في ثناياه عن أثرٍ ما للنيلي ولو ضئيلٍ، حتى إذا يئستُ من هذا، علمتُ أنها القصديةُ منتحلةً، وفوق

هذا كما تأكَّد لاحقاً بعد البحث المعمَّق فقد ظهرَ أنها قصديةٌ مشوهةٌ لأغراضٍ مشبوهةٍ. والموقع المعني هو (موقع جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية):

www.tajdeed.org

وأما المباحث الموجودة فيه، فهذا قسمٌ منها:

1. مفاتح القرآن والعقل. وهو انتحالٌ معمَّقٌ لكتاب النظام القرآني ــ مقدمة في المنهج اللفظي للسيد عالم سبيط النيلي رحمه الله.
2. خلق آدم: انتحال لكتاب أصل الخلق وأمر السجود بين الأنا وبيان الولاية والتوحيد لنفس المؤلف.
3. قصة الطوفان: انتحالٌ مع التوسّع لكتاب (ملحمة جلجامش والنص القرآني) لنفس المؤلف.

فهناك وحدة موضوعية يمكن أن يشهدها الناقد بين مجمل الكتب التي في موقع جمعية التجديد وبين المباني القصدية التي عكسها المرحوم النيلي في مؤلفاته بغض النظر عن أسماء الكتب أو التطبيقات التي أفردت لها الجمعية المذكورة اسماً في كلٍّ كتابٍ. مثلاً من الواضح أن جمعية التجديد اعتمدت في كلِّ مؤلفاتها بدون استثناء على ما يلي:

أولاً: قصدية القرآن الكريم. وهي القصدية التي فصّلها كتاب النظام القرآني تفصيلاً وأبانها تبييناً.

ثانياً: قصدية اللغة. وهي القصدية التي ظهرت جليةً في كتاب اللغة الموحدة بجزئيه الصادرين بشكلٍ غير رسمي، أي عبر ثقافة الاستنساخ وعبر شبكة النت. وكذلك ظهرت في كتاب الحل القصدي للغة تطبيقاً وتفريعاً. ولك أن تجد في هذه الكتب الثلاثة النقود والنقائض الكاسحة الموجهة للاعتباط وأساليبه. وهي النقود والنقائض التي تقمَّصها التجديديون تقمصاً واضحاً جداً في إثاراتهم المفتعلة الموجهة لمدعيات المجاز الاعتباطي في كتابهم (مفاتح القرآن والعقل).

ثالثاً: قصدية التاريخ أو الأساطير· وهي القصدية التي تراها شاخصةً في كتاب ملحمة جلجامش والنص القرآني، وفي كتاب أصل الخلق وأمر السجود بين الأنا وبين الولاية والتوحيد· وأيضاً في بعض مباحث كتاب طور الاستخلاف·

ولا شك أن كل هذه المباحث لم تُعكَسْ بعمقها وبشموليتها لدى أي باحث بالطريقة التي عكسها المرحوم النيلي في مؤلفاته، بل أن جمعية التجديد لم تستطع بكلّ كادرها الفكري أن ترقى إلى مستوى القصدية كما هي لدى النيلي· ويمكن التدليل على ذلك بدون عناء بالرجوع إلى المباني التي أسَّسها في كتاباته ومقارنة ما جاء به هؤلاء إليها لتجد أن المسألة هي تنظيرٌ مختلسٌ، مفرقعٌ ومشوَّهٌ لا أكثر ولا أقلّ·

وحتى نجعل القاريء على بيِّنةٍ من أمر هذا الانتحال فقد خصَصنا هذا البحث لإظهار نماذجٍ عديدةٍ من الانتحالات المفضوحة لكتابٍ واحدٍ من الكتب التي أصدرتها جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية البحرينية هو (مفاتح القرآن والعقل)، والذي هو بمثابة المرجع التأسيسي لما وصفوه بمشروع السراة (العظيم)[1]، وقد تكرّر عرض هذا الكتاب في بعض مؤلفاتهم الأخرى بصفتها تستندُ عليه· فإذا تمَّ لنا هذا فليشهد القاريء العزيز بأمِّ عينيه أن ما قلناه وما سنقوله من قاسي الكلام هو حقٌ جليٌّ لا بدّ من إظهاره، لا إسدال الستار عليه·

ولكن قبل هذا فلا بدّ من التنويه الى أمرٍ غاية في الاهمية·· وهو هذا الذي يلي:

---

[1] هكذا وصفوه بشكلٍ متكرّرٍ في المقالات التي نشرتها جريدة الوطن البحرينية تحت عنوان (صفحات من بطون...)·

لماذا هذا الاسم (التجديد)؟

بل التجديد وظيفة مَنْ؟

لقد أطلق أصحاب مشروع السراة على جمعيتهم هذا الاسم (جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية)· وأردفوه في موقعهم على شبكة الانترنت وفي كافة إصداراتهم بعبارة (نحو منهاج اصلاحي جديد)· وعرّفوا أنفسهم كما جاء في اللمحة التعريفية المنشورة في موقعهم على شبكة الانترنيت على أنهم يريدون تمكين الأمة من منابع نهضتها ومكامن عزتها حيث قالوا:

[لا بدّ منْ تمكين الأمّة منْ منابعِ نهضتها ومكامنِ عزّتها بإطلاقِ العقلِ منْ نيْرِ الصّنم وصناعةِ الحكمةِ منْ مجْرى القلَم "أنْ يتعلّمَ الإنسانُ القرآنَ كما نزَل" ليبزغ منْ بعدِ الظّلامِ فجْرُ الحضارةِ الفاضلة. إنّ بين يديْ هذه الأمّة رسالة وأيّما رسالة. فيها أملُ البشرية جمعاء. إمّا أنْ تقرأها كما ينبغي لتقوم بإبلاغها كما ينبغي فيصفو العالمُ بالمحبّة والعدل والخير ومدارج الرقيّ، وتنجو سفينة هذا الكوكب الدرّي، وإمّا أن تدسّها بالجمود أو الجهل وراء ظهرها فتتقاطع الأفراد وتتراكب الأمم وتتعادى الدول ليغدو كوكبنا فاحماً وإنسانُنا حيواناً لاحماً.]

وجعلوا من الهدف اعلاه هتافاً وواجباً عليهم القيام به· بل اعتبروا ان سفينة الأمة فيهم·· حيث قالوا:

[ونوجز رحلة إبحارنا: أنّ سفينتَنا الأمّة (وهي إرث أنبياء الله. لا سيّما خاتمهم (ص)، فينا). وإطلاقُ شراعها العقلُ المتحرّر. وربّانها الإنسانُ الذي هو في قِرانٍ تامّ مع بوصلته القرآن. وأنْ يُحافظ على نظامها ويعيد قراءتها دوماً كلّما تغيّرت الظروف والأنواء. والقلمُ وسيلة التواصل بين أصحاب السفينة وهو آلة التعلّم والتعليم. أمّا مرفأ التزوّد الأوّل فتمكّن هذه الأمّة الوسط، والمرسى البعيد: بطيٌ العالم كلّه نحو ميناء السلام حيث يلوح فنارُ الحضارة الإنسانيّة الفاضلة.]

وهنا لا بدّ من وقفةٍ أو وقفات.. فالأمر خطيرٌ، وعلى الجميع الانتباه بشدّة الى مغزى هذا الكلام الذي يتعارض جملةً وتفصيلاً مع الثوابت المعلومة للوسط الإسلامي عامّةً، والإمامي منه خاصةً، إذ:

أولاً: كم من الدعوات التي نادت وتنادي بما يدعو اليه هؤلاء من إصلاحٍ وتجديدٍ؟.. لكنها كلها فشلت فشلاً ذريعاً على مدى قرنين من محاولات انهاض الأمة. وهي المحاولات التي قام بها مفكّرون كثيرون وكافحت من أجلها حركات وثورات من مختلف الاتجاهات. فهل يحسب هؤلاء أنهم لا بدَّ أن ينجحوا من خلال ما يزعمون لأنفسهم من أنهم أهل السراة الموعودون، ومن خلالِ مشروعٍ قائمٍ على أسسٍ قصديةٍ منتحلةٍ؟.. فلاحظ أخي العنوان الفرعي المؤشّر لهذا الزعم والذي تجده في غلاف مؤلفاتهم كافة وهو (عندما نطق السراة).

ثانياً: أفلو أطلق العقل من نير الصنم، أتكون له وحده القدرة على إنهاض الأمة؟. الكثيرُ من أبنائها ينادي بهذا الشعار من زمان طويلٍ، وقامت تحت لوائه فرقٌ ومذاهبٌ كثيرةٌ لم تنجح في (تمكين الأمة من منابع نهضتها ومكامن عزّتها). فهل الفارق هو في أنكم تنادون بهذا الشعار من أجل أن يكون هناك بديلاً آخر؟ ومن خلال وسيلةٍ أقوى ومنهجيةٍ أمضى. هي القصدية التي أدركت أن الأمة لا تنهض بالعقل وحده حتى ولو كان عقل هذه الأمة وغيرها مجتمعةً، والتي انتحلتموها انتحالاً!. ولقد أدركنا من بعد دراسة مشروعكم أنّكم تريدون إحلال عقلكم أنتم (أو بالأحرى عقل ربّانكم) محلَّ ربِّ العقل ومحلَّ من أمر الربُّ بطاعته وإتّباعه.

ثالثاً: كيف يسع الانسان ان يتعلم القرآن كما نزل؟.. أمن خلال مشروعٍ منتحلٍ؟!

رابعاً: من الذي يحدّد للأمة قراءة الرسالة كما ينبغي؟.. فكثيرون قاموا بقراءتها، وجعلوا من قراءتهم معياراً قابضاً لحقيقتها. ومع ذلك فما النتيجة؟.. تاريخٌ هزيلٌ وفكرٌ أشدُّ هزالاً. فهل تتوقعون أن قراءتكم لها عبر مشروع السراة سيأتي بما لم يأت به الأولون؟. معلومٌ أنّه لن يقرأ الرسالة الشريفة كما ينبغي سوى المرسل بها ومن ورثها عنه من أهل بيته.. فهل خوّلكم الله بهذا الدور الذي هو لهم عليهم السلام خالصاً؟!.

خامساً: منهاجكم الإصلاحي هذا ما موقعه عند الإمام المهدي (ع) الذي جعلتم بينه وبينكم رائداً أسميتموه (الأمر)؟· ذلك أنَّ الواقع الروائي يشهد بأنه عليه السلام سيقوم بأمرٍ جديدٍ وكتابٍ جديدٍ وسنَّةٍ جديدةٍ وقضاءٍ جديدٍ على العرب شديدٍ، وليس شأنه إلا القتل ولا يستبقي أحداً ولا تأخذه في الله لومة لائم!·· فهل علمتم من أين يأتي الجديد؟ ووظيفة من؟·· بلى والله فليست غريبة عليكم تلك الروايات التي بهذا المعنى·· وإذن فلستم تختلفون عن غيركم ممن حاول أو يحاول أن يدخل في دين الله ما ليس منه تحت شعار التجديد، أو تحت شعار تعدّد الوقائع المتجدِّدة· ومثل هؤلاء كمثلكم: فإذ تسعون جميعاً للتجديد في دين الله، فهذا يعني أنكم تأخذون مقام الإمام (ع) في أمرٍ هو المخوّل به دون غيره لا بعقله، بل بالوحي المستمر النازل من السماء للأنبياء والأوصياء! فما حاجتكم وحاجتنا إذن إليه بعدكم وبعد منهاجكم الإصلاحي؟!·· فهل أمركم هذا إلا كأمر السامريِّ إذ قبض قبضةً من أثر الرسول، ثم اشتهى أن يجعل منها سبيلاً لإغواء الناس والتلذّذ بالتحكّم بهم، وهكذا فقد أحلَّ نفسه محلّ هارون وموسى؟!

سادساً: قولكم: [وربّانها الإنسانُ الذي هو في قِرانٍ تامٍّ مع بوصلته القرآن، وأنْ يُحافظ على نظامها ويعيد قراءتها دوماً كلّما تغيّرت الظروف والأنواء،]

أنتم هنا تطالبون بالمستحيل!·· إذ ما من إنسانٍ قادرٍ على أن يكون في قِرانٍ تامٍ مع القرآن· واجب المسلم أن يتبع هذا القرآن قدر استطاعته وحسبما يتكشف له من تكاليف مقدورة له· أمّا إذا كنتم تقصدون بالانسان هنا من كان معصوماً، فالمعلوم أن الدين الحقّ ونظامه عند هذا المعصوم لا عند سواه، وبيده لا بيد سواه، وهو من يقرأه لا سواه، وما على غيره من واجبٍ إلاَّ اتّباعه وطاعته حين يقعد أو حين يقوم لا انتحال دوره واحتلال مكانه عبر اتصالٍ به مزعومٍ· غير أنني ما أحسبكم تقصدون به سوى صاحبكم (صاحب الأمر) المزعوم· فـ···· أهلاً!·

وشيءٌ آخرٌ: فالقرآن ما سمّى المعصوم (إنساناً) قط، بل سمّاه (بشراً)· وقد يظنُّ القاريءُ أنَّ هذا مجرَّد اختلاف لفظي بسيطٍ، لكنه سيعلم أن الأمر ليس كذلك إذا استمرَّ بقراءة مشروعكم واكتشف تفريقكم بين لفظي (البشر) و(الإنسان)· وحسب المنهج القصدي الأصيل لا المنتحل فإن (الانسان) مذمومٌ قرآنياً في أكثر الموارد

و(البشر) ممدوح دوماً في كلِّ الموارد، وهو ما فصّله النيلي في كتابه النظام وطور الاستخلاف وأشار إليه كثيراً في عموم كتبه. وهذه فقرة تبيّن ذلك:

[من جهة أخرى يثبت البحث المقارن بين الإنسان والبشر هذا الاختلاف، فالإنسان مذموم عموماً في القرآن والبشر ممدوح دوماً في القرآن. والمعنى ان الإنسان إذا بلغ مرحلة البشرية فهو ممدوح وإذا بقي في عقليته الأولى فهو انسان وهوَ مذموم. ولذلك أطلق القرآن لفظ (البشر) على الانبياء والرسل ومن هو بمقامهم فقط. بينما ذمَّ الإنسان:

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (ابراهيم: من الآية34)

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) (الحج: من الآية66)

بينما أطلق البشر على الأولياء:

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) (الكهف: من الآية110)

فكذلك ورد اللفظ مع الانبياء في (36) مورداً.]

غير أنّكم عكستم التطبيق بتأويلٍ مأخوذٍ من غيركم[1]، فسمّيتم المعصوم بما هو مذموم، إذ من أسفٍ أن يكون شأنكم جمعَ أخلاطٍ من هنا وهناك وجعلها تطبيقاً للقصدية وهي منه براء.. لكأنّكم تريدون التبرؤ من تهمة الانتحال بمخالفة بعض التطبيقات من طريقٍ غير سديدٍ عن سابق عمدٍ وتصميمٍ.. ولكن العقول اليوم ليست بغفلة عقول أيام زمان!.

[1] تأويل تحميدي مأخوذ من مباحث ذا عبد الصبور شاهين، وهذا التأويل يظهر في بقية حواشيه، وسمه (وعصى آدم.. الحقيقة بلا قناع).

النظام القرآني أم مفاتح القرآن؟

ننبّه القاريء الكريم إلى أنّ الأفكار، إذ تسرقُ فليس ضرورياً أن ترتّب وفق الأصل، بل غالباً ما توضع بنسقٍ وبترتيبٍ آخرٍ بهدف الايحاء إلى أن لا علاقة له بهذا الأصل، عسى أن يكون في ذلك إخفاءٌ للفكر المسروق· وقد لا يصحُّ استنتاج هذا على مستوى الفكرة والفكرتين، ولكن عندما تتداعى الأفكار المنتحلة على طول كتابٍ أو مقالٍ بحثيٍّ، فسيكون الانتحال جلياً حتى مع تعدد الأفكار الجديدة التي قد لا تكون واردة في الكتاب الأصل لأنّها لا تعدو أن تكون نوعاً من التطبيق أو الإضافة للأفكار الأصلية، أي أن الأفكار الجديدة نابتةٌ من الفكرة الأصلية حتى مع عدم تعرّض هذه الأخيرة لها·

وغالباً يأتي الجديد في الأمثلة التطبيقية والشواهد التي يجيء بها المنتحلون، وهذا لا يدلُّ إلاّ على توارٍ مكشوفٍ يحاول أن يقول: لو كنّا سرقنا وانتحلنا أكنّا نجيء بما لم يكن موجوداً أصلاً؟!!· ولكن الحق يقال أنهم لو كانوا جاءوا بكثرةٍ كاثرةٍ من الأمثلة التي عالجها الأصل مع تأويلٍ آخر لها مختلفٍ عن ذلك الذي جاء في الأصل لكانوا في الانتحال أكثر حذقاً وأمضى ذكاءً!· ولهذا فمن السهل جداً في هذه الحالة كشف الانتحال لمن هو على شيءٍ من الإطلاعٍ ومن أولِ نظرةٍ·

على أن الأمثلة والتطبيقات لا تعني شيئاً قدر الأسس والقواعد· فمن ينتحل الثانية فبيده دبج ما يشاء من الأمثلة والتطبيقات عليها· وعلى هذا، فسنركّز على الانتحال الفاضح لقواعد وأساسيات المنهج اللفظي الكاشفة عن حقيقة النظام القرآني للسيد النيلي رحمه الله من قبل مؤلفي كتاب (مفاتح القرآن والعقل) الذين هم زمرة مجهولة ولكنها تتستّر تحت غطاء جمعية ثقافية معلومة الأقطاب لكثيرٍ من الناس، وخاصةً في مملكة البحرين· ولن نغفل في الأثناء من محاكمة كثيرٍ من الأمثلة والتطبيقات التي جاء بها المنتحلون فضلاً عن ملاحقة الأفكار التي قاموا بدسّها في متن قصديتهم المزعومة·

وفي كتابنا هذا سنضعُ القواعد والأساسيات وكافة الأفكار الأخرى التي انتحلها مؤلف أو مؤلفو كتاب (مفاتح القرآن) مع وضع مثيلها في كتاب النظام القرآني أو في بقية الكتب للسيد النيلي رحمه الله. وسنفعل ذلك على طول هذا الكتاب حتى يتبيّن أن الأمر ليس أمر الفكرة والفكرتين، ولا هو أمر التخاطر المحتمل لتبرير الانتحالات والسرقات بين الأدباء والمفكرين، ولا هو الاجترار الذي يقولب الفكرة في إطارٍ واحدٍ مع تغيّر الأساليب، ولا التناص الذي يعني التعبير عن نفس الفكرة من أقلامٍ مختلفةٍ وزوايا مختلفةٍ.. بل يتبيَّنُ أنه فضيحةُ سرقةٍ فكريةٍ مدويةٍ قلّما تتكرّرُ على مدى الدهر.

وسنعتمدُ في تثبيت المقارنة بين الكتابين نسخةَ كتاب المفاتح المنشورة في موقع التجديد (في طبعتها الأولى عام 2005)، ونسخة النظام القرآني المنشورة من دار المحجة البيضاء في بيروت (عام 2003).

فلنبدأ على بركة الله:

الانتحالات في المقدّمة

أولاً: يقول المنتحلون في مقدّمة كتابهم:

[بعد الإيمان بأن أي قيامة غالبة لا بد تنطلق من بطن "كتاب الله" بالسمع له، وأنها لن تكون إلاّ مع تجرّد الداعي لله، أي داعي النزاهة والاخلاص، ذلك أنَّ الله قد صاغ كتابه وضمّنه جميع أسباب القوّة والغلبة والتمكن، فمن تمكّن من هذا الكتاب وكشف علومه تمكن من العالم، وتحاشياً أن يقع "علم الكتاب" في يد من ليس أهله، صاغه الله تعالى مقفلاً عن القلوب المريضة ومفتوحاً على القلوب الواعية فقط (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً) (فصلت: 44) لماذا؟؛ لأنه كتب فيه قوانين العلم وإكسير الحضارات، ونظم الكون ومناهج الحياة وأسباب الغلبة وتسخير القوى، ليكون الصالحون فقط قادرين على استنباطه والانتفاع بذلك فيكون التمكين الإلهي لهم، فأسباب الرقي وكيفية وراثة الأرض والتمكن كتبت فيه وسُطرت في ثناياه وحُتِمَ التمكن لهم (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء:105)]

قارن الفقرة السابقة أخي القاريء بما يلي مستلاً من كتاب النظام القرآني:

[وخلاصة هذا المبدأ هي في: إن أمرَ البحث في القرآن باعتباره نظاماً محكماً منوطٌ بقلب الباحث علاوةً على عقله: فمعارفُهُ محفوظةٌ ومحروسةٌ ذاتياً من داخله ولا يحصل عليها إلاّ من سلمتْ سريرتهُ وصفا قلبُهُ وكتمَ علمُهُ عن غير مستحقّه. ويدلّ على المسألتين (أي النظام المُحكمُ يعملُ هادياً ومضلاً في آن واحد) قوله تعالى:

(أأعجميٌّ وعربيٌّ قلْ هوَ للذين آمنوا هُدىً وشفاءٌ والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقرٌ وهو عليهمْ عَمى) فصلت 44] والنص مستلٌّ من ص36/ مبدأ العلو والشمول والحاكمية والامتناع/ ب. حكمه على العقائد.

وأيضاً قارن مع هذا النص:

[ويرى المنهج أنَّ الخلاص من النظام الطبيعي ومساوئه وتغييره إلى نظامٍ أحسن يتمُّ عن طريق معرفة هذه الأطوار، والإيمان بها، والعمل في الطريق الموصل إليها من خلال فهم السنن والنواميس الكونية وهنك أسرار وثوابت النظام الطبيعي بعلمٍ يقينيٍّ حقيقيٍّ يتجاوز الظواهر الطبيعية واستغلال خصائصها لمعرفة القوى الفاعلة في هذه الظواهر والسيطرة عليها.

~~إنَّ العلمَ الوحيدَ القادرَ على كشف ذلك وتنفيذ هذه المهمّة هو علم الكتاب، والطريق الوحيد الموصل إلى حقائق علم الكتاب هو اكتشاف نظامه الداخلي. والعقل الوحيد القادر على كشف هذا النظام هو عقل من [آتاه الله علم الكتاب]]~~ النظام القرآني ص(375 ـ 376).

فها هو صاحب كتاب المفاتح ينتحل فكرتين متباعدتين أحدهما في أول كتاب النظام القرآني، والأخرى في آخره جامعاً إيَّاهما في فقرةٍ واحدةٍ. ولا أحسبك أخي القاريء تجد اختلافاً بين الكتابين في عرض مضمون الفكرتين.

فهذا أول الغيث!

ثانياً: في كتاب المفاتح تجد:

[إن المنهجية التي نبحث عنها همُّها فتح الفهم وضبطه لا التحكّم بالقرآن وحبسه. تجعل فهمنا متسقاً. وخارطة آيات الله منتظمة في أنساقٍ منسجمة. ندرك أن أية عجلةٍ في إيجاد نسق (نظام) يحكم كتاب الله قد يقود إلى لي آياته بتعسّفٍ. ويولد نظاماً قمعياً للفكر وللكتاب أكثر من كونه اطرادياً مقنعاً ومحرراً. وأخو العجلة الهوى ولو لصالح العقيدة والفكرة المسبقة. الهوى الذي يلتوي بالباحث عن الآية إلى تصوره عنها. فبدلاً من أن يجعل الآية ناطقة يكون قد أخرسها ونطق عنها. وهذا ما يفعله ـ مع الاسف ـ الكثيرون ربما بحسن نية من بعضهم] ص.5

وهنا لك أن تقارن أخي القاريء الكريم هذا النص بهذا النصّ من كتاب النظام القرآني:

[وأمّا معنى الخضوع فهو: أن على المتلقّي السير على ذلك النظام والتحرّك وفقه واكتشاف مسالكه وطرقه. وهذا مثلما يبحث عالمٌ ما في أسرار الطبيعة، فهو يفسّرها بما فيها

من قوانين ولا يفسّرها من تلقاء نفسه· وحينما يفترض فرضاً ما فإنّه يصحّحه على ضوء ما يكتشفُ من حقائق في هذا النظام· فمهمة عالم النبات مثلاً عند تفسيره لعمليات النسغ الصاعد والنازل والتركيب الضوئي هي ملاحظة هذه الفعاليات ثمّ ترجمتها بصياغةٍ علميةٍ· وبالتالي فهو لا يُملي على الشجرة نظرياته، بل يفسّر ظواهرها هذه ضمن قوانين الطبيعة وما فيها من نظامٍ محكمٍ· وإنْ لم يفعل ذلك وأسقط أفكاره الخاصة على نظام الشجرة فستختلط لديه الحقائق بالأباطيل ليصبح بذلك جاهلاً ليس بمقدوره أن يكتشف شيئاً من حقائق فسلجة النبات·

إنّ مبدأ الخضوع للنظام القرآني قد مكّن المنهج من اكتشاف ما أملاه علماء التفسير على القرآن من آراءٍ وما خالفوا فيه نظامه·· حتى صار لديهم أهون من الكائنات البدائية أحادية الخلية في نظر الباحث الغربي في علم الأحياء· فلم يتحرّك المفسّرون وفق القرآن ونظامه، بل جرّوا القرآن وراءهم وجعلوه مترجماً لأفكارهم·

فالخضوع للنظام القرآني في هذا المنهج لا يعني الاعتراف به وحسب، بل يعني أنّ على الباحث أن يكون تابعاً للقرآن لا أن يكون هو قائداً له·] النظام القرآني/ص33.

إذن·· وبصرف النظر عن الاستطراد في كتاب النظام فهل تجد فارقاً بين ما لخّصه كتاب المفاتح وبين ما في كتاب النظام القرآني من حيث صياغة المقدمة والنتيجة؟!!··

لا ·· لا فارق أبداً·· فهو الكيس المسروق نفسه!

ولكن ربّما يقولُ قائلٌ: (إنّ هذه المقارنة تحتاج لمراجعة، فالفكرة فيها يمكن تناصها بين الناس، لأن جر القرآن وراء الأهواء أمر جم لا يخفى، وملاحظته أمر يسير لا يتوارى)!·

ونحن لا ننكر التناص في الأفكار بين الناس، وإنّما ننكر أن يكون الأمر عند التجديديين بالذات بخصوص مباني كتابهم هو تناصٌ لأفكارٍ معلومةٍ، وألمحنا إلى هذا قبلاً[1]· ذلك أنهم تكلّموا عن هذه الفكرة كمدخل لاثبات منهج منتحلٍ في جميع

---

[1] قلنا في موضوع (النظام القرآني أم مفاتح القرآن؟) المتقدّم ما يلي: (أن الأمر ليس أمر الفكرة والفكرتين، ولا هو أمر التخاطر المحتمل لتبرير الانتحالات والسرقات بين الأدباء والمفكرين، ولا هو الاجترار الذي يقولب الفكرة في إطارٍ واحدٍ مع تغيّر الأساليب، ولا التناص الذي يعني التعبير عن نفس الفكرة من أقلامٍ مختلفةٍ وزوايا مختلفةٍ·· بل يتبيّنُ أنه فضيحةُ سرقةٍ فكريةٍ مدويةٍ لم نجد لها مثيلاً من قبل!) ــ راجع ص17·

قواعده لا انطلاقاً من بحثٍ جادٍّ وأصيلٍ يثبت أصالة هذه الأفكار ويناقشها من مصادرها· إذ البحوث الأصيلة ربّما تكرّر أفكاراً معينةً، ولكنها تكرّرها في إطارٍ طبيعيٍّ من التساؤلات والاستشكالات والنظرات الجديدة، ولا تغفل عن نسبة هذه الأفكار المتكرِّرة إلى أقرب مصدرٍ معتمدٍ أو معلومٍ· وعليه فكلُّ الأفكار التي يمكن تناصُّها عند الناس، تصبح منتحلةً فيما لو جاءت في سياقاتٍ عامةٍ ثبت انتحالها هي الأخرى·

ثالثاً: في كتاب المفاتح وفي نفس المقدّمة تجد بعد الفقرة أعلاه ما يلي:

[إذ ليس لنا أن نبحر في كتاب الله الخالد من دون قواعد نحكم بها أنفسنا، هي بمثابة ضوابط أو منائر أو ثوابت قبلية صحيحة ترشدنا، وتُرشِّد طريقة تعاملنا مع هذا "الجهاز" المصباح المنير، القرآن المبين، لنستضيء بنوره، ومصدر هذه القواعد والثوابت اثنان: أولها: كتاب الله، نفسه، بالالتزام بمحكماته من جهةٍ، وباستقراء آياته لاستكشاف نظامه من جهةٍ أخرى. ثانيها: الالتزام بنظام " اللسان العربي المبين" الذي نزل القران به ميسَّراً، وجعله مدخلاً وواسطة لفهمه] ص(5_6)

وهذا النص يكاد يكون مأخوذاً في فقرته الأولى من الفقرة التالية من كتاب النظام في موضوع مباديء المنهج اللفظي:

[لهذا المنهج أسسٌ نظريةٌ تسبقُ القواعد التفصيلية هي بمثابة المبادئ الأولى له· فهي مثل البديهيات في العلوم الإسلامية الأخرى ــ اتّفق على صحتها على نحوٍ ما المؤمنون بالقرآن ــ يضعها المنهج لإثبات فرضية (النظام القرآني) وإلزام المؤمنين بالقرآن بها·]

أما الثوابت التي يتحدّث عنها المنتحلون، فهي مما نادت به القصدية كمعلَمٍ عامٍ في كافة مؤلفاتها· فخذ مثلاً مسألة استقراء آياته، فهذا هو لبّ المنهج اللفظي في عمله داخل النسيج القرآني وأسماه المنهج بعملية (الاقتران) التي شرحها تفصيلاً وطبقها على طول المؤلفات بما فيها المؤلفات التأسيسية فضلاً عن التطبيقية·

وسترى أخي الكريم عن قليلٍ كيف تمّت صياغة هذه القواعد من قبل هـــؤلاء بشكلٍ ثقيلٍ وبأساليبٍ بعيدةٍ عن المنهجية العلمية الصارمة التي تتطلَّبُ أوّل ما تتطلّبُ وضوح الفكرة ووضوح عرضها ووضوح ارتباطها بمقدماتها· وكلُّ هذه المتطلبات قد تمَّ استيفائها من قبل النيلي رحمه الله عند صياغته لقواعد النظام القرآني مؤصّلاً لها وللنتائج المترتبة عليها من خلال نفس القرآن الكريم والسنة الشريفة والثابت من وقائع التاريخ·

أما (قضية اللسان العربي المبين)، فمع أننا لم نصل بعد لمفهومهم لهذا اللسان إلاَّ أنه من الواضح أنه لا يكاد يختلف في الانتحال التجديدي عن ما جاء عنه لـــدى القصدية· ومع ذلك فالنظام القرآني قائم على هذا اللسان العربي المبين الذي تحـــدّث عنه النيلي مفصلاً في كتابه اللغة الموحدة في الجزء الأول، وفرّق بينه وبين مفهوم (اللغة) بما لا مزيد عليه من البيان الواضح والذي ذهبَ طرياً إلى كـــيس التجديـــد المزعوم الذي يزاول نشاطه في بلاد البحرين·

وهكذا يظهر أن المقدمة نفسها منتحلةٌ بتمامها من مجمل الفكر القصدي·· فشدَّ الحزام لما بعدها·· فهو في جُلِّهِ انتحالٌ محضٌ·

إنما قد يخطرُ سؤالٌ: أهؤلاء من الغباء بحيثُ يفعلوها فاضحةً أم مجانين؟!!··

أقول: إن كتاباتهم تشهدُ على ذكاءٍ ماكرٍ، بل دهاء كدهاء معاوية، وتشهدُ على خلفيةٍ متمرّسةٍ تعرف من أين تؤكل الكتف بأقلِّ جهدٍ!

ولكن الأمر هو كما قال لنا ضميرٌ سليمٌ لدى مناقشتنا معه في وجه السرّ في دوافعهم للانتحال المكشوف ·· قال متمثِّلاً بقوله تعالى:

(فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ)

(يونس:81)

أجل·· فإنَّ الله لا يصلح عمل المفسدين مهما كان سحرهم والذكاء الذي يمـــدّ به!·

الانتحالات في متن الكتاب

متن كتاب المفاتح يتألف من مقدمةٍ وفصلين: الفصل الأول موزَّعٌ على ست عشرة قاعدة تشكل المنائر أو الثوابت القبلية المرشدة لطريقة التعامل مع كتاب الله كما يقولون. وفيه شروحٌ سرديةٌ لمضمون كلِّ قاعدةٍ مع أمثلة تثبيتيةٍ لمعنى كلٍّ منها. بينما يتضمن الفصل الثاني ما أسماه مؤلفو الكتاب بـ (معطيات إرشادية) القصد منها على حدِّ قولهم هو أخذ القاريء فسحته بالنظر فيها والاختبار.

ولنا هنا ملاحظاتٌ:

الملاحظة الأولى: إن القاعدة (أية قاعدة) ، هي صياغةٌ لحقيقةٍ ثابتةٍ ومعاينَةٍ. وهي تُشكَّلُ في عباراتٍ محددةٍ تأخذك من المقدمة إلى النتيجة بوضوحٍ كافٍ لفهم مضمونها. بمعنىً آخر فالقواعد هي تعاريفٌ مختصرةٌ تعبّر عن مفاهيم مجردة أو معاينة. فخذ مثلاً قاعدة فيثاغورس المشهورة (مربع الوتر في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الضلعين القائمين)، فهذا تعريفٌ عن حقيقةٍ مُدرَكَةٍ يمكن تضمينها في حلول مسائلٍ رياضيةٍ عديدةٍ، وهو تعريفٌ ثابتٌ ولا يمكن تغييره إلاَّ شكلياً بتغيير بعض عبائره الدالة على نفس المقصد. وإذن فهو تعريفٌ لقاعدةٍ. وعليه فلو نظرت إلى قواعد التجديديين في كتابهم هذا فستجد أنهم جعلوا عناوين المواضيع بحدِّ ذاتها قواعد!!. فانظر إلى قواعدهم:

القاعدة الأولى: (معوقات فهم كتاب الله) ــ وهو كما ترى مجرّد عنوانٍ وليس قاعدة.. ونفس الشيء مع باقي القواعد.

القاعدة الثانية: (الالمام بعلوم القرآن)

القاعدة الثالثة: (فوقية القرآن عن الاحاطة البشرية)

القاعدة الرابعة: (حكمة النسيج القرآني) ــ (نفي الترادف)

وهكذا حتى القاعدة السادسة عشر!

والسؤال هنا: أهذه هي القواعد التي هي بمثابة الثوابت الأولى للتعامل مع كتاب الله؟!.. أفتكون (معوقات فهم كتاب الله) قاعدة قبلية أولى تنير لنا وترشدنا؟!. فالذي نفهمه من هكذا عنوان أن هناك معوقات تحول دون فهم كتاب الله، والحديث سيجري عنها تحديداً دون توقّع وضع حلولٍ بالضرورة. ولا أظن أحداً يفهم من هذا العنوان قاعدةً ما قابلةً للتطبيق. وكان بإمكانهم أن يجعلوا منه عنواناً رئيسياً ثمَّ يضعوا في طياته عناوين فرعية يضمّنوها قواعد مصاغةً لفهم كتاب الله، ثمَّ يأتوا على سردها قاعدةً بعد قاعدةٍ مع الأمثلة الموضحة والتطبيقات المتعلّقة. فهكذا تكون المنهجية في البحث.

الذي دفعني لهذه الملاحظة هو ذلك الاحساس القاتل الذي يستشعره من سرقت بضاعته. فهي فوق ما سرقت فقد شوّهت!. فهؤلاء قد التحفوا رداءً ليس لهم ولا على مقاسهم فمزّقوه فما عاد له من نفعٍ!.

وهكذا فقد أصبح النظام القرآني بسببهم فكرةً سرابيةً ثقيلةً مؤلّفةً من عناصرٍ تتفاعل بأسلوبٍ اعتباطيٍ فوضويٍ بحيث يمكن أن تضع أولها مكان آخرها، بل ويمكن ان تحذف من وسطها ما تحسب أن لا أثر له على مجملها، ويمكن أن تجعلها أخلاطاً: هذا بعد ذاك أو ذاك بعد هذا، من دون أن يتغير من صورتها شيء.. ذلك لأنها فوضى!

الملاحظة الثانية: إن عناوين الفصل الثاني، أعني عناوين المعطيات الارشادية يمكن أن تُضمَّن كقواعدٍ في الفصل الأول، ومجرد وصفها بالمعطيات الإرشادية لا يكفي لتفريقها عن قواعد الفصل الأول.. فليس هناك من فارزٍ علميٍّ يبرّر هذا التفريق بين الفصلين. وحتى أن عناوين الفصل الثاني هي بنفس نسق الفصل الأول.. وفوق هذا فهي مأخوذة من المادة التفصيلية للمنهج القصدي. وكل هذا يعني أن الجزافية الانتحالية قد أخذت راحتها في كتاب المفاتح.

الملاحظة الثالثة: أن غالبية هذه القواعد هي في الحقيقة عناوين بحثية مستلَّة من كتاب النظام القرآني وقواعده وفروع قواعده وشروحاته· وحتى لا يكون قولنا هذا مجرد ادعاء فإننا سنردُّها إلى مثيلتها المعبَّر عنها في كتاب النظام القرآني· وهذا الرد سيكون على شكلِ مقارنةٍ تبيِّنُ للقاريء الكريم مدى التشويه الذي جرى للمباني القصدية من قبل التجديديين، ولِيَرَ كيف أن كتاب النظام القرآني هو انفتاح واضحٌ وسهلٌ، وكيف أن مفاتح التجديد هي من الصعوبة والثقل حدَّ أنك ستضيق منها ذرعاً فتأخذ بالضرب عليها قسراً فكسراً من دون أن تدرك أنَّك بذلك تكسر كتاب النظام القرآني نفسه، وهو هدفهم الآخر من تعمُّدِ التشويه!·

لنبدأ الآن بعد التوكل على الله تعالى في المقارنة بين القواعد القصدية الأصيلة وبين قواعد كتاب المفاتح مع الشرح والتحليل:

(إبطال المجازات)

القاعدة الأولى: معوقات فهم كتاب الله

في قاعدة المجاز:

في هذه القاعدة تمَّ نقدُ بعض القواعد التي تتحكم بالنص القرآني خلال العمل التفسيري، وكان التركيز على ما أسماه مؤلفو المفاتح بـ (قاعدة المجاز وأخواتها) ويقصدون بأخواتها قواعد الحذف والتقدير والإبدال· وفي غضون الموضوع حاول المؤلفون محاكاة الأسلوب الذي جرى عليه المرحوم النيلي في نقد المفسرين الذين اعتمدوا هذه القواعد وسواها· فانظر إليهم يقولون:

[عموماً إن الذي يعنينا، أن من تلك القواعد التي تهرب بنا بعيداً عن فهم القرآن وتقزّمه إلى تكليفٍ شرعي لإبراء الذمّة، هي قاعدة الحقيقة والمجاز (مع أخواتها من قواعد الحذف والتقدير والإبدال وغيرها)، في حين أن القرآن كله حقيقة، لا كناية فيه، ولا خيال، ولا مجاز، فإذا أراد سبحانه التشبيه والتمثيل فإنه يقول صريحاً (مثل)، (كمثل)، (كاف التشبيه)، ولو خلط لنا الأمور لأوهمنا ولسقط الإحكام في كتابه ولأشتبه علينا، وهذا لا ينفي أن الكلمة المعجزة في القرآن فياضة تقصد معنى وتومىء إلى معنى وتستبطن معنى وتثير معنى.] ص(7ـ8)

وبالمقارنة مع كتاب النظام القرآني نجد بخصوص المجاز قاعدةً هي الخامسة من قواعد المنهج اللفظي المبني على الاعتقاد الجازم بأن القرآن الكريم نظامٌ محكمٌ يحمل قواعده في داخله، وقد صاغها النيلي بما يلي:

[القاعدة الخامسة: في ابطال المجازات

لا يجوز للباحث الاعتقاد بوجود مجاز في القرآن بكافة أقسامه ويعدّ شرح التراكيب بهذه الطريقة عملاً باطلاً] النظام القرآني/ص36

ثم أردف تلك القاعدة بفروعٍ تتصل بها، حيث قال:

[ولهذه القاعدة فروع:

الفرع الأول : في إبطال التشبيه الاستعاري:

(لا يجوز للباحث في هذا المنهج الاعتقاد بوجود تشبيهٍ استعاريٍّ في القرآن)

الفرع الثاني : في إبطال الكناية:

(لا يجوز الاعتقاد بوجود كناية في القرآن ويتوجّب على الباحث معرفة حقيقة معنى اللفظ المستعمل في الكناية المزعومة)

الفرع الثالث : في إبطال الإيجاز والإطناب:

(لا يجوز في هذا المنهج الاعتقاد بوجود موارد فيها إيجاز وأخرى فيها إطناب في القرآن في أي موضع منه)] النظام القرآني ص36

وبعد وضع النيلي لهذه القاعدة وفروعها تقدّم بشرحها تفصيلاً مع الأمثلة الكثيرة عبر أكثر من (25) صفحةً تمتد من صفحة (99) ولغاية صفحة (125).

وكذلك فقد قام بتفصيل نقده لقاعدة المجاز في كتابه الآخر (الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية) المنشور على أوسع نطاق على شبكة الانترنت وعبر السيديات وعبر ثقافة الاستنساخ[1]، ويمكن لك أن تجده في مواقع من مثل البحرين أونلاين أو شبكة هجر الثقافية.

في قاعدتي الحذف والتقدير:

ما سبق من حديثٍ كان يخصُّ قاعدة المجاز. أما قاعدة التقدير والحذف فقد صاغهما النيلي في قاعدتين هما الثالثة والرابعة من قواعد المنهج اللفظي، وهذا نصهما:

[القاعدة الثالثة: في إبطال التقديرات المتنوعة للمركبات والألفاظ في التراكيب

---

[1] لقد تمّ نشر كتاب الحل القصدي رسمياً من قبل دار عجمة للنشر في عام 2006. وثقافة الاستنساخ مصطلحٌ شاع في الوسط الثقافي في العراق خاصةً أثناء فترة الحصار، ويقصد به تصوير النسخ الأصلية من الكتب المطبوعة على جهاز الحاسوب أو المطبوعة خارج البلد ثمّ بيعها أو إهدائها، ودفع تعلاء ثمنها أو تكوهه مجموعة من النسخ.

(قيود مواقع المركَّبات والألفاظ في التراكيب)

لا يجوز تقدير مركَّب أو لفظ لا وجود له بحجّة أنه محذوفٌ جوازاً كما لا يجوز حذف مركَّب أو لفظ بحجّة أنّه زائدٌ أو مزيد أو مقحمٌ ، ويُعدُّ هذا العمل لتحصيل المعنى التام للتركيب باطلاً في هذا المنهج

القاعدة الرابعة : في إبطال التقديرات العشوائية للترتيب العام للجملة

(قيود ترتيب الألفاظ والمركبات في التراكيب)

لا يجوز تقدير ترتيب آخر للمركبات في التراكيب ولا للألفاظ فيهما بديلاً عن الترتيب القرآني لتحصيل المعنى العام، ويُعدُّ المعنى المتحصّل من الترتيب المفترض باطلاً وفق هذا المنهج] ص

وأيضاً فقد قام النيلي بشرحهما تفصيلاً مع الأمثلة الواضحة·

تســـــاؤل:

وهنا نتساءل: أهو تخاطرٌ لكم عبر الغيب يا أهل التجديد، وبالشكل الذي يجعلكم والقصدية على نفس الخط والى نفس المشوار؟!!

أقول: لسنا ننكر أن الأمثلة التطبيقية التي جاء بها هؤلاء تختلف عن تلك التي لدى القصدية، ولكنه اختلافٌ يتعلق بالآيات قيد الشرح فقط، فهم قد ذهبوا إلى آياتٍ غير التي تصدَّى النيلي لنقد تفسيرها عبر وسائط الترادف والمجاز· ما يعني أنَّ المنهجية هي هي نفسها، ويمكن لمن استوعبها أن يقوم بالتطبيق على آياتٍ أخرٍ، بل وربما قامَ بنقدِ ذات الآيات التي نقدها النيلي أو التجديديون طبقاً لما يستجد من معطياتٍ لم تصل لعلم هذين، مستنداً في ذلك على نفس المنهجية القصدية·

أمثلةً غير موفقة:

غير أننا لم نجد التجديديين قد وفَّقوا حتى في نقدهم للمجاز عبر بعض الأمثلة التي ساقوها· فمثلاً في آية: (ولا يلِدوا إلَّا فَاجِراً كَفَّاراً) قالوا كما في ص22:

[(ولا يلدوا إلَّا فَاجِراً كَفَّاراً) (نوح :٢٧)، أي سيؤول كافراً!

التعليق: فكأنه نظر إلى الولادة أنها انفصال الولد جنيناً أي الوضع، القرآن لم يقل"يضعوا كافراً" بل يلدوا التي تعني بروز الجيل الآخر، بدليل أننا نسأل الكبير من الذي ولدك؟ وقال نوح مستغفراً "ولوالدي"، بل أن القضية أعمق بكثير فإن الجيل الفاجر الذي عاصر نوحاً سيورث وعلى المستوى الجيني قبل التربوي قابلية الفجور في الجيل التالي، وهذا أمر ميدانه الكشف العلمي القابع في تخوم هذا اللفظ.] ص22

هنا.. أتحدى أيُّ أحداً أن يقولُ: (فهمتكم جداً يا سادة البيان، وإنَّكم لعلى حقٍّ)!

ذلك لأنَّ:

1. إذا كان القرآن لم يقل (يضعوا كافراً)، فالقائل بالمجاز لم يقلْ بذلك أيضاً، وإنما قال: (سيؤول كافراً).. وبالتالي فهو ليس ناظراً للولادة على أنها انفصال الولد.. وإنما ناظرٌ إلى الولد نفسه في مستقبله الآت؟!
2. من أين لكم بأن يلدوا تعني: بروز الجيل الآخر؟!. هل استقرأتم كتاب الله ثمَّ توصلتم لهذا المعنى فأين هو هذا الاستقراء؟، أم أن هذا المعنى هو من نواتج (علوم العربية الصحيحة) التي ادّعيتم المطالبة لاحقاً بالرجوع لها؟. مع أننا لم نجدها تشيرُ إلى هذا المعنى في كلِّ المعاجم المعتمدة.
3. وما علاقة سؤالنا للكبير (من الذي ولدك؟) وكذلك استغفار نوح لوالديه بقضية أن الولادة تعني بروز الجيل الآخر حتى يصبح السؤال وقول نوح دليلاً عليها؟!
4. لكن الجيل الذي عاصر نوحاً فيه من آمن بنوحٍ، وعليه فلا يشمله التوريث الجيني ولا التربوي للفجور!، فما تقولون؟!

5- هلاً تفضلتم ببسط الميدان العلمي القابع في تخوم هذا اللفظ بدلاً من هذه الاحالة الخطابية التي تفصح عن عجز تحليلكم البائس هذا؟[1].

فهذه أسئلة تقطع الطريق عليكم، وعلى تحليلكم العقلي الذي يسقط على الآية ما لا تشير إليه في عملٍ تلومون غيركم عليه بالادعاءات التي لم تحسنوا دبجها بعد إذ لم تحسنوا فهم القصدية الحقّ. وقد سبق لكم أن لمتم أمة اللغو التى لغا صوتها فوق صوت القرآن وأنتم أحقُّ باللوم!.

أخي القاريء الكريم.. هذا نصٌ مما كتبناه ردّاً على أحد الحوزويين ممن طالبنا ببيان الموقف من هذه الآية التي ادّعى جرياً على مقولات الاعتباطيين أن فيها مجازاً، فقد قلنا:

[وأما بشأن المجاز في آية: (ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفارا) حيث تقول أن المولود حين يولد لا يكون فاجراً ولا كافراً ولكن قد يكون كذلك بعد الطفولة... فلن أقول إلاّ أنها مسخرةٌ من مساخر القوم في التدبّر الكيفي لكتاب الله.. يا أخي لقد فاتك أن الله تعالى قد قال (كما صرّح الأمام الصادق"ع" في إجابةٍ له عن هذه الآية) بشأن قوم نوح وفي مورد آخر (وأوحي إلى نوحٍ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فهذا حكمٌ إلهي علِم نوحٌ (ع) على ضوءه حقيقة أولاد هؤلاء القوم وهي أنهم يولدون كفّاراً فجاراً مثلهم ولذا فقد دعا عليهم بالفناء (وقال نوحٌ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا).

وما يلي جواب الأمام الصادق مستلاً من كتاب علل الشرائع في باب العلة التي من أجلها قال نوح إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً :

(ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن محمد بن إسماعيل عن حنان بن سدير عن أبيه قال قلت لأبي جعفر (ع) أرأيت نوحاً (ع) حين دعا على قومه فقال (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً)، قال (ع): علم أنه لا ينجب من بينهم أحد، قال قلت: وكيف علم ذلك؟، قال: أوحى الله إليه (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء) بحار الأنوار/5/283/باب/علة عذاب الاستيصال/ نقلاً عن علل الشرائع.]

---

[1] تمّ التصرّف قليلاً ببعض الفقرات من هذا الموضوع، لذلك فهي تختلف عن تلك التي نُشِرت في جريدة الوقت. وتجد المنشور منها في ملاحق الكتاب.

وعلى ضوء هذا الفهم ينتفي المجاز في الآية المعنية من دون الحاجة إلى التعسّف التجديدي!

حيرة!:

ولا يقف الأمر على ما ظهر من أخطاءٍ في تطبيقهم لقواعد القصدية الرافضة للمجاز، بل تعّداه إلى أمرٍ آخرٍ رأيناه مستمرّاً على طول كتاب المفاتح دالاً على عجز التنظير، وهو استشكالهم على التفسير الاعتباطي العام دون محاولة إعطاء بديلٍ يعتمدُ على مباديء القصدية كما نظّروا هم لها في كتابهم المفاتح[1]. فإمّا أن يتركوا القاريء حائراً دون توجيهٍ كما سنرى عن قليلٍ، أو يحيلوه إلى بعض مؤلفاتهم التي لا تتواجد لا في موقعهم على الانترنيت ولا في فهرسة مؤلفاتهم ولا كمنشوراتٍ مطبوعةٍ، أو يحيلوه إلى نفسه عسى أن يتدبّر فيقع على حلٍّ أو جواب!

هذا مثالٌ على حيرةٍ لنا بخصوص استشكالاتٍ منهم على غيرهم من دون تقديم جوابٍ. فقد قالوا:

[وقد دخلت العقائد في تسيير "ماكنة" الخلاف بين الحقيقة والمجاز، فإن سابق فهم (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)(الفتح: 10)، و(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)(القصص: 88)، و(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)(القلم: 42)، و(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (صّ: 75)، و(قَالَ لَنْ تَرَانِي) (الأعراف: 143)، و(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة: 23)، (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً) (الفجر: 22)، و(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً) (النساء: من الآية164)، وغيرها من آيات اليد والحركة والحدوث على الله، كانت تُحكم في ذهن المؤلف أولاً، لينبثق على ضوء اعتقاده قواعدُه، التي يلوي بها كتاب الله بعدئذٍ] ص(8ـ9)

وعادوا ليكرّروا نفس الشيء في ما يلي:

---

[1] وهو تنظيرٌ منه الانتحال والتشويه بالطبع!.

[وما أيسر الحكم في الآيات أعلاه لو أنهم هداهم الله (يقصدون المفسرين) حكّموا الآية بدلاً من اللفظ، ليدركوا أن استعمال اللفظ في سياقه هو الظهور وهو الحقيقة، ولو كانت العقيدة الكونية مأخوذة من القرآن لما أشكل معنى (يَدُ اللَّهِ) (الفتح: 10) ولا (وَجْهِ اللهِ) (البقرة: 272)] ص10

وهكذا فقد انتقدوا التفسير السائد عندما أعطى معانٍ لألفاظ القرآن الكريم نابعةً من التقديرات أو المحذوفات أو المجازات.. ولكنهم لم يقدّموا حلاً واضحاً لآيات اليد والوجه والمجيء والرؤية والنظر والكلام.

فهل نعتبر ما تحته خطٌ من الفقرة الأخيرة أعلاه هو الحلّ؟

وكيف نفهم هذا الحلّ حتى لا نقع في شبهة التجسيم؟

صحيحٌ أنهم جاءوا بتأويلٍ لآية الساق يبعدها عن هذه الشبهة، وقد يكون محلّ نظرٍ، وفيه إشكالات تطول.. لكن هل أوّلوا بقية الآيات كي يتضح لنا معنى كون استعمال اللفظ في سياقه هو الظهور وهو الحقيقة بحيث لا يلتبس علينا الأمر فنظنّهم يقولون بالتجسيم؟. لا .. لم يفعلوا!. بينما تجد عموم المفسرين إذ يستشكلون فإنهم يضعون احتمالات للإجابة على وفق طرائقهم وإن كانت خاطئة، لأن المنهج البحثي يلزم دوماً لا بالاستشكال وحسب، وإنما بوضع البديل ولو افتراضاً.

مع النيلي.. لا حيرة:

المرحوم النيلي في مؤلفاته لا يسير بطريقة هؤلاء، بل إذ يستشكل، (وكثيراً ما استشكل)، فإنه يقدّم الحل فوراً، فبخصوص آية اليد قال:

[الثالث: المجـــاز الصوري:

(كتسميتهم القدرة يداً)

وفي هذا النوع من المجازات يتساءل الحلّ القصدي عن اليد نفسها لماذا سمّيت يداً؟، وعند ذلك يكشف لك عن قيمة التسلسل (يد) مجرداً عن أي استعمال. فالتسلسل نفسه يحمل صفة حركية تفيد في معنى (القوة) والسيطرة المباشرة أو التحكم وما شابه، وحينئذٍ تكون تسمية اليد (المعلومة) جزءاً من الحركة تنطبق عليه حركة التسلسل. فبهذه الحركة العامة يمكن القول أن (لله يد) لكنها ليست ذراعاً مجسماً، وللشمس يدٌ أيضاً، ولكل قوة فاعلة يدٌ.

وهذه اليد هي القوة المتصلة بين الفاعل والواقع عليه الفعل· ﴿·· يَدُ اللَّهِ فَـوْقَ أَيْـدِيهِمْ·· ﴾ (10) سورة الفتح·

لا مكان إذن لاستشهاد (المجسمة) بمثل هذه الآية، ولا مكان كذلك للرادّ عليهم بأنّ هذا مجاز، بل هو استعمال حقيقي· ويد الإنسان هي استعمال حقيقي أيضاً·] الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية/المبحث الثامن/أصناف المجاز/المجاز الصوري·

وكذلك قال رحمه الله:

[ومثله قوله تعالى : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (🗀🗁) سورة الفتح، حيث زعموا أنها قوة وسلطان أو سلطان· والغاية من ذلك صرف اليد على الاصطلاح عن أن تكون له تعالى· وهذا وهم آخر أو تحريف ظاهره التنزيه· أولاً: لأن لفظة (اليد) ليست مقصورة على اليد على الاصطلاح، بل هي في نفس الاصطلاح ليست محددة بالذراع في الاستعمال لكن لن تكون بأية حال هي عين السلطان والقوة· فاللفظ له أصل ويمكنك ملاحظة الأصول في كتابنا اللغة الموحَدة·

وثانياً: هل هذه هي محنتهم بالفعل؟ لا وربك ليست هي!

لأن لله تعالى يدّ فعلية مثل يد الإنسان، وأنها ليده!، وليست يد عدوه! ذلك لأن الإضافة لا تعني الجزئية· فمن أين جاء هذا القانون؟، بل هي لفظة مضافة مثل أية لفظة أخرى: (أرض الله)، (ناقة الله) ــ فما العجب في أن تكون لله يد غير متصلة كما له أرض ليس سكناه فيها؟ وناقة لا يشرب منها؟!·] الحل القصدي/موضوع أصناف أخرى للمجاز المزعوم في القرآن/إطلاق اسم الكل على الجزء وعكسه·

وهكذا أخي القاريء فهذه المقارنة بين أسلوب النيلي وبين أسلوب هؤلاء تكفي لتثير فيك استفهاماً عن أصل القصدية التي جاءوا بها ومدى توافقها مع القصدية الحقَّة حين التنظير· على أنَّنا سنوافيك بالكثير الكثير الذي يجيب على استفهامك بما لن تختلف فيه معنا من أنه انتحالٌ فاضحٌ، ومن ثم تشويةٌ متعمَّدٌ·

حيرة أخرى: ترادف أم لا ترادف:

من سيئات الانتحال أنّه يقع في التناقضات المتكرّرة حتى على صعيد القواعد التي يؤسسها· فهم عند حديثهم عن قاعدة الحقيقة والمجاز قالوا بجواز تعددّ المعنى لألفاظ كتاب الله، وذلك كما في النصّ التالي:

[كتاب الله ـ ولزخارة اللسان العربي ـ يعجُّ بالألفاظ ذات المدى (المشتركة حمّالة المعاني المتعددة)، فالزعم أن الحقيقة فيها هو ما يتبادر يجعل معظم استخدامات القرآن مجازاً،..] ص15

بل عندهم أنّ معظم ألفاظ القرآن هي حمالة للوجوه المتعددة كما سترى في فقرةٍ سننقلها بعد قليل من كتابهم·

فهنا نسألهم: ما معنى أن تضعوا قاعدة أخرى، هي القاعدة الرابعة التي أسميتموها بـ (حكمة النسيج القرآني ـ نفي الترادف) حيثُ قلتم فيها:

[الاعتقاد بحكمة النسيج القرآني على مستوى فرادة مفرداته ومواقعها وتراكيبها (نفي الترادف)، التحقق بأنه لا ترادف في كلام الله] ص49.

إذ المعلوم أن الترادف هو تعدد المعاني للفظ الواحد!

فهل هناك من تناقضٍ أكبر من هذا كافٍ لنتواروا منه خجلاً·· ولكن متى خجل الموتى؟!

النصُّ الفضفاض أم اللافضفاض؟!:

أيُّ منظّرٍ وخاصةً إن كان تأسيسياً، لا بدَّ أن يكون بحيثُ لا يناقض نفسه ما أمكن· فإن تكرّرت منه التناقضات فهذا يعني إمّا أنّه يقول ما لايفعل، أو أنّه يتكلّم بما لا يعي كدأب المنتحِل، فانظر إلى هذا النصّ من كتاب مفاتح القرآن والعقل:

[إن التركيبات ذات الألفاظ المشتركة كما يسمونها (كمعظم ألفاظ القرآن) تنزع إلى تعدّد الوجوه في المعنى بحكم دورها الفضفاض الحمّال، لكنها من جهةٍ أخرى بحكم ارتصافها في قبضة نسيجها النظامي (البناء والسياق) فهي لا محالة تتيح كشف قصد المُلقي، سواء كان من قصده تكثير الوجوه المؤطرة المناسبة لتغير الواقع كما هو الحال في الآيات المفتوحة، أو قصده محدد المعنى كما في الآيات المتشابهة المحتاجة تأويلاً واحداً فقط. أما دون ذلك، أي إن كان النصّ مراوغاً مفتوحاً على مصراعيه على الدوام، فلا حاجة لوجوده أساساً، ولا يمكن أن يصبح قنطرة للإرشاد ودلالة على الإفهام أو التواصل، وهو المسمّى ظني الدلالة] ص(14_15)

لكن الغريب وبخصوص الألفاظ الفضفاضة أنهم ناقضوا كلامهم هذا بعد عدة وريقات حينما قالوا بعدَ حديثٍ عن تقديرات المفسّرين التي عدّوها افتراءً على الله:

[فلا يحسن إذاً ترك الجملة فضفاضة قابلة للتقديرات المتغايرة أو المتعاكسة، فهذا إضلالٌ.. القرآن نزيهٌ عنه،..] ص(30_31)

فهذا تناقضٌ آخرُ يضاف إلى سلسلة التناقضات المتكرّرة من لدن هؤلاء، وسيأتيك أخي القاريء معنى كون القرآن (حمال وجوه) من وجهة نظر القصدية[1]، وهي العبارة التي وصف بها الإمام علي عليه السلام كتاب الله، كي تعلمَ أنه كتابٌ محكمٌ لا ينزعُ إلى تعدّد الوجوه بالشكل الفضفاض، لأن هذا هو فعلاً إضلال!.

هل المنقلبة إلى قد!:

كمثالٍ على رفض التساوي بين الألفاظ جاءنا هؤلاء بمثالٍ هو الآية التالية:

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) (الانسان:1)

---

[1] انظر كتاب مفاتيح العقل صفحة (145).

وبعد مقدّمة عن ما جرى لـ (هل) المسكينة على يد (قد) الغشيمة بفعل ما قاله البعضُ من أن (هل) هي بمعنى (قد)، كانت الخاتمة منهم في هذه الفقرة:

[ربما عُذرُ بعض المفسّرين الكرام أنّه ركن إلى رواية في هذا الشأن، لكنّه بدلاً من التفكّر في الحقيقة وفي السرّ وفي مغزى الرواية، مسح حرفين من كتاب الله وأخلّ بنظامه الصارم المحكم بجرّة قلم] ص17

وتعليقاً على هذه الفقرة قالوا في الهامش ما يلي:

[محاولتنا كشف بعض سرّ هذه الآية، وهذه الـ (هل) يحتاج إلى تأمل دقيق، وتدبر خاص بالآية، وهو خارج موضوعنا، وله بحث آخر ضمّن في (وعصى آدم، الحقيقة دون قناع، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية] هامش ص17

وإذ لم نجد من المفسّرين من ركن إلى روايةٍ ما بشأن "هل" المنقلبة إلى "قد" على قدر ما بحثنا في برنامج أهل البيت[1] الذي يضمّ أكثر من أربعة آلاف مجلد لمختلف مذاهب المسلمين· فقد أطمعنا الأمل بالعثور على الرواية وسرّها ومغزاها، كي نرَ كيف يستقيم مضمونها مع النظام الصارم المحكم لكتاب الله كما يقولون· وسار بنا الأمل إلى حيثُ المصدر الذي ذكروه في فقرة الهامش، وهو كتابهم (وعصى آدم··)، وعندما ذهبنا إليه لم نجد فيه سوى تكرار نفس الكلام الذي في كتاب المفاتح بالضبط، وكانت هناك نفس الفقرة ونفس الهامش أعلاه!·· غير أننا وجدناه (أي الهامش) يحيلنا هذه المرّة إلى كتاب آخر لهم هو (الخلق الأول، كما بدأتم تعودون)·· وأيضاً وجدنا نفس الكلام يتكرّر!·· لكن مع إضافةٍ تتحدّث عن سرّ "هل" بحيث لا يصحّ أن تأتي بدلها "قد"·· إنّما لم نجد لا رواية ولا سرّ رواية ولا مغزى رواية ولا هم يحزنون!!· بل ولا مفسّراً كان عليه التفكير في حقيقة الرواية·· لا شيء من هذا أبداً·· فاذهب أخي القاريء إلى صفحة (68) من كتاب (الخلق الأول··) وتحقّق بنفسك·

---

[1] برنامج كمبيوتري من إصدار مركز المعجم الفقهي ومركز المصطفى للدراسات الإسلامية.

فنسألُ: أَمِنَ المنهجية في شيءٍ إحالة القرّاء إلى مصادرَ معيَّنةٍ بعد كلام يشي بوجود التفصيل فيها حتى إذا أتعبوا أنفسهم بالبحث والتنقيب لم يجدوا شيئاً؟!

إن لم يكن هذا من التدليس فما نسمّيه؟!.. فلماذا لا تكونوا يا أهل التجديد على قدرٍ من دقّةٍ في أشياء بسيطةٍ كهذه؟، لِمَ لمْ تذكروا اسم المصدر بالضبط ورقم الصفحة؟ لِمَ لم تتأكّدوا من مطابقة كلامكم في كتاب المفاتح مع ما في الكتب المحال إليها حتى لا تعرّضوا أنفسكم لمظنّة السوء!.

مهما كانت أعذاركم فإنَّ هذا العمل يعني أنكم بلا منهجيةٍ أصلاً!. فهذا أقلّ ما نبهتكم به عبر هذا المثال وعبر معظم كتبكم الفضفاضة المشحونة بالمراوغات.. وإنما يكفينا منها كتابكم هذا عن المفاتح!.

اعتباطٌ أسوأ من الاعتباط!:

تربّع قراقوش المجلس ليُظْهِرَ جديده "العظيم" وحوله الأبصار شاخصةً، بادئاً كلامه بالنقد اللاذع بحقّ من سبقه من المفسّرين إذ وضعوا قواعد الحذف والتقدير سبيلاً لفهم كتاب الله.. ثمَّ جاءَ بمثالٍ يفنّدُ فيه أقوالهم فقال:

[أما التقدير والحذف: فسنضربُ مثالاً واحداً من آية واحدة:

(وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً..) (الرعد: 31)] ص23

ثم قام باستعراض مقولات المفسرين واقتراحاتهم وتناقضاتهم عبر خمس صفحاتٍ، ثمَّ جاءَ بآياتِ سورة الرعد المتضمنة للآية السابقة وقام بتفسيرها عبر صفحةٍ ونصف. وبعدها جاء بالحل البديل القائم على رفض الحذف والتقدير، بعد مثالٍ عن ملك غاضبٍ وجنديٍّ مسكينٍ!.. والحلُّ باختصارٍ هو أن تلك الآية السابقة هي من مقول الكافرين لا من مقول الله تعالى!:

[فالكافرون يقولون عن آيات القرآن: أهذه آيات ومعجزات؟ (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا) (الأنفال: 31)! هلاّ كان هذا القرآن قرآناً (مقروءاً) إذا قُرِئَ سُيِّرت به الجبال أو قُطِّعت

به الأرض أو كُلّم به الموتى! ولم يضع سبحانه تكملةً بعد "هلاّ كان قرآناً/ لو أن قرآناً" لأنّ بعضهم ربّما يفكّر: "ومع ذلك لن نؤمن"، والبعض: ربما نبدأ بجد عندها في التفكير بالإيمان بك"، والبعض: "عندها فعلاً سنؤمن"، لا يهمّ كل تلك التفرعات والاحتمالات والأجوبة المحتملة ذهنياً بعددهم وتنوّع نفسياتهم، فلذلك حُذفت لأنها متفقة في القول: أن القرآن هذا ليس هادياً لوحده، وهو ليس بمعجزة إلاّ إذا صنع شيئاً خارقاً نلمسه ونعاينه، لا حججاً عقلية بل حسية،....] ص32

وأخيراً انتهى إلى القول:

[فجملة "ولو أن قرآناً" على خلاف ما تنازع فيها المفسرون وقلبوها، هي عبارة الكفر التي قالها المعاندون بعد سماع التلاوة "لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ" في سياق الآية السابقة، أعادها الله بلا جواب لأنها منزوعة الجواب أصلاً، ولا يمكن تقديره لتنوعه في الأذهان، ولأن مضمونها أولاً منهم ثم نفيها ثانياً منه سبحانه بحد ذاته هو المقصود] ص35

وهذه هي ملاحظاتنا على هذا التفسير القراقوشي:

أولاً: الله سبحانه يقول: (ولو أن قرآناً..)، ولكنّ قراقوش يقول (هلاّ كان قرآناً)!.. فأين ذهب ادعاؤه بنفي الترادف على مستوى التراكيب إذن؟!.

ثانياً: ليس هناك أيُّما دليلٍ حقيقيٍّ على أن تلك الآية من مقول الكافرين مهما حاول قراقوش أن يضع نفسه في مقام التفسير، ومهما أطال الكلام في هذا المقام. وإنما هي من مقول الله حتماً لا من مقول الكافرين، ودليلنا في ذلك من القرآن نفسه من دون حاجةٍ منّا لأيِّ تفسيرٍ، ولا لأيِّ تحليلٍ، وإنما لإستقراءٍ لآياته فقط!.

فلك أن تستقرئ آيات القرآن الكريم التي فيها الألفاظ (لو، لو أن، لولا) لتجد أنه يميّز بين قول الله تعالى وبين قول من سواه باستخدام أحد مشتقات اللفظ (قال)، مثل (وقالوا، قل، وقال، تقولوا، تقول...). فحيثما وردت هذه المشتقات مقترنةً مع (لو، لو أن، لولا) فسنعلم يقيناً أنّ هذه المركبات هي من قول غير الله، ومتى وردت

من دونها، فسنعلم أنها من قول الله تعالى ولو كانت الافعال فيه بـضمير الجمـع· فاذهب لكتاب الله تجد هذه القاعدة شاخصةً دونما أي استثناء!·

هذه نماذج من الآيات التي من مقول غير الله تقترن فيها الألفاظ (قال، قـالوا، قل، تقولوا··) مع الألفاظ (لو، لو أن، لولا):

ـ (وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) (البقرة:167)

ـ (وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ) (الأنعام:8)

ـ (قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) (الأنعام:58)

ـ (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) (الأنعام:157)

ـ (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (هود:80)

ـ (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً) (الإسراء:100)

ـ (قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (المؤمنون:114)

ـ (إِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ. لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ) (الصافات:168)

ـ (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (الزمر:57)

ـ (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (الزمر:58)

ـ (وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (البقرة:118)

ـ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً) (النساء:77)

ـ (وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ) (الأنعام:8)

ـ (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا

يَعْلَمُونَ) (الأنعام:37)

ـ (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) (الرعد:27)

ـ (وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى) (طـه:133)

وهكذا الأمر مع كلّ الآيات التي ترد فيها الألفاظ المذكورة أعلاه مقترنةً.

أما الآيات التي لا يرد فيها أي من مشتقات اللفظ (قال) مقترنةً مع الألفاظ (لو، لـو أنّ، لولا)، وبالتالي فهي من مقول الله لا من من قول سواه، فهذه نماذجٌ منها:

ـ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المائدة:36)

ـ (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (الرعد:18)

ـ (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) (المائدة:65)

ـ (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف:96)

ـ (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال:63)

ـ (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (يونس:54)

ـ (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (الرعد:18)

ـ (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (لقمان:27)

ـ (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) (التوبة:59) ـ لاحظ أن هذه الآية خلت من جواب

الشرط كمثل آية تسيير الجبال، ونأتي بهذه الملاحظة كي لا يقول التجديديون أن الآيات التي جئنا بها تختلف من حيثُ أنها جميعاً فيها جواب للشرط!.

وهكذا فلا تشذُّ آية سورة الرعد التي جاء بها هؤلاء مثالاً على قاعدتهم.. فهي من مقول الله لا من مقول الكافرين بدلالة عدم اقترانها مع أي من مشتقات مادة (قال). وليس الأمر كما قد جزمَ هؤلاء من أنها عبارة الكفر. بل نحن نجزمُ من دون أدنى احتمالٍ بشكٍّ أن قولهم هو بخلاف ما يريد الله تعالى بناءً على استقرائنا لكتاب الله، وأنَّ هذا القول منهم هو مجرّد رأيٍّ يقوم على أحكامٍ عقليةٍ مسبقةٍ فلا يشذُّ بذلك عن التفسير السائد.. فهم إذن مثله في الاعتباط، بل تفسيرهم اعتباطٌ أسوأ من الاعتباط. ذلك لأنّ لنا أن نسأل: أين أنتم من دعوتكم التي طالبتم فيها باستقراء آياتَ الله في كتابه بحثاً عن قواعد نظامه؟، فقد سبق منكم القول:

[ومصدر هذه القواعد والثوابت اثنان: أولها: كتاب الله، نفسه، بالالتزام بمحكماته من جهةٍ، وباستقراء آياته لاستكشاف نظامه من جهةٍ أخرى. ثانيها: الالتزام بنظام " اللسان العربي المبين" الذي نزل القران به ميسَّراً، وجعله مدخلاً وواسطة لفهمه] ص(5_6)

فها هو قراقوش لا يأخذ بقول قراقوش!

وهنا قد يسأل البعض عن جواب الشرط في آية الرعد قيد البحث ما يكون إذن؟

والجواب: أنّه الاحتمالات كلها دفعةً واحدةً. فكلُّ ما تحتمله من جوابٍ داخلٌ في جواب الشرط، والاحتمالات غير متناهية بهذا الخصوص. ولذلك عقّب بقوله (بل لله الأمر جميعاً). وهذا التعقيب لا يشمل جواب الشرط فقط، بل وفعل الشرط أيضاً، إذ كلاهما من جملة الأمر، كما أنَّ فعل الشرط غير محدّد بما ذُكرَ من إمكانات للقرآن من مثل تسيير الجبال أو تكليم الموتى، بل أن التعقيب يظهر لنا جملة فعل الشرط كما لو كان في آخرها ثلاث نقاطٍ دلالةً على كل الإمكانات الإعجازية الأخرى غير المذكورة لهذا القرآن. وعلى هذا فلو كان جواب الشرط هو:

ـ (لكان هذا القرآن) فهذا احتمال وارد.

ـ (لهدى الله به من يشاء) فهو أيضاً وارد.

ـ (لآمن به من يشاء الله)

ـ (لكفر به من يشاء الله)

ـ (لأضلّ به من ..)

ـ (لاهتدى به ...)

.... إلى ما شاء الله من احتمالات. فإن هذه الاحتمالات واردة جميعاً.. وأيٌّ منها إنما يتحقّق، بأمر الله. أو كما قال أهل التجديد في عبارة لهم، كانت لتكفي مع بعض التحوير دون كل هذا التعب الذي راح بلا طائلٍ في سبيل إثبات أن جملة الشرط مع أداتها من مقول الكافرين، والعبارة هي: (ولا يمكن تقديره لتنوعه في الأذهان)، ولنا تحفّظ على هذه العبارة. فإنَّ العلة في عدم تقديره لا علاقة لها بما يتنوّع في الأذهان، وإنما بما يتعدَّد من احتمالاتٍ أخرى غير مُدركةٍ ولا يحيط بها سوى الله تعالى، ولا يمضي أيّاً منها إلاَّ بأمره فقط، لأن الأمر كله له تعالى. وعلى ذلك فلا يمكن وضع تقديرٍ واحدٍ ليكون هو جواب الشرط، لأن معنى ذلك إلغاء لباقي الاحتمالات الممكنة، وهو ما لا يمكن.

لمزيدِ فائدةٍ نقول: أنَّ هناك رواية في كتاب الكافي تؤكّد أن لفظة (قرآناً) التي جاءت في الآية خاليةً من التعريف تشير إلى قرآنٍ فعليٍّ موجودٍ عند أهل البيت عليهم السلام، وهم قادرون به على تسيير الجبال، وقطع الأرض، وتكليم الموتى.. وهذه الرواية تنفي التقدير التفسيري لجواب (لو أنَّ) الذي هو (لكان هذا القرآن)، لأنه كما يتضح من الرواية قرآن مغاير لهذا القرآن!.

وهذا هو نصّ الرواية:

[الكافي ـ الشيخ الكليني ـ ج 1 ـ ص 226

محمد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر، أو غيره، عن محمد بن حماد، عن أخيه أحمد ابن حماد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيا إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه، قال: قلت: إن

عيسى ابن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله، قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره "فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين" حين فقده، فغضب عليه فقال: "لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين" وإنما غضب لأنه كان يدله على الماء، فهذا ــ وهو طائر ــ قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والانس والجن والشياطين [و] المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه وإن الله يقول في كتابه: "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى" وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان، وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون، جعله الله لنا في أم الكتاب، إن الله يقول: "وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين" ثم قال: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء.]

وفضلاً عن ذلك، فهناك قراءة لأهل البيت عليهم السلام للتركيب (أفلم ييأس)، فقد قرأت عنهم عليهم السلام، وعن بعضٍ آخرٍ سواهم هكذا: (أفلم يتبين)!. فقد جاء في تفسير مجمع البيان ما نصّه:

[تفسير مجمع البيان ــ الشيخ الطبرسي ــ ج 6 ــ ص 38 ــ 39

القراءة: قرأ علي، وابن عباس، وعلي بن الحسين عليه السلام، وزيد بن علي، وجعفر بن محمد، وابن أبي مليكة، وعكرمة، والجحدري، وأبو يزيد المزني: (أفلم يتبين) والقراءة المشهورة: ييأس[1]]

وعلى هذه القراءة فلا يصحّ ما قاله هؤلاء:

[فـ "أفلم ييأس الذين آمنوا" من وهم هداية الناس جميعاً] ص33

فالحقُّ أن الوهم هو وهم التجديد لا غير، إذ لا يأس من هداية الناس كلهم، وإنما هذا معلّقٌ على مشيئة الله تعالى كما هو واضحٌ من التعقيب:

---

[1] في هامش تفسير مجمع البيان نقرأ: (وحكي عن ابن عباس أنه قال: كتب الكاتب "أفلم ييأس الذين آمنوا" وهو ناعس)!!!.

(أَفَلَمْ يَيْأَسِ (يَتَبَيَّن) الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (الرعد: من الآية31)

فالمتحصّل من الآية وفق القراءة المغمورة هو بعكس ما قاله أهل التجديد من تيئيس الذين آمنوا من هداية الناس جميعاً، في متابعةٍ منهم لأقوال عامّة المفسّرين. فهي لا تلغي الأمل بهذه الهداية المقدورة بمشيئة الله، وإنما تفتحه واسعاً. فيوماً ما عندما يأتي وعد الله فسيهدي الله الناس جميعاً. ذلك أن لا كافر يومها!.

القاعدة الثانية: الإلمام بعلوم القرآن

في هذه القاعدة تمَّ التركيز على بعض العلوم الضرورية اللازمة للتعامل مع كتاب الله من وجهة نظر التجديد· وهي أربعة علوم: علم الحديث وعلم الرجال وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم القراءة وعلم أسباب النزول· وهذه االعلوم هي ممّا اعتمده الاعتباط التفسيري العام كما لا يخفى، وقد أقرَّ بها هؤلاء كعناوين، وإن حاولوا إضفاء مسحتهم القصدية المنتحلة عليها، إذ في شرح كلٍّ منها تتبدى النظرة القصدية على استحياء، بعد خلطٍ وتشويهٍ كبيرين من الاعتباط· علماً أنَّ القصدية ترفض هذه العلوم رفضاً قاطعاً، بل وتعتبرها وسائل اعتباطية لتضييع مقاصد القرآن، وبالتالي فهي ترفض حتى مجرّد جعلها عناوين في عملية التدبّر القصدي للنظام القرآني، وإنما هي عندها عناوين نقدية تضمّن تعداد التناقضات الاعتباطية فيها مع وضع الحلول للاشكالات المثارة على الموقف القصدي منها· فلنمضِ مع التجديديين في هذه العلوم:

في علم الرجال:

بخصوص علم الحديث والرجال يقول أهل التجديد:

[... فباختصار نستطيع الاستفادة من علم الرواية والرجال بعد التخلص من "مذهبيتها" كمدخلٍ أولي لسلامة سند الحديث فقط لا لسلامة الحديث، حتى لو سلم متنه، وهذا في أحاديث ما يُراد التعبّد به من أعمال، أمّا في غيرها فكلّ حديث ومنطقُه معه أو فساده فيه، ويُعرَض على القرآن فهذا ما أوصى به النبيّ (ص) وآلُ بيته، كجهازٍ معياريّ لا يأتيه الباطل أبداً، عرض الحديث على القرآن، وهذه القاعدة تنفي جملةً وتفصيلاً ما اشتُهر بأن القرآن قطعي الثبوت ظنّيّ الدلالة، فكيف صار ظنّي الدلالة هو الميزان، لكن من افتقد نظام قراءة القرآن يسوغ له أن يقول أنّه ظنّي الدلالة، مع أنّه لمْ يرد أبداً عن الله ولا عن أهل

النبوة والقرآن، القول بأن كلام الله ظنّي الدلالة بل قالوا العكس في مئات الأحاديث!] ص41.

هم بكلامهم هذا عن علم الرجال يتخذون موقفاً متملّقاً للرجاليين خلافاً للموقف القصدي الأصيل، من حيثُ أنهم يخصّصون وظيفته فقط بما يراد به التعبد من أعمال، فهو إذن لازمةٌ فقهيةٌ لا بدَّ منها، للوصول إلى الحكم الشرعي· ولكنهم يتخذون سبيل القصدية بخصوصه فيما عدا ذلك، أي في الجوانب العقائدية وسواها· حيثُ لا بدَّ من عرض الأحاديث من النوع الأخير على كتاب الله لبيان صحتها من فسادها·

فانظر إلى تسليمهم بالأثر الجبار لعلم الرجال في تصفية الروايات المدسوسة والمكذوبة، وانظر إلى حفظهم لمقام الرجاليين وجهودهم المباركة والمثابة!·· ثمَّ انظر إلى وصفهم لهذا العلم على أنه:

[ليس النظام الوحيد لتمييز الصحيح من السقيم من المرويات، لأنه مهما دقَّ فلن يصبح كجهاز المناعة لدى الانسان، ذاك الذي مع كفاءته الطبيعية فإنه يسمح للفيروسات بالنفاذ، وأحياناً أخرى يدرأ ما يصلح من الدخول بل ويهاجم الخلايا السليمة أيضاً] ص(40_41)

فهنا نسأل:

1· كيف تسلمون بأثره الجبار في تنقيح الروايات ثم ترفضون اعتماده في ما عدا العمل الفقهي (أي ما يراد التعبد به من أعمال)؟!·· ولماذا هذا التفريق في أسلوب محاكمة الأحاديث طبقاً لمضمونها إن كان عبادياً أو عقائدياً؟·· فإن كانت عبادية رحنا لعلم الرجال!، وإن كانت عقائدية رحنا للجهاز المعياري الذي لا يأتيه الباطل أبداً؟!

2· إن كان جهاز المناعة يسمح بنفاذ الفيروسات ويقتل الخلايا السليمة أحياناً، فما وجه مقارنة علم الرجال به حتى لا يكون هذا الأخير أدقّ من جهاز المناعة؟!·· فكما ذاك يسمح بنفاذ الفيروس فكذلك هذا يسمح بنفاذ المكذوب والمدسوس، وكما

قد يقتل ذاك السليم من الخلايا، فكذلك هذا (يقتل) الكثير من الروايات الصحيحة. فهما بهذا سواءٌ بسواء. فهذه مقارنة منكم لا تستقيم، بل خاطئة أصلاً مع قولكم التالي الذي أقررتم فيه بأنَّ علم الرجال لم يدرأ الروايات الفاسدة كلها، وكذلك قد يدرأ معها الكثير من الروايات الصحيحة، وهو هذا القول: **(فقطعاً قد درأنا عنّا الكثير من الروايات الفاسدة بمصفاة علم الرجال وعلوم الرواية لكنّا لم ندرأ الكلّ، ومن جهةٍ أخرى فإنّا قد درأنا وأسقطنا بهما الكثير من الروايات الصحيحة..)** ص41

3. قد سلّمتم بأن القرآن هو نظامٌ محكمٌ وبالتالي فهو المرجع وهو المقياس. فكيف جاز لكم وصف علم الرجال بأنه نظامٌ وله دقته وإن كانت لا تصل لدقة جهاز المناعة كما تشي بذلك عبارتكم: **(وليس هو النظام الوحيد لتمييز الصحيح من السقيم من المرويات، لأنه مهما دقّ فلن يصبح كجهاز المناعة لدى الانسان..)**؟. فلو كان علم الرجال نظاماً لأمكن أن يطوِّرَ شيئاً فشيئاً طالما أن عناصره وأسسه صحيحة.. لكنه ليس نظاماً وما كان نظاماً قط ويدلُّ على هذا ذلك الاختلاف المستديم بين الرجاليين، بل بينهم وبين أنفسهم في تحديد وثاقة الرجال.. فكم تراهم وثقوا ثم جرّحوا ثم عادوا ووثقوا.. وهكذا!..

4. ما هي الأنظمة الأخرى بخلاف هذا النظام غير الوحيد؟. وما الذي يجعلكم تضطرون لهذا النظام ما دام هناك غيره مما هو أدقّ منه؟!

5. كيف يجوز لنا أن نتهم علم الرجال باسقاط الكثير من الروايات الصحيحة كما قلتم.. إلاَّ إذا كان لدينا علمٌ مسبقٌ بأنها صحيحة؟!!. وإذن فكيف علمنا بصحتها؟!!. قد تقولون: بعرضها على كتاب الله!.، فنقول: ألديكم منهجية ما للعرض، فهلاَّ أظهرتموها؟. فهي لوحدها كافية ولاحاجة لعلم الرجال من بعدها ما دامت ستصحِّحُ لكم أصلاً. أم أنّ هذا هو مجرد حديث منكم مبني على الافتراض الذي لا يستبطن سوى الفراغ؟!. ثمَّ إذا كان علم الرجال قد أسقط من الروايات الكثير كما تقولون، فبالتأكيد أن منها ما يخص العبادات مثلما أن منها ما يخص العقائد فكيف نتوسل به في تصحيح ما يخصُّ الأولى دون تصحيح ما له علاقة بالثانية؟. وكيف تعلمون أن بعض الروايات الخاصة بالعبادات هي صحيحة ولكنها أسقطت بسبب علم الرجال وأدواته؟، والحال أنها ما صحَّت عندكم إلاَّ عبر نفس

هذا العلم، ولا يمكن لكم الادعاء بأنها صحّت عبر نظام العرض على كتاب الله لأنكم خصصتم نظام العرض لتنقيح الأحاديث الاعتقادية دون أحاديث العبادات؟!!

6. أنتم تقولون: **(فباختصار نستطيع الاستفادة من علم الرواية والرجال بعد التخلص من "مذهبيتها" كمدخلٍ أولي لسلامة سند الحديث فقط لا لسلامة الحديث، حتى لو سلم متنه،..)**.

لكننا نعلم (وأنتم تعلمون أيضاً) أن المذهبية لا أثر لها جوهرياً في عملية التصحيح الرجالي كأسلوبٍ يفترض أن يكون علمياً ودقيقاً بدليل أن رجال المذهب الواحد هم في مستوى من الاختلاف في الحكم على الرجال لا يقل عن مستوى رجال المذاهب المتعددة في اختلافهم الكثير فيما بينهم.. فهل يصحّ بعد هذا حلّ مشكلة علم الرجال وزيادة دقته عبر مجرد درء المذهبية فقط!. المشكلة في هذا (اللاعلم) ليست في مذهبيته، بل في جوهر ما هو عليه، فهو محض اعتباطٍ تريدون تسويد وجه القصدية الناصع به من خلال تنظيركم المتناقض لا أكثر ولا أقلّ!.

وسؤال: هل ترون التناقض الواضح في عبارتكم أعلاه؟!!

انظر أخي القاريء الكريم وتأمل: من أين لهم أن متن الحديث سليماً حتى يقولون (حتى لو سلم متنه)؟. وعلى فرض أنهم وجدوا طريقةً قاطعةً لسلامة المتن.. فما الحاجة لسند الحديث حتى يمر من خلال فلتر (المذهبية) ذلك الموصوف عندهم بالمدخل الاولي لسلامة سند الحديث؟!!.. أفلو لم يكن سنده سليماً أيسقط الحديث بعدما تحققّت سلامته متناً؟!!. أقول: لا لن يسقط ولو سقط لكان في هذا مخالفةٌ لأمر المعصوم (ع) القاضي بجعل سلامة الحديث رهناً فقط بتوافق متنه مع كتاب الله.

7. لو قارنا موقف هؤلاء هنا بموقفهم في آخر كتابهم موضوع (ثوابتنا حول القرآن) لبان التناقض الجلي.. فانظر إلى ما يقولون فيه:

[لا يعلو على كلام الله كلام، <u>والمرويات الشريفة مهما كانت</u> فينبغي ان تخضع للقرآن ليصدقها لا العكس (نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه) (آل عمران: 3)] ص160

لاحظ هنا ما تحته خط (والمرويات الشريفة مهما كانت). فالمرويات مهما كانت لا بدّ من خضوعها للقرآن ليصدّقها، فأين هم في ثابتهم هذا من قاعدتهم التي

فرّقوا من خلالها الأحاديثَ إلى ما يراد التعبد به من أعمال، فعلينا حينها بعلم الرجال، والى أحاديث أخرى غيرها، فعلينا عرضها على كتاب الله؟!.

أين العمل من النظر يا هؤلاء؟. وما هذه التناقضات الفاضحة؟.

ألا حقاً: إنَّ الله لا يصلح عمل المفسدين!!

فهل رأيتم الآن أيها التجديديون كيف شوّهتم قصديتنا النظيفة في هذا الموضوع عن علم الرجال المرفوض من قبلها جملةً وتفصيلاً.

أخي القاريء الكريم.. إليك النص التالي من كتاب النظام القرآني، وهو مستلٌّ من الملاحق في آخر الكتاب الصفحات (425ـ427)، وهو كافٍ لبيان وجهة نظر القصدية حول هذا الموضوع. وهي وجهة نظر تتكرّر عبر مؤلفات المرحوم النيلي عموماً. والمطلوب أن تقارنها بما يقوله هؤلاء لترى الانتحال كيف يبدع في التشويه!:

[... النص الثالث عشر

عن محمد بن مسلم عن جعفر بن محمد (ع) مع قوله: (كلُّ ما حدّثتكم بـه فهـو عـن رسول الله "ص")، قال: (يا مُحمّد مَا جَاءكَ في روايةٍ من برٍّ أو فاجرٍ يوافق القرآن فخُذ به وَما جَاءكَ في روايةٍ من برٍّ أو فاجرٍ يخالف القرآن فلا تأخذ به)

يدلُّ الحدث دلالةً واضحةً وأكيدةً على أن القرآن هو نظامٌ مستقلٌّ بنفسه حاكمٌ على الأحاديث غير محكومٍ بها، وينتج من ذلك فوراً:

أولاً: مخالفة علماء الأمة للوصايا، حينما قاموا بعملٍ معكوسٍ وهو تفسير القرآن بالسنّة مع الجهل بنظام القرآن، والشكّ في صحّة السنّة متناً وسنداً.

ثانياً: مخالفتهم للنصوص حينما قاموا بابتداع علمٍ لمعرفة الرجال، حيث ترى هذه النصوص أنَّ هذا العلم لا منفعة فيه. فالقرآن هو الذي يحكم على الحديث لا الرجال.

وللمنهج معهم مناقشةٌ أخرى طريفةٌ خلاصتها إنَّ الحكم على وثاقة الرجال وضعفهم يتمّ عندهم بالرجال أيضاً. فأين هي الدلالة المنطقية على الوثاقة والضعف مع وجود هذا (الدور) أو (التسلسل)؟. اللهمّ إلاّ أن يكون صاحب الرجال ومن يروي عنهم يدّعي أنّه ثقةٌ في نفسه.. ولذلك كانت الأقوال متضاربةً في رجالٍ يعدُّون بعشرات الألوف، ولم تنتهي إلى رأيٍّ موحّدٍ في واحدٍ منهم عند نفس المذهب، فكيف بالمذاهب المختلفة؟

ثالثاً: إنَّ الانشغال بتوثيق الرجال عن علوم القرآن جعل الأمر كلّه بالمقلوب، وجعل علم الرجال نفسه علماً مشكوكاً فيه، لكونه من العلوم التي ابتدعها الرجال. وفي أكثر الأحيان كان هذا العلم يخضع خضوعاً تامّاً للاتّجاهات المذهبية، فيوثّق من هو ضعيفٌ عند الخصم، ويضعّف من هو موثوقٌ عنده سواء كان الخصم من مذهبٍ آخر أو من نفس المذهب، إذ يكفي أحياناً الاختلاف في مسألةٍ واحدةٍ لحدوث التخاصم. وكان نتيجة ذلك أن يُبنى تفسير الآية على روايةٍ وثيقةٍ جداً عند أحدهم وقتَ هي ضعيفةٌ جداً عند الآخر.

إنَّ حديث الإمام (ع) الآنف الذكر ينسف هذا العلم من جذوره بجعله المُتن نفسه خاضعاً للقرآن.. فما وافقه أُخِذَ به، وما خالفه لم يؤخذ به بغضّ النظر عن الراوي برّاً كان أو فاجراً.

فأين هو هذا الكلام المحكم للإمام (ع) والذي هو حسب النصّ كلام النبي (ص) من تلك الطرائق التي تخلط الأمور وتضيّع الحقائق؟ بل أين هو من التطبيق الفعلي؟

إنَّ في أساليب التعامل مع الحديث وروايته وكيفية الاستناد عليه مهزلةً حقيقيةً من مهازل العلم. فإذا أراد الشارحُ الانتفاع بالرواية مع فساد الراوي فسريعاً ما يجد المخرج حينما يذكّرك بنصٍّ يؤكّد على أنَّ الله تعالى (جعل الحقَّ على لسان قومٍ لا خلاق لهم يروونه بألسنتهم دون قلوبهم).

وحينما يحتاج إلى تفنيد الرواية لأنَّها لا تنسجم مع مراده يجد مطعناً في الراوي وإن كان من الثقات، بأن يحاول العثور على من يطعن فيه ولو كان من خصومه هو متناسياً قواعده المذهبية كلّها.

~~إنَّ المنهج اللفظي يخلّص الأمة من علم الرجال إلى آخر الدهر، وهو ينفّذ الوصايا الخاصة بذلك: فيأخذ بالنصّ الذي يوافق النظام القرآني، ويرفض النصّ الذي يخالفه كائناً من كان قائله، ويزيد على ذلك احتمالاً ثالثاً للاحتياط هو التوقّف عند النصّ الذي لا يمكن تمريره في النظام القرآني، ولا يمكن رفضه في آنٍ واحدٍ فيتركه لعلّه ينكشف في مراحلَ لاحقةٍ.~~ ص(425_427)

وإذن ففارقٌ بعيدٌ بين استقامة القصدية على موقفٍ واحدٍ من مباحثها، وبين تناقضات المنتحلين في نفس المبحث، بما يشكّل دليلاً مضافاً على الانتحال السافر بل والأدهى تعمد التشويه في الانتحال حتى لا تبقى قائمة للمنهج المنتحل!

في علم الناسخ والمنسوخ:

قال هؤلاء:

[وينحصر النسخ بين الشرائع حسب منطوق آية النسخ وتبَعَ سياقها (البقرة-160)] ص42

وآية النسخ المقصودة هي:

(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(البقرة:106)

ليس في منطوق الآية ولا في السياق الذي جاءت فيه ما يدلُّ على نسخ الشرائع، وإنَّما نسخ الشرائع هو أحد الوجوه التي قال بها بعضُ المفسّرين. ووجوه التفسير هذه لا اعتداد بها ما لم يعضدها دليلٌ من الكتاب نفسه. وما من دليلٍ في القرآن على وجود النسخ في الشرائع، وإنما فيه الأدلَّةُ على ما هو عكس ذلك تماماً. فيه التصديقُ لهذه الشرائع، وفيه الأمرُ بإقامتها!.

وهنا ننقلُ نصَّاً من كتاب طور الاستخلاف للمرحوم النيلي يبيّن هذه الحقيقة:

[ولقد أكد علماء الإسلام على نسخ التوراة والإنجيل بالقرآن.. ولكن القرآن نفسه لم يذكر هذا النسخ بل ذكر التصديق وأكَّد عليه، أفترى أنت أن التصديق نسخ أم تثبيت وشهادة بالصدق؟.

فإن قالوا أن التصديق للتوراة والإنجيل اللذَين أُنزلا من الله ــ ولا وجود لهما الآن. قلنا كيف إذن يطالب القرآن بإقامتها وتنفيذ تعاليمها عليهم إن لم يكن فيها شيء مما أنزل الله؟ وكيف يكونا قد وجدا في عهد نزول القرآن واختفيا من بعده؟.

وكيف يأمرهم على لسان النبي (ص) في موضع المحاججة أن يأتوا بالتوراة لتكون حكماً في موضوع الخلاف فيقول:

(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (آل عمران:93)

وكيف يقول إذن (فِيهَا حُكْمُ الله) إذا كانت تخلو مما أنزل الله؟

وكيف يقول: (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ) (الأعراف: من الآية157)

فبالتصديق وحده وبالاحتواء للكاتبين كونهما منزلان من الله تكون الهيمنة للقرآن، وعند الفصل واعتبارهما منسوخين تماماً لا تكون الهيمنة للقرآن عليهما أبداً.. ومن هنا نقول أن فكرة النسخ للتوراة والإنجيل فكرة خرجت منهم وتعود إليهم وآمن بها المسلمون جهلاً بكتابهم ودينهم.. كانت الغاية منها إفراغ القرآن من محتواه الشمولي وقدرته على احتواء الكتابين والهيمنة عليهما:

(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (البقرة:97)

(قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ) (البقرة: من الآية91)

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (البقرة:101)

(وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ)

(فاطر:31)

(مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف: من الآية111)

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)

(المائدة: من الآية48)

فانظر كيف يقول الله أنه مصدّق لما معهم وهم يقولون ناسخ، والنسخ نقيض التصديق إذ النسخ إلغاء والتصديق تثبيت وشهادة بالصحة والصدق. وكلُّ ذلك لإخراج الكتاب من صفة الهيمنة على الكتاب السابق، وتمييع المحاججة به وإضاعة المطالبة بإقامة التوراة والإنجيل والذي إن فعلوه اضطروا إلى الرجوع للقرآن المصدّق لما معهم والمبين لما اختلفوا فيه فيفتح ذلك الطريق للإيمان به وتوحيد الملل في النهاية.. ولذلك جمع القرآن إقامة الثلاثة في آية واحدة فقال:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) (المائدة:66)] ص(138_139)

وهناك كلامٌ آخرٌ للمرحوم النيلي قبل هاتين الصفحتين عن نفس الموضـــوع، فراجعه، لتعلم أنَّ نسخ الشرائع فكرة لها غايةٌ هي بالضدّ من هذا الدِّين، وأنَّها مـــن بنات أفكار الكافرين به·

وهذا نصٌّ آخر لهؤلاء يبيّن أنهم يتأولون خلافاً لكلام الله تعالى، وخلافـــاً لمـــا يدعون إليه من نظامٍ محكمٍ في كتابه الكريم:

[بعبارةٍ أخرى أنَّ النسخ لم يكن بين آيات القرآن، بل بين أحكامها في الواقع..] ص43

وهذا الكلام يخالفُ تماماً صريح آية النسخ التي تقول بأنَّ النسخ واقـــعٌ علـــى الآيات لا على أحكامها!· وبالطبع فإنَّ لهم غرضٌ من هذه العبارة يتَّصل بما قـــالوه قبل هذه الفقرة في هذا النص:

[وما يقال بأن آية كذا نسخت آية كذا يبقى صحيحاً أيضاً في أعمال ذلك الظرف، أما الآن فأي الظروف عادت تعود آيتها وحُكمها معها أكانت ناسخة أم منسوخة في ذلك الظرف السحيق] ص42

فانتبه أخي القاريء إلى مغزى هذا الكلام الخطير· فهو يعني أن افتراض عودة الظروف التي كانت عند نزول الآيات التي تتحدّثُ عن الخمر قبل تحريمها مثلاً هو افتراضٌ قائمٌ ويستلزمُ نسخ حكم الآيات التي تحرم الخمر فتعودُ الخمر حلالاً!· ولما كان التجديد يريد أن يأخذ مقام صاحب النصّ كما سوف تلاحظ لاحقاً، فهو إذن من سيحدّد طبيعة هذه الظروف!·· فهذا هو الغرض من كلامهم أوضحناه لك جلياً· وقس على هذا المثال ما تشاء من أحكام وردت في الآيات العبادية التي فتحوها للرجـــال وعلم الرجال ليدلو فيها بدلوهم من تحديد للناسخ والمنسوخ، ثم انظر أيَّ شريعة تبقى على أصولها من دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن استلمها أهل التجديـــد بهذا الحكم العظيم؟!!

في علم القراءة:

الغريب في هؤلاء أنهم إذ يلفتون الأنظار إلى نظام القرآن الكريم، وإذ يقدّمون تنظيراً لهذا النظام يدّعون فيه الوجاهة بقصد نسفِ فهم السلف كما يقولون· لكنهم في التطبيق العملي لتنظيرهم يخلطون حابلاً بنابلٍ بشكلٍ يُظهرُ أنهم يفتقدون للمنهجية الواضحة التي يتَّسق أولُّها مع آخرها اتساقاً منتظماً، ويرتبط نظرها بعملها ارتباطاً وثيقاً· وبانَ هذا جلياً في كلامهم عن علم القراءة الذي يتقاطع محتواه تماماً مع فكرة كون القرآن الكريم نظاماً محكماً· فهم يقولون:

[فتغيّر الحركات لا بأس بها مثل "إن يَسرِق، إن يُسرَق" لو ثبتت هذه القراءات] ص45

ويقولون:

[أما القراءة التي تُبدّل في الرسم مثل "العظام كيف ننشزها، أو ننشرها" وكذا "الرياح نُشراً، أو بُشراً" فهذا من تبديل الحرف القرآني، والمنطق يقول أنه خطأ نُسّاخٍ قبل عصر التنقيط حيث الباء بلا نقطة تشتبه مع النون، وكذلك السين مع الشين، وبين الزاي والراء] ص45

ويقولون:

[أن طرائق النطق بالآيات من مد ووصل وإمالة واختلافها بين القراء فلا نظنها من علم القراءة في شيء كقراءة "طه" (طاها أو طاه)، بل هي من شئون التلاوة حسب اللهجات العربية واعتيادية ألسنها النطقية.... وهذا النوع ليس له دور في تغيير المعنى القرآني لدى الباحث] ص(45_46)

نقول: كلُّ هذه الأقوال تتعارض تماماً مع جوهر النظام القرآني الذي يرفض بتاتاً تعدّد القراءات تحت أي اعتبارات· ذلك أن هناك قراءةً واحدةً هي المسموح بها ضمن النسيج القرآني الدقيق· وعليه فلا يمكن الادّعاء أن تغيُّر الحركات مما لا بأس به، إذ المعلوم أن نظاماً محكماً دقيقاً لو عبث به بأقل القليل لظهر أثر هذا العبث

على مجمل النظام وربما بشكلٍ كارثي إن آجلاً أم عاجلاً، وبغير هذا فإن وصفه بالنظام لن يكون سوى محض ادّعاء· كما أن القراءة أساساً هي من المتكلم الذي هو الله عزَّ وجلَّ ولا يمكن تبرير تغيّرها بحجَّة اللهجات العربية واعتيادية ألسنها النطقية، وهي اللهجات التي لا ضابط لها ولا جامع يجمعها والتي من الشرك الظاهر أن تكون الحاكمة على مقاصد نصٍّ إلهيٍّ قال تعالى:

(لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)

(القيامة: 16_18)

ثمَّ أن الادعاء بأنها من شؤون التلاوة لا القراءة فهو مسخرة أخرى· فمن ادعى يوماً أن التلاوة ما كانت يوماً قراءة؟!!· وإنَّما يفترض بعلم القراءة أن يكون ضابطاً للتلاوات، فلا يسمح بتعددّها طبقاً للهجات والألسن·

فالأمر ليس كما يقولون من أن تغيير القراءات عبر اللهجات لا دور فيه في تغيير المعنى سواء لدى الباحث أم لدى القرآن نفسه واقعاً·

وبعد هذا فهم لم يقترحوا لنا طريقةً لتحديد أصل القراءة التي من خطأ النسّاخ؟!·· فما الأصلُ: ننشرها أم ننشزها؟ بُشراً أم نشراً؟· كما ولم يحدّدوا الموقف من تلك القراءات المسمّاة بالشاذَّة· فهل ستبقى عندهم بنفس وصفها عند أهل القراءات أم لا بدَّ من طريقةٍ للنظر إليها انطلاقاً من فكرة النظام المحكم للقرآن؟·· هذا ما لم يبيّنوه·

الحسنة الوحيدة للمنتحلين في هذا الموضوع هو مطالبتهم بالانتصار للقرآن عبر رفض التخريجات المزعومة للنحويين وغيرهم· ولكن هذه التخريجات نفسها قائمةٌ في الكثير منها على اختلاف اللهجات وتغير الحركات وتبديل الحرف القرآني· وهي الأمور التي أقرّ هؤلاء بوقوعها في كتاب الله، ولذلك فهذه المطالبة لا تصحُّ إلاَّ برفض هذه الأمور منذ البداية· هذا فضلاً عن تعارضها مع ثابتهم المزعوم الذي تراهُ في أواخر كتابهم المفاتح، والذي يقول:

[القرآن هو النص الوحيد الذي لم تمسه يد التحريف والتزوير ولا الزيادة والنقصان بضمان رباني محقّق، لا التوراة ولا الانجيل ولا المرويات، بل ولا كتب التاريخ أيضاً] (انظر إلى موضوع ثوابتنا حول القرآن) ص160

ليتفضّل من يقول أن تغير القراءات وابدال الاحرف واللهجات ليست من التحريف، ليتفضّل ومرحباً به· ولكن بشرط أن لا يَّدعي ما لا يؤمن به في قرار نفسه، وأن لا يدعي أن القرآن نظامٌ محكمٌ وأنه القصدُ شاخصاً، فمثلُ هذا إذ يفعل ذلك فكمن يجمع المتناقضات في كيسٍ واحدٍ ثمَّ لا يبالي، فهكذا يفتضح الفاجر[1]!

ما سبق يدلُّ دلالةً قاطعةً على أن أمر هؤلاء في سراتهم هو انتحالٌ لم يحسن التطبيق بعد إذ لم يحسن الفهم، بل وتعمَّدَ التشويه المكشوف لأغراضٍ مكشوفةٍ· فالمنهجية القصدية سائرة على نسقٍ واحدٍ مستمدٍّ من حقيقةٍ أساسيةٍ متفرّدةٍ هي (النظام القرآني) بكلِّ ما تعنيه كلمة (نظام) من معنى· ولا يخفى مثل هذا المعنى الذي من توابعه ارتباط عناصره بعلاقاتٍ متَّسقةٍ يؤدي بعضها الى كشف البعض الآخر، ويرتبط بعضها ببعضٍ، ولكلٍّ منها دوره ضمن النسيج العام لهذا النص الشريف·

وهنا نثبت الموقف القصدي من مسألة تعدّد القرآءات نقلاً عن كتاب النظام القرآني:

[القاعدة السادسة : في إبطال تعدّد القراءات

لا يجوز للباحث في هذا المنهج الاعتقاد بصحة جميع القراءات للفظ الواحد ويتوجّب عليه الاخذ بالقراءة التي تطابق النظام القرآني ولو كانت شاذة· وعند غياب القراءة المطابقة للنظام يجب التوقّف أو المرور من طريق آخر أو الترك] ص37

وما يلي تفصيلاً لهذه القاعدة كما تراه في صفحة (127) من الكتاب أعلاه:

[إنّ القراءة المحددة في هذا المنهج لها أربعة مستندات:

الأول: إنّ القرآن قد أشار إلى أن قراءته من عند الله لا من عند أحد من القرّاء·

---

[1] (إنما يفتضح الفاجر) من كلام السيدة زينب عليها السلام، ونقلنا العبارة من مقال جمعية التجديد المذكور في ملحق هذا الكتاب!

والدعوى القائلة أن هؤلاء القرّاء أخذوا القراءة عن النبي صلى الله عليه وآله هي دعوىً باطلةٌ من أصلها لأنَّ الثابت في التفسير والنحو وعلم البلاغة من قراءات نُسبت لأهلها اجتهاداً لا نصّاً كما هو واضح. وشهرة بعض القرّاء دون بعضٍ لا تتكفّل بإثبات عكس ذلك، ودعوى تواتر سبع قراءاتٍ فيها أكثر من إشكالٍ: أولها الاختلاف الشديد في معنى السبعة ثانيها الخلط بينها وبين الأحرف السبعة وثالثها نقصان عدد الرواة عن الحدّ المخصص للتواتر دوماً، فإطلاق لفظ (متواتر) على بعض القراءات لا يعني تواترها وفق قواعدهم.

أما الذي ذكره الله تعالى عن قراءته فهو في قوله تعالى:

(إنَّ عَلَيـنا جَمعَهُ وقُرآنَهُ. فإذا قَرأنَاهُ فاتّبِع قرآنَهُ. ثُمَّ إنَّ عَلَيـنا بَيَانَه)

(القيامة: 16_18)

فتدلُ هذه الآيات على أن توليف القرآن وهو ما سمّاه المنهج بالترتيب وقراءته هي من شؤون المتكلّم لا من شؤون المتلقي. ولمّا كان اللفظ يتغيّر في معناه عند تغيير القراءة فتغيّر المعنى وتردّده بين عدة وجوهٍ لا يجوز عليه تعالى.

الثاني: ورود الروايات التي تشير إلى أنَّ قراءة اللفظ هي واحدة وان الاختلاف جاء من قبل الرواة أنفسهم. وتلك الروايات ليست بعيدةً عن متناول الجميع، فهي مبثوثةٌ في كثيرٍ من المصادر. وسيأتيك بعض منها في الملاحق الخاصة بالكتاب في آخره.

الثالث: يكشف المنهج أنَّ القراءات في كثيرٍ من الأحيان لم توضع على مقياسٍ معلومٍ أو منهجٍ علميٍّ. ففي المثال الذي سيسوقه المنهج قريباً تجد أنَّ أحد الألفاظ قرأه ستةٌ من القرّاء السبعة بصورةٍ مختلفةٍ عن قراءة السابع، ومع ذلك ثُبّتَتْ في المصحف قراءة السابع وهُجرت قراءةُ الستة؟. وقد وجد المنهج اللفظي أنَّ هذه القراءة التي رواها هؤلاء الستة هي الوحيدة التي تسمح له بالمرور وفق النظام المحكم، وهي الوحيدة المطابقة للنظام القرآني.

الرابع: إنَّ المنهج لا يمكنه الحركة مع الاعتقاد بتعدّد القراءات كما هو واضح الآن، لأنَّ التعدّد معناه تعدّد المعاني المحتملة للفظ الواحد وهو بخلاف قواعد هذا المنهج. أمّا قول المفسّرين في اللفظين إذا قُرِءا بصورةٍ مختلفةٍ (وهما بمعنى واحدٍ)، وكذلك قولهم في الألفاظ المتعدّدة إذا قُرِأت (وهي جميعاً بمعنىً واحدٍ)، فهو قولٌ باطلٌ وفق رؤية هذا المنهج للألفاظ والحركات. وسيثبت بطلانه في مبحثٍ مستقلٍ خارج هذه المقدمة] ص127

وبوسع القاريء الكريم أن يذهب إلى كتاب النظام القرآني من أجل قراءة مثالٍ من الأمثلة الخاصة بنقد القراءات الذي يطالبُ به التجديديون كما تبيَّن من أقوالهم السابقة ليتضح له الفارق بين نقدهم والنقد القصدي. والمثال هو قوله تعالى:

(أَقَتَلتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيرِ نَفسٍ لَقَد جِئتَ شَيئاً نُكرا) (الكهف: 74)

حيث قُرِأَ اللفظ (زكية) بقراءة أخرى هي (زاكية) وكلاهما بمعنىً يختلف عن الآخر تماماً حتى وفق المعجم العربي المعتاد!، ومع ذلك فهذه قراءة، وتلك قراءة!- ولكن ثُبِّتَتْ في المصحف قراءةٌ لم يقل بها سوى واحدٍ فقط من القرّاء المعتمدين دون سواه من القرّاء الآخرين· أجل فقد ثُبِّتَتْ القراءة المغلوطة بحسب النظـــام القرآنـــي وبحسب حتى المنطق التفسيري المعلوم وتُرِكَت القراءة الصحيحة بحسب هـــذين!·· فراجع ص130 موضوع (مثال على القراءة المثبتة خلافاً للنظام القرآني) من كتاب النظام القرآني·

علم أسباب النزول:

في أسباب النزول رواياتٌ تبلغ بالآلاف لدى أهل السنّة، وربما بالمئات لدى الشيعة· وحسب السيد محمد حسين الطباطبائي في كتابه (القرآن في الإسلام) فإنها لا يمكن الاعتماد عليها لتناقضاتها الكثيرة جداً، ولذلك قال بشأنها:

[إن ورود هذه الأحاديث المتناقضة المتهافتة لا يمكن حمله إلاّ على أحد محملين: إما أن نقول إن أسباب النزول هذه نظرية اجتهادية وليست بنقلية وكان كل محدث يحاول أن يربط بين قصة ما والآية ربطاً لا حقيقة له في الخارج، أو نقول بأن هذه الأحاديث كلها أو جلها مدسوسة ليس لها ظل من الواقع ·

مع ورود هذه الاحتمالات تسقط أحاديث أسباب النزول عن الاعتبار، ولهذا لا يمكن الاطمئنان حتى على الأحاديث التي أسانيدها صحيحة، لأن صحة السند يرفع الكذب عن رجال السند أو عدم تضعيفهم، ولكن احتمال الدس أو أعمال النظر الخاص يبقى بحاله] القرآن في الإسلام/السيد محمد حسين الطباطبائي (124_125)

وقال أيضاً:

[وليعلم أن الأهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العالمية الدائمة (كما سنفصل ذلك فيما سيأتي) لا تحتاج كثيراً أو لا تحتاج أبداً إلى أسباب النزول] ص126

وإذن فليس من علمٍ حقيقيٍّ يُدعى (أسباب النزول)، ذلك لأنه عبارة عن مرويات حالها حال غيرها لا بدَّ من التحقُّق منها قرآنياً من خلال عرضها على القرآن كما أمر أهل البيت (ع)·

فذِكْرُ التجديدِ لهذا العلم واعتباره مقدمة من مقدمات الالمام بعلوم القرآن هو نوعٌ من التملّق للخط الفكري المخالف لأهل البيت (ع)، بل وفتح بابٍ خلفيٍّ لتدخُّل الاعتباط وآراء الرجال في تفسير القرآن، ولا يمكن أن يكون عن قناعةٍ حرّةٍ به كعلمٍ مستقلٍّ كما ادّعوا حسب هذا النص:

[على أن هذه المعرفة ينبغي أن تتحصل بلا سموم وقيود وإصر على العقول، بل بقناعة حرة، لا بالهوى. ونثبت هنا قناعتنا الموجزة في بعض هذه المقدمات لنعتق النص القرآني من أغلالها] ص40

ولو كانوا صادقين في دعواهم عتق القرآن من أغلالها لرفضوا هذه المقدمات المذبورة فوراً، لأنها لا تتفق مع حقيقة النظام المحكم للقرآن الكريم. ولكنهم بدلاً من ذلك وجّهوها توجيهاً آخر يهدف للابقاء عليها تملّقاً وتشويهاً للقصدية الأصيلة كما قلنا.

وفي موضوعهم هذا نقرأ:

[علم أسباب النزول هو في الأحكام والوقائع خاصةً من حوارات وتساؤلات وأحداث وأقضية، وهو مفيد في جلاء الآية لا أنه مفسر لها، على أن هذا العلم يؤخذ من الروايات الصحيحة لا من هوامش التفسير التي تجمع المعقول باللامعقول] ص47

فهنا نجد أن مستند (علم) أسباب النزول هو الأحاديث الصحيحة. وإذا كان الأمر هكذا فلا حاجة لنا به إذن، لأن الروايات الصحيحة تتكفّل بنفسها في جلاء الآيات القرآنية.

لكن صراحةً لا ندري كيف أن هذا العلم يفيد في جلاء الآية دون تفسيرها!. فما المغايرة التي يقصدونها بين جلاء الآية وتفسيرها، إذ المفهوم أن الآية تتجلي على فرض غموضها من خلال تفسيرها، وألاّ فكيف تتجلي؟!

لكنهم عادوا ليناقضوا عبارتهم السابقة بما ذكروه لاحقاً:

[لكن لا مشاحة أن مناسبة النزول الصحيحة خيرُ مُعين على معرفة بعض الآيات وتفسيرها لا سيما آيات الأحداث والجدال الحركي] ص48

ولهذا فنحن في حيرةٍ من المنطق التجديدي المتناقض بعد إذ نتساءل: هل يفيد هذا العلم في التفسيرأم لا يفيد؟!!

إن الفقرة الأخيرة جاءت استدراكاً على موقفٍ آخر لهم من هذا العلم هو في كون القرآن قد انعتق عن حصرية الزمان والمكان والأفراد والظروف الأولى.. قالوا:

[أما بعد تحرّر القرآن من ذلك العصر ومن شخصياته وأقضيته وأحداثه، عاد القرآن إلى عالميته منعتقاً عن حصرية الزمان والمكان والأفراد والظروف الأولى، كما كان –مُطلقاً– وكما أريد له..] ص47

فانظر إلى الخلط في عباراتهم:

1. كأنَّ علم أسباب النزول كان لازماً لأوائل المسلمين المعاصرين لزمان نزول النص!. ولكنَّ هذا مردودٌ بما هو معلومٌ من أن هذا العلم تأسَّس لاحقاً، ولم يكن معلوماً للأولين.

2. بعد عصر الأوائل عاد القرآن إلى عالميته وإطلاقه، وبالتالي فلا حاجة لعلم اسباب النزول. وكان هذا الموقف ليكون صحيحاً لو اعتقدوا به صفةً شاملةً للقرآن لا تتحدّد بعصرٍ دون عصر.

3. كون القرآن قد عاد إلى عالميته تعني أنه كان قبل المعاصرين للنزول عالمياً ومطلقاً!!.. ومن يدري فقد يكون هو منزّلاً ومعمولاً به على وفق عالميته قبل نزوله المعلوم.. والخبر اليقين بهذا الخصوص موجودٌ لدى أهل التجديد!

الحقُّ أن علم أسباب النزول هو من ضمن التنظير الذي يستهدف تحجيم النص الشريف.. وقد قال النيلي بهذا المعنى ما يلي:

[وبصفةٍ عامّةٍ تَمَّ إدخَالُ كُلِّ المفاهيمِ الجاهليَّةِ لِتَكونَ جُزْءاً مِنْ مفاهيمِ الاصطلاحِ الدينيِّ وتَحْجيمِ المُرَادِ والمَقصودِ مِنَ النصِّ القُرآنيِّ ليكونَ مُرْتَبِطاً بأشْخَاصٍ مُعَيَّنينَ ومَوَارِدَ مُحَدَّدَةٍ بأسبابِ النزولِ. وقَدْ تَمَّ بِفَضْلِ هَذا التَّخطيطِ تَحويلُ النصِّ الإلهيِّ إلى تاريخٍ وتُرَاثٍ بَدَلاً مِنْ أنْ يَكُونَ فِكْرَاً مَفْتوحَ الدَّلالَةِ زَمَنياً. فَأصْبَحَ المرءُ يَتْلو الآيَةَ ولا يَخْطِرُ في بالِهِ إلاَّ عَبْدُ اللهِ بنُ أبي سلول وأصْبَحَ يتلو سُورَةَ النَّصْرِ ولا يَخْطِرُ بِبالِهِ إلاَّ فَتْحُ مَكَّةَ وَهَكَذا..] كتاب الشهاب الثاقب للمحتج بكتاب الله في الرد على الناصب أحمد الكاتب.

وحسبما ذكر النيلي في فقرةٍ لاحقةٍ، فالمتَّهم الأول في هذا التخطيط هو بعض رجالات العصر الأول ممن ذكر التنظير البائس لعلم أسباب النزول أن جملةً من آيات الكتاب نزلت موافقةً لقوله، ومخطّئةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وقد صنّف هذا التنظير عديداً من المؤلفات وكلها فيها لفظة (موافقات..)!

القاعدة الثالثة: فوقية القرآن عن الاحاطة البشرية

ما أدرجه التجديديون من كلامٍ تحت هذه القاعدة مستلٌّ بكامله من عموم المؤلفات القصدية· فمثلاً قولهم التالي:

[..عليه الاعتقاد الجازم أن الذكر الحكيم فوق كلام البشر، لغةً، وصياغةً، ومعنى، ومضامين، فليس كلّ حرفٍ فيه وكل كلمة وكل جملة كما هي لدى البشر، فلا طاقة للبشر على الاتيان بمثله، وفرع ذلك أن لا طاقة لهم على فهمه كاملاً] ص48

فأقرأ التنظير الأصل لهذه القاعدة في كتاب النظام القرآني من خلال هذه الفقرات المستلة:

ا· **[يؤمن هذا المنهج أن المخلوق قاصرٌ عن الإحاطة بكلام الخالق قصوراً دائماً· ومعنى ذلك أنّه مهما بلغ من المعرفة بالقرآن فسيظلّ محتاجاً إلى النظر فيه والتفكّر في شأنه·]** ص11

ب· **[إذن فالنصُّ القرآني متّصلٌ بالموجودات كلّها من خلال اتّصاله (بوحدة القرآن) فلا نهاية للاكتشافات المحتملة من ظاهره، وبالتالي فلا إمكانية لمعرفة باطن النصّ معرفةً تامّةً بحيث لا يبقى فيه شيءٌ خافٍ على الباحث]** ص296·

ج· **[إنَّ المنهج اللفظي بتفسيره للإعجاز في كونه هو (النظام القرآني نفسه) الذي يحاول فتح أبوابه·· إنَّ هذا المنهج·· هو الوحيدُ القادر على إبطال الصرفة بإسقاط جميع مقدّماتها عن كلِّ اعتبارٍ تخليصاً الأمة من هذه المحنة· إذ يصبح الإعجاز في هذا المنهج في ذات القرآن من خلال النظام (الهندسي) المحكم والصارم لجميع تراكيبه مع بعضها البعض· وهو نظامٌ ذو احتمالاتٍ غير متناهية تكشفُ عن حقائق الأشياء جميعاً، بالاقترانات ذات الطبقات المتعدّدة والتي لا حدود لها، فيكون الإتيان (بجملةٍ مفيدة) واحدةٍ تدخل مع هذا النسيج ألفاظاً وترتيباً ومعانيَ واقترانات احتمالاً صفرياً أو مستحيلاً، لأنَّه يساوي حاصل قسمة الواحد على العدد اللانهائي·]** ص(304ـ305)

د· **[ومن الواضح أنَّ أيّةَ عبارةٍ لها معنى تامٌّ مطابقٌ لحقائق الموجودات وللنظام القرآني ستكون من مثله· وإنَّ الإتيان بآية أو تركيب من هذا النوع وفق هذا المنهج وحسابه للاحتمالات هو احتمالٌ يساوي الصفر أيضاً·]** ص306·

وهذا فضلاً عن ما في كتاب الحل القصدي من فضحٍ لمحاولات مساواة كلام الله بكلام البشر والجمع بينهما في الاعجاز· فلينظر القاريء الكريم الى نقد النيلي لبلاغة الجرجاني التي ساوت بين الكلامين في آخر هذا الكتاب·

وهنا إذ نصفهم بهذا الانتحال فانطلاقاً من أن عموم أفكارهم منتحلةٌ من المؤلفات القصدية، ولذلك يأتون بنفس الافكار في هذه المؤلفات· وألاَّ فإنَّ مضمون هذا الكلام عن صفات كتاب الله متكرّرٌ أصلاً في مئات المؤلفات لمئات المؤلفين·

ولكنْ·· انظر لقولهم التالي:

[فلذلك لا النبي (ص) على عظم شأنه وجلالة مقامه قد فسّر القرآن لأن عقول القوم لا تحتمل هذا، ولم يؤثر عنه بالسيرة والتاريخ ذلك،..] ص48

نقول: تعليلهم بأن عدم التفسير ناشيء من عدم احتمال عقول القوم غير صحيح!

بل القرآن الكريم كان بحدّ ذاته واضحاً ومفهوماً لهم، وجارٍ ضمن الواقع الموضوعي الذي هم فيه، ولم يحدث أن وجدنا من اشتكى من عدم فهمه لكتاب الله من الصدر الاول المعاصر للرسول· إنما وجدنا العكس ·· وجدنا أن عدوَّ القرآن قد وصفه بوصفٍ مساوقٍ للذي وصفه به محبّه، فهذا عتبة بن ربيعة يقول مخاطباً قومه: (والله لقد سمعت كلاماً من محمد (ص) ما سمعت بمثله قط و الله ما هو بشعر ولا كهانه ولا سحر فأطيعوني في هذه وأنزلوها بي خلّوا محمداً (ص) وشأنه واعتزلوه و الله ليكوننَّ لما سمعت من كلامه نبأٌ وهذا رأيي فاصنعوا ما شئتم· أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط)·

وهذا الوليد بن المغيرة يقول: (و الله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته و ما يقول هذا بشر)··

وقالها عندما سمع قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل:90)

بل والقرآن نفسه أشار الى حقيقة أن مشركي قريش كانوا يمنعون الناس من الاستماع للقرآن، دلالةً على أنه مفهومٌ لهم بحيثُ خافوا من تأثُّرهم به· قال تعالى:

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (فصلت:26)

فهل الذي يصفُ القرآن هكذا يحتاج الى من يفسّره له؟، ولماذا يريد المشركون منع الناس من سماعه إن لم يكن بيّناً لهم ولا يحتاجون لتفسيره لهم؟·

فالمسألة إذن ليست مسألة عدم تحمّلٍ من عقولهم لما قد يفسّره لهم النبي (ص)، بل المسألة مسألة مؤامرة أخفت من حقائقه ما الله عالمٌ به·· مؤامرة حيكت منذ تردَّد صدى القرآن، وشارك فيها صحابةٌ مدَّعون كبارٌ وصغار، واستمرت دون هوادة ثم اشتدّت بعد رحيل الرسول (ص) بما يتكشّف أثره لأدنى متأمّلٍ·

ولو صحَّ ما قاله التجديدُ، فنسأل: أكان المسلمون ليخلُّو عن الرسول (ص) أسئلتهم عن آيات القرآن، وكان ليجيبهم أنكم لا تتحمّلون الجواب؟!·· لكن نعم·· كانوا يسألون ويسألون والى درجة أن تنزل بخصوص أسألتهم آيةٌ مبهتةٌ لا تنظر إلى عدم تحمّل عقولهم، بل إلى كون أسئلتهم تسؤهم من حيثُ أنّ العلة فيهم·· وهي علّة من يريد أن يتعجل كشف ما يريد· قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (المائدة:101)

ويقول هؤلاء:

[فالعبارة القرآنية مسبوكة وفق تراكيب لفظية مضغوطة مستوعبة أقصى ما يمكن من المعاني المعرفية المتجددة بأوجز كم لفظي] ص49

هذا كلامٌ إنشائي يفتقد التنظير!

لكن القصدية تقول بما قاله القرآن نفسه من أنه تبيان لكلِّ شيء· فهو بجملته فيه المعرفة كلها لا أنه يستوعب لمجرد ما استجدّ· أما كيف؟·· أما التنظير فمفصّلٌ في

كتاب النظام القرآني.. إنما من حسن الحظ أن لم يسط عليه التجديديون!. لكن من يدري فربما فعلوا في غير كتابهم هذا!.

راجع أخي القاريء الكريم موضوع (موقف المنهج اللفظي من التفاسير ومناهجها) من كتاب النظام القرآني لتجد التنظير القصدي واضحاً لهذه النقطة ومدعماً بالرسوم!.

القاعدة الرابعة: حكمة النسيج القرآني (نفي الترادف)

إن رفض وجود الترادف في النصّ القرآني هو واحدٌ من أهمّ الأسس التي يقوم عليه المنهج القصدي· وهو أساسٌ لازمٌ لفكرة النظام القرآني التي يؤمن بها هذا المنهج كحقيقةٍ شاخصةٍ عبر عشرات التطبيقات المستجدة والمصحِّحة لكثيرٍ ممّا قرَّ في الأذهان·

فرفض الترادف في القصدية تحصيلُ حاصلٍ لفكرة النظام القرآني التي تقوم بدورها على قصدية النص اللغوي· فحيثُ نقول بالترادف فقد قلنا باللانظام وبالاعتباطية، والعكس بالعكس· فلم ينشأ رفض الترادف من فراغٍ إذن· ولا كان هو اقتداءً بتنظيرٍ ناقصٍ عن رفض وجوده في كتاب الله وإن جاء هذا التنظير من كلامٍ لأئمة اللغة القدامى والمعاصرين· وهذا كله ملخَّصٌ في ما قاله النيلي في كتابه الآخر (الحل القصدي):

[إن اكتشاف الحركة العامة للأصوات وقيمتها المسبقة أدى الى تأكيد وتوحيد القيمة المسبقة لكلِّ تعاقبٍ وبالتالي فقد سقط الترادف والمجاز تلقائياً· واذن فيتوجب الآن التمييز بين الاستعمال القصدي للتعاقب والاستعمال الاعتباطي· ومع ذلك فأننا سنناقش موضوع الترادف في البحث اللاحق لنبرهن أن هذا الموضوع ساقط عن الاعتبار قبل كشف أية قيمة مسبقة للتعاقبات] الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية ــ آخر المبحث الحادي والعشرين المعنون بـ (تطوّر الدلالة)·

فهذه الفقرة تبين أساس رفض الترادف قصدياً· وهو أساسٌ موضوعيٌّ من الناحية المنهجية·

وقد قام النيلي باسقاط الترادف في المبحث الثاني والعشرين من كتاب النظام تحت عنوان (ابطال الترادف)·

وجاءت جمعية التجديد لتجعل من نفي الترادف قاعدةً من قواعدها دون أن تحدّد لنا على أي أساسٍ يقوم رفضها للترادف إلاَّ بكلامٍ وصفيٍّ عن حكمة النسيج القرآني·

وهو كلامٌ تجدُه مأخوذاً من عموم المنهج القصدي·· فلننظر الى ما يقولون بخصوص هذه القاعدة، ولنقارن بما هو لدى النيلي:

قالوا:

[الاعتقاد بحكمة النسيج القرآني على مستوى فرادة مفرداته ومواقعها وتراكيبه "نفي الترادف"] ص49

قارن مع:

1. **[أن الفعل مفردةٌ تحتوي ضمناً على حركةٍ معيّنة، وليس هناك فعلٌ يشبه فعلاً آخرَ في تلك الحركة· مثله في ذلك مثل الكائنات الحية ، فهي مختلفةٌ جداً وإنْ تشابهت ظاهراً· وكشف هذه الحركة يتم عند التقيّد بالروابط بين الفعل وموضوعه· وهذا تقيّدٌ بالمعنى الذي يتضمّنه الفعل· وكلّما التزم الباحث بهذه القيود اتكشفت أمامه سبل المعرفة·· على عكس ما يتوهّمه المتوهّم·]** النظام القرآني/ص56
2. **[فكلُّ لفظٍ قرآني هو وحدةٌ بنائيةٌ في هذا النسيج المترابط، تتشارك مع بعضها مشاركةً فاعلةً في الكشف عن حقائق الأشياء]** النظام القرآني/ص60
3. **[والحقَ نقول لكم: إنَّ كلَ إنسانٍ يحاول افتراض مجاز أو استعارة أو تغيير أو تقدير ألفاظ أخرى أو حذف في أي تركيب قرآني، فإنَّ النتيجة الوحيدة هي أن التركيب يبقى عصياً عليه، ويكون كلامه مناقضاً بعضه لبعض ويبطل بعضه بعضاً ويصير هباءً]** النظام القرآني/ص113

وهناك العديد من الفقرات التي تتحدّث عن فرادة المعنى للفظ القرآني، وكذلك فرادة تراكيبه على طول المنهج القصدي، واكتفينا بهذه الفقرات من كتاب النظام القرآني لأنها وافية بالمرام حين المقارنة·

وأما بخصوص (مواقع الالفاظ) فليس هو سوى مصطلح تكرّر في النظام القرآني وكذلك في اللغة الموحدة ولكن باسم (الترتيب)، بل هناك قاعدة كاملة تتحدث عن الترتيب تقول:

(لا يجوز تقدير ترتيب آخر للمركبات ولا للألفاظ في التراكيب بديلاً عن الترتيب القرآني لتحصيل المعنى العام ويُعَدُّ المعنى الحاصل من الترتيب المفترض باطلاً وفق هذا المنهج)

وهي القاعدة الرابعة من قواعد المنهج اللفظي المعنونة بـــ: **[في إبطال التقديرات العشوائية للترتيب العام للجملة (قيود ترتيب الألفاظ والمركّبات في التراكيب)]**

ويقول التجديديون:

[التحقق بأنه لا ترادف في كلام الله ولا تكرار ولا لغو ولا زيادة ولا حشو ولا سجع ولا ضرورة لغوية، (لا على مستوى الحروف، والكلمات، ولا التراكيب)] ص(49_50)

هذا الكلام إن لم يقم على أساسٍ ما فهو مجرّد ادعاءٍ:

أولاً: يقولون (التحقّق) هنا بعد إن قالوا (الاعتقاد) في الفقرة السابقة!!· ومن الواضح ان طلب التحقّق ينافي وجود الاعتقاد، ذلك إنّك أن كنت في حال تحقّقٍ من حيثيات أمرٍ ما، فهذا يعني أنّك لمّا تعتقد بها بعد!!·· فالاعتقاد عملية آتية من بعد التحقّق·· أليس كذلك؟!!· فهل يحقّ لك الاعتقاد بنفي الترادف أولاً، ثمّ تقوم بالتحقّق في موضوع الترادف لتعتقد بنفيه أو إثباته بعد ذلك؟·· فالتحقُّق هو المؤدي للاعتقاد لا العكس!··

فماذا يقول التجديديون عن هذا التناقض الواضح؟!!··

واضحٌ أنه كلامٌ إنشائيٌ ملقّنٌ، أي منتحلٌ·· وألاّ لو لم يكن كذلك لكان بوسعهم الدخول في عمق الموضوع دون تناقضات!·

ثانياً: من الواضح وجود حروف متكررة (بالمئات!)، بل وكلمات، بل وتراكيب، بل وآيات كاملة في كتاب الله·

نعم القصدية تنفي وجود التكرار في كتاب الله، لكنها لا تنفيه بهذه الطريقة الانشائية، وإنما تنفيه من أساس كون كتاب الله نظاماً محكماً· والتكرار الذي ترفضه هو ذلك المختصّ أساساً بما تتحدّث عنه الاعتباطية من تكرّر الوقائع المذكورة في القصص القرآني· فالقصدية ترفض وجود هكذا نوعٍ من التكرار معتبرة ذلك دليلاً على العجز· يقول النيلي في كتابه (طور الاستخلاف):

[فمثلاً ان المنهج إذ ينكر التكرار ويؤمن بوحدة الموضوع في السياق فانه يُنكر إن تعاد الوقائع نفسها بأسماء مختلفة جديدة لأن هذا من عمل المخلوق الضعيف وليس من صفة كلام الخالق تعالى·] طور الاستخلاف/ص254

فها أنتم هؤلاء تنفون التكرار مطلقاً عن كتاب الله في محاكاةٍ للقصدية تنبئ عن عدم فهمٍ ليس إلاَّ.. (لكن أهي محاكاة أم أن هذا هو ديدن المنتحلين تخفى عليهم أمورٌ بعد إذ تلتبس عليهم أمور؟!)

ثالثاً: بالنسبة لما قالوه عن عدم وجود اللغو في كلام الله.. نسأل: من ذا الذي ادّعى وجوده فيه؟!!. فهؤلاء المسلمين في كلِّ الأرض لن تجد واحداً منهم بحاجةٍ للتحقّق من هذا الأمر، بل هو يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن لا لغو في كتاب الله وإلاَّ لكان خرج من ربقة الاسلام؟.. بل القرآن نفسه قد وصف المؤمنين بأنهم في إعراضٍ عن اللغو، ووعدَ بجنةٍ لا لغو فيها:

(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (القصص:55)

(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً) (مريم:62)

نعم.. إن اللغو له مصاديقه في التفسير المتعسّف لكتاب الله، وفي تأويلات النحويين والبلاغيين.. لكنه لغوٌ في هؤلاء.. لا في القرآن!..

والوحيدون الذين يعتقدون بوجود اللغو في كتاب الله هم أعداءه وحسب من ربابنة النصارى واليهود والزنادقة وغيرهم.. فهل يسع هؤلاء التحقّق من أن لا لغو فيه أم جلّ همهم إثباته فيه؟!!.. (أقول: ليت كان كتابكم موجّهٌ الى هؤلاء لا الى أمّة اللغو التي بها تستهزئون وقت ما رأيناكم عنها تختلفون!!)

رابعاً: ولا زيادة!!.. أمّا وجود الزيادة في كتاب الله فهو مما ادّعاه جملة من المفسرين والنحويين، ولكن على أساسٍ من الفهم اللغوي المدّعي للتقدير، لا على أساسٍ من وجود زيادات فعليةٍ. والقصدية تنفي الزيادة في كتاب الله مطلقاً.. فهنا يا حضرة أهل التجديد.. لا خلاف لنا معكم.. عفواً لا انتحال؟!!!

لكن هناك من ادّعى الاجماع من قبل المسلمين على عدم وجود الزيادة في كتاب الله، منهم السيد الشريف المرتضى والشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي وغيرهم.

وعليه كان يفترض بكم تحديد نوع الزيادة المقصودة في كلامكم الآنف، ومن قال بهذا النوع منها، وإلاَّ فما يمنع من يقرأ لكم أنكم تقصدون به ما هو معروفٌ ومجمع عليه؟!، وبالتالي فما من داعٍ لذكر هذا الأمر ما دامَ متفقاً عليه.

خامساً: بالنسبة لمسألة الحشو، فمعلومٌ أن الحشو هو من الزيادة. والفارقُ أنه زيادة تراكيب لا زيادة ألفاظ. ونعم.. لا وجود لحشوٍ في كتاب الله إلاَّ ما ادّعاه النحويون في تعسفهم المعلوم. فهنا التجديد والقصدية سواء بسواء!

لكننا لا نفوت الامر دون أن نبيّن صدى كلامهم هذا من أين جاء!:

1. **[فلو قال قائلٌ أنَّ في القرآن إيجازاً لصحَ كلامه، وإن لم يصحَّ بدقّة، لأنَّ القرآن كلّه موجزٌ، فليس فيه حشوٌ ولا لفظٌ زائدٌ عن حاجة المعنى]** النظام القرآني ص124
2. **[إنَّ تغيّر الترتيب في القرآن للحدث الواحد لم يلق أي اهتمامٍ من قبل اللغويين والمفسّرين وكان ولا زال يعدُّ عندهم تكراراً لنفس الحدث، بل قطعوا شوطاً بعيداً في إعطاء المبررات لهذا التكرار المزعوم والتأكيد على أنَّهُ من الأساليب التي جرت عليها (عادة العرب) حسب تعبيرهم. (تأتي الشواهد على ذلك خلال فصول الكتاب)]** النظام القرآني ص47
3. **[إنَّ المنهج اللفظي يُعلن أنَّ هذا الإجماع من النحاة قد حصل في واحدةٍ من أكثر القضايا المسقَّطة على القرآن ومعانيه خطأ وخطورةً. إذ أكّد المنهج أنَّ الزيادة النحوية.. إنّما مصدرها الزيادة في فهم المعنى بحيث أنَّ إزالتها من الآية لا يضرُّ بالأصل، وهنا تكمن الخطورة.**

ولو رأيتَ كيفَ يتصدّى المنهج لهذه البدعة اللغوية لعلمتَ أنَّ تلك الحروف الزائدة على زعمهم هي من معجزات القرآن، وصرامة ألفاظه، وأواصر إحكامه، وأنَّ إزالتها من السياق لا تخلّ بالمعنى فقط، بل وتهدّم العقائد القرآنية فضلاً عن زوال نظامه الهندسي المحكم.] النظام القرآني ص(209_210)

ويستمر التجديديون قائلين:

[ونرى أن الترادف في كتاب الله هو الذي يعنينا وهو الذي ننفيه اعتماداً على حكمة الله سبحانه وبلاغة بيانه، اما الترادف في اللغة فذلك بحث آخر يُراد استقراءه والابحار فيه بأدوات تحليلية تاريخية علمية، وان كان العقل يميل الى نفي الترادف مطلقاً] ص50

هنا يستندُ التجديديون على حكمة الله وبلاغة بيانه في نفي الترادف، دون محاولةٍ واضحةٍ لبيان كيفية تقاطع الترادف مع هذه الحكمة. وهذا الاستناد هو نفسه الذي اعتمده عامّة منكري الترادف، ولكنهم بيَّنوا أساس رفضهم للترادف في مطاوي مؤلفاتهم، وملخصه تنافي الترادف مع فكرة الوضع. يقول النيلي شارحاً ذلك:

[فقد ادّعت الاعتباطية أن أدلة المنكرين للترادف تقوم على (التوقيف) الذي يراد به وقف اللفظ على معنى محدد وبالتالي. فلا ألفاظ متعددة تشير الى ذات المعنى ولا لفظ واحد يشير إلى معاني متعددة لأن ذلك بخلاف الحكمة من الوضع فكل لفظ موقوف على معنى واحد.] الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية ــ موضوع إبطال الترادف.

ويضيف قائلاً:

[وهذا كما ترى هو نفس فكرتنا القصدية القائلة بوجود دلالة واحدة لكلِّ لفظٍ سوى أننا اكتشفنا أن اللفظ والدلالة شيءٌ واحدٌ لوجود القيمة الكامنة في الأصوات وتعاقباتها وهو الذي جعل الفكر الاعتباطي يسقط دفعة واحدة بكامله.] نفس المصدر أعلاه.

وهنا ترى بوضوحٍ كافٍ أن القصدية تنظر لنفي الترادف من زاويةٍ غير مطروقةٍ سابقاً وعلى أساسٍ من تسلسلٍ علميٍّ صارمٍ يعتمد القيمة الكامنة للأصوات التي هي مربط الفرس من أجل فهم النصّ العام.. وكان يبقى عليها أن تبحث عن هذه القيمة وتؤسس لهذا البحث.. وقد فعلت ولا كالاعتباطيين!

وليس هذا فحسب، بل وربطت القصدية بين نفي الترادف وبين حقيقة النظام المحكم في كتاب الله تعالى ربطاً وثيقاً، مقرّرةً بذلك أن افتراض وجود الترادف في كتاب الله لا يعني سوى إلغاء كونه نظاماً محكماً. وما يلي فقرةٌ من كتاب النظام القرآني تشرح هذا الأمر:

[إنَّ لوضع هذه القاعدة (أي قاعدة رفض الترادف) ثلاثة أسباب:

السبب الأول: إنّ النظام المحكم في القرآن يحتّم أن يكون لكلِّ لفظ دلالته المختلفة عن دلالة أي لفظ آخر، وعند المساواة بين الألفاظ في المعنى يفقد القرآن نظامه في نظر المنهج.

السبب الثاني: إنّ تساوي بعض الألفاظ في المعنى هو بخلاف فكرة (الوضع) لمن يؤمن بالوضع، لأنّ (الواضع) قد جعل اللفظ كدلالةٍ له على المعنى للتمييز بين المعاني المختلفة، فلا يمكن أن يضع لفظين أو أكثر للمعنى الواحد، فهذا العمل هو بخلاف غايته من الوضع.

السبب الثالث: إنّ تساوي الألفاظ في المعنى هو بخلاف فكرة (أنّ للحروف معاني)· وهذا السبب نسوقه لمن يؤمن بمعاني الحروف ولا يرى الوضع، لأنّ اللفظ المتألّف من تسلسلٍ معيّنٍ لبعض الحروف لا يساوي ما ينتج من تسلسلٍ آخر لنفس الحروف، وتكون مساواته لما هو من حروفٍ أخرى أكثر خطئاً·] النظام القرآني ص(39_40)

أما التجديد فليس سوى أنه يردّد المقولات في أسسها منتحلاً إياها، ومكتفياً بها·· ولذا فلا تنظير لديه وإنما تطبيق قاصرٌ هو فيه عالة على التنظير القصدي ويحدث أن يفلح فيه، لكنه لطالما تاه في رصف تطبيقه فخرج بما هو تخريف حقّاً!

أما الادّعاء التجديدي بأن العقل يميل الى نفي الترادف مطلقاً بعد الادعاء بأن الترادف في اللغة هو بحثٌ يراد استقراءه والابحار فيه بأدوات تحليلية تاريخية علمية·· فلن تقول عنه سوى أنّه مجرد هراء أتبع التخريف!

إذ من أين جاء هذا الميل والعقل لما يبحث بعد؟!!

أتدرون من أين جاء؟·· اقرأوا هذا النصّ وستعرفون!:

[أقول يَقْصِد بالترادف من لغتين ــ ترجمة المفردة الى ما يقابلها وقد برهنا في اللغة الموحدة أن لكلٍّ تعاقب صوتي قيمته الخاصة به ولذلك فلا يقع الترادف في جميع اللغات في العالم بل هو محال في ذاته· أما أن يكون في (اللهجة الواحدة) حسب ما قال الكاتب فقد أعجبه السير في الاعتباط قدماً ففاق الأولين وأراد أن يسبق الآخرين]! الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية ــ ابطال الترادف·

فهنا نفى النيلي وجود الترادف نفياً مطلقاً، وقد اتّكأ التجديديون على هذا النفي في قولهم الآنف عن ميل العقل لنفي الترادف مطلقاً·

فبم تعتذرون يا أصحاب مشروع السراة (العظيم)؟

أتقولون مجدداً: ولكن كتاب الحل القصدي لمّا يُنشر بَعْدُ حين قيامنا ببحثنا؟

ولكننا رددنا هذا القول بما تعرفون!·· فكما ذكرنا سابقاً فقد كان هذا الكتاب ومعه جُلُّ مؤلفات المرحوم النيلي منشوراً في العراق وفي غير العراق وقبل وفاته التي حدثت قبل أن ترَ جمعيتكم النور·· كما تم نشرها عبر النت أيضاً··

ويقول التجديديون:

[فما يُظنّ أنه ترادف هو إمّا تحويرٌ في اللهجات لأصلٍ واحدٍ، أو هو تطوّر في المفردة العربية لتحمل دلالات كانت غائبة في الاستعمال الأقدم] ص50

نقولُ لهم: كان عليكم تفصيل القول في هذا الكلام. لكن الغريب أن تجزموا فيما ظنّ فيه متخصّصون آخرون وقت أنكم تعترفون أنكم لما تبدأوا البحث بعد!. فمن أين جاءكم الجزم إذن؟. وكيف تثبتون أقوالكم؟. أم هي مجرّد أفكار منتحلة من غيركم دون الاشارة لمصدرها؟!!. إذ المعلوم لدينا أن هذا هو ما تقوله نظرة الباحثين المعاصرين الذين فسروا الترادف بالتطور الدلالي وتداخل اللهجات.

القصدية تحدّثت بتفصيلٍ عن أثر العامل الزمني في حياة التسلسل الصوتي الواحد، وكيف تتطور الدلالة عبر الزمن لتنشأ من ذلك الترادفات، بل واللغات.. وأثبتت أن هذا التطور شيء عارضٌ على الأصل المعنوي للتسلسل. وتجد هذا التفصيل في كتاب (اللغة الموحدة ــ الجزء الأول).

ويقول التجديديون:

[نحن نقرّ أن أشياء قد تحظى بعدّة أسماء وعناوين وليس هذا من قبيل الترادف كأسماء الاسد (سُبع، ليث، أسامة، قسورة..) وأسماء السيف، وغير ذلكم الآلاف من الأمثلة، لكن الواضع لهذه الاسماء سواءً كان واحداً أو متعدّداً لا بد أنّه لحظ صفة ما أو حدثاً أو نسبة فأعطى دلالة صوتية تحاكي ما لحظ من مائز حتّى أنها كلها مشتقة من أفعال في مآلاتها] ص50

ليتفضل القاريء الكريم وليقرأ كيف ينظر النيلي لمسألة تعدّد الاسماء للأشياء في كتابه اللغة الموحدة:

[إن الشرح السابق يعني أن (فكرة المفردة) أو (مفردة الفكرة) هي شيءٌ واحدٌ في حقيقة الأمر، فليس ثمّة فكرة بدون إشارة. فالفكرة لا تسبق الإشارة. وهذا بالطبع لا علاقة له بالشيء الذي تراه لأوّل مرّة ولا تعلم له اسماً، ذلك لأنّه لم يشكّلْ بعد أيّة فكرة، وإنّما هو عبارةٌ عن (صورة) تدركها العين وهي لا تختلف عن أيّة رائحة جديدة لم يشمّها أنفك من قبل، فأنت لا تمتلك عنها أيّة فكرة للآن. ولكن إذا علمتَ خصائصها ومصدرها وصفاتها (صورةً كانت أم رائحةً) فقد أمكن لك أن تطلق اسماً عليها. وبالطبع فإنّك لا تطلقه هكذا جزافاً، بل

~~تحاول أن تجعل الاسم ملائماً للخصائص الداخلية أو الخارجية للشيء المعني. ولكن المهم هو أنك في هذا العمل محدّدُ الخيارات، وكلّما عرفت المزيد عن الشيء قلّت بالمقابل خياراتك في تسميته باسمٍ علمٍ، بينما تزداد مفرداتك التي تصف تلك الخصائص]~~

وهذه مجرّد فقرةٍ واحدةٍ تشرح السبب الذي يجعلنا نطلق أسماءً متعدّدةً على نفس الشيء، والآلية التي نتبعها في اختيار هذه الاسماء. وفي الفقرة هذه وما جاورها حديثٌ عن أثر الفكرة وعلاقتها بالمفردة على تحديد اختيارنا للاسماء. ويصحُ هذا التحليل على ضوء فرضية الوضع المتعدّد.

أما إذا كان الواضع هو الله سبحانه وتعالى، فالامر يختلف، لأنه تعالى يضعُ على ضوء حكمته ووفقاً لنظامٍ هو من صمّمه فهو يتحدّث عن الاشياء بألفاظٍ تُنبئ عنها بالضبط، وتحيط بكلِّ تفاصيلها وكلِّ متعلقاتها.. فهو تعالى لا يخضع للفكرة والمفردة، بل هو الذي يحدّد لكلٍّ منهما ما تكون، وكيف تكون عكس المخلوق الذي يتحتَّم عليه الخضوع لما خضع لله تعالى!.

ويمكن للقاريء الكريم أن يتوسّع في فهم هذا الموضوع بقراءة كتاب اللغة الموحدة وكتاب النظام القرآني ليظهر له جلياً اتّساق التحليل القصدي وكونه كُلاً واحداً مرتبطاً بعضه ببعضٍ، وبالضبط كما قال النيلي:

[لذلك ننوّه من الآن على ضرورة تذكّر ما يقال في أول هذه المقدمة مع ما يذكر في وسطها وآخرها. فكلُ جزءٍ فيها مرتبطٌ بغيره في أي موضعٍ، ولذلك فإنّنا نادراً ما سنشير إلى هذا الترابط اعتماداً على هذا التنويه.] النظام القرآني ص10

أو كما قال:

[لذلك نطلب من القارئ الكريم النظر إلى هذه المؤلفات على أنها كتابٌ واحدٌ يتمّمُ بعضهُ بعضاً. فقد تخلو هذه المقدّمة من بعض التأسيسات الهامة للقصدية، لأنها مواضيع مطولةٌ يجد القارئ حلولها في بقية الكتب وبالأخص اللغة الموحدة والحل القصدي للغة] النظام القرآني ص6

وعلى هذا ينتفي ما ربّما يقال من أن القصدية قد أخذت من لسان غيرها، مثلما أخذ التجديد من لسانها!. بل هي على تفرّدٍ يكاد يكون تاماً ومميّزاً عن ما سواه من الطروحات المقابلة.

ومن مظاهر هذا التميّزِ أنها دائماً ما تنسبُ المقولات لأصحابها مع مراجعتها بالنقد الصارم، والتحليل الدقيق وصولاً إلى الحكم عليها صواباً أو خطئاً.

فهنا يحقُّ لنا أن نسأل التجديديين:

مشروعكم السراتي هذا هل هو مبنيٌّ على خلفيةٍ معرفيةٍ أتممتم حجّتها، وأحكمتم برهانها، أم هو تجميعٌ لأساسياتٍ منتحلةٍ من هنا وهناك (من المنهج القصدي، ومن آراءٍ معلومةٍ في البحث اللغوي العام، ومن أعمالٍ لكتّابٍ وباحثين معروفين)، وعلى ضوئها قمتم بالتطبيق وأنتجتم هذا المشروع (العظيم)؟!!

قد يقال أن التأليف بين مجموعة من الأفكار من هنا وهناك شيء طبيعي، فنقول: إنه كذلك، لكن على شرط توثيقه وحفظ الحقوق الفكرية للآخرين وخاصّةً عند التأسيس لمشاريعٍ كبيرةٍ و(عظيمة!). ومن هنا نعيد التساؤل، هل مشروعكم من بنات أفكاركم أم هو من لدن مفكرين (وبالأخص النيلي رحمه الله)، ولم توثّقوا المصادر؟؟

ننتظر الجواب في محكمة الضمير العادلة لكلِّ مُنصفٍ حرٍّ!

ويقول هؤلاء:

[فميزة الترادف تفترض المساواة في المعنى بحيث يصحّ إبدال الكلمة مكان الأخرى، وميزة اللاترادف تفترض اللامساواة والتغاير لكنّها لا تمنع الالتقاء في مساحة مشتركة، وكلّما نحى العالِمُ لتخصّص امتنع عن الترادف في لغته ودقّق في اختيار مصطلحاته] ص51

هنا ينبغي التوضيح.. فهذا الكلام فيه قدرٌ من الإبهام قد يلبس على القارئ. فربما اعتقد القاريء أن افتراض وجود مساحة مشتركة لا تعني سوى وجود الترادف بخصوصها. والحال أن المساحة المشتركة المقصودة يعبّرُ عنها لفظٌ آخرٌ مختلفٌ عن اللفظين الذين اشتركا بجزءٍ من المعنى الخاص بهما. وبهذا ينتفي الاشتراك المعنوي المقصود به اشتراك المعاني بلفظٍ واحدٍ، أي لا يصحُّ اطلاق أي من الالفاظ

المشتركة بجزءٍ من معناها على الجزء المشترك منها، بل لهذا الجزء اللفظ الخاص به.

ويستمرون بالقول:

[وهذا ما جعل العلوم تتعمق (فالبطن ليس مرادف المعدة في الطبّ) (والنور ليس الضوء في الفيزياء) وفي "القرآن" وهو أحكم من كتب الطب والفيزياء ليس من ترادف] ص51

ولكن:

أولاً: من قال أنّ المعدة ترادف البطن في غير الطب حتى تأتون بهذا المثال العجيب؟!!!.. فلتشهد لكم القواميس (ولن تشهد!) .. بل ولن يشهد لكم الاستعمال لا الآن ولا قبل الآن، اللهمّ إلاّ إذا حسبنا استعمال (المخابيل) من الاستعمال!. ولو كنتم أصحاب بحثٍ أصلاً لما خانتكم عقولكم في دبج مثالٍ صحيحٍ ومعلومٍ ومتكرّرٍ في المراجع اللغوية؟!.. فما قولكم بهذا المثال: (فالدماغ ليس مرادف المخ في الطب)!!. فالقاموس يشهدُ بالعكس، فانظر قاموس لسان العرب لابن منظور الجزء الثالث فصل الميم مادة (مخ)، وانظر أيضاً القاموس المحيط للفيروز آبادي الجزء الثالث فصل الدال حيث قال: الدماغ ككتاب: مخ الرأس!.

ثانياً: هذا المثال عن النور والضياء، صحيحٌ.. ونعم يشهد القاموس به، ولكنه مأخوذٌ من المنهج القصدي بدلالة هذه الفقرة المستلة من أحد مؤلفاته:

[وما أدراه أن النور صفة من صفات الأجسام؟ فنحن نقول له أن ما تقصده هو (الضوء) وليس النور، وما يحسّه البصر هو الضوء وليس النور.. وللنور معنىً آخر مختلف عن المحسوسات المادية. وما الذي دفعه (يقصد الجرجاني) لهذا البحر اللجي ليخوض غماره وهو لا يدرك الفرق بين الضوء والنور ولا يدري أن النار (تضيء) ولا تنير وان النهار (مضيء) ولا يقال أن النهار منير؟. وما أبعده عن البلاغة وهو لا يذكر قوله تعالى: ﴿ فلما أضاءت ما حوله﴾، وقوله: ﴿ وداعياً الى الحق بأذنه وسراجاً منيرا ﴾.. فالتحقيق في استعمال العرب وفي القرآن يثبت أن المحسوس هو الضوء وان النور هو شيء آخر.] الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية ــ نقد بلاغة الجرجاني.

ويستمرون بالقول:

[هذا أمرٌ هو عمدةٌ ضروريةٌ لفهم القرآن في جميعه، لك أن تتأمل في عصا موسى أنها انقلبت الى ماذا؟ ثعبان، حيّة، أم أفعى؟ من يقول بالترادف يظنها واحدة، ولكنّ آيات الله تقول أن موسى حين تدريبه على سلاح العصا كخطوة تمهيدية انقلبت له حية فقط، أما حين المواجهة الكبرى فقد انقلبت الى ثعبان مبين، ولم يذكر الافعى بالمرة.] ص51

أقول: عجيبة!!

من ذا الذي قال بترادفها فظنّها واحدة؟!!

هذه المعاجم العربية أمامكم، بل هذه التفاسير كلها فتّشوا في أيّها.. لن تجدوا من يقول بترادف هذه الالفاظ (حية، ثعبان، أفعى)!!.. بل تجدون فيها من يميّز بينها تمييزاً فيقول مثلاً: الثعبان: (هو الحية العظيمة) ــ وفي المعاجم لم نجد هذا التعريف للثعبان، ولكن وجدناه في بعض التفاسير وهو تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي الجزء الرابع في موضوع (حديث العصا). الأفعى: نوع من الحيات السامة ذات جلد مرقش. والحيّة اسم شامل يطلق على جميع اجناس الحيات من الثعبان الى الافعى!.. وفي وصف الضئيلة: (حية كأنها أفعى) كما في تاج العروس للزبيدي الجزء (15) مادة (ضأل).

وما من أحدٍ قال: (حية، ثعبان، أفعى) واحد، ولا أشار الى ترادفهما!

لكن ربما وجدنا من المعاصرين من يساوي بين لفظي الحية والأفعى حين الشرح فيقول: ("فَاجَأَتْهُ حَيَّةٌ بَيْنَ الأَعْشَابِ": الأَفْعَى وَهِيَ أَنْوَاعٌ، مِنْ رُتْبَةِ الزَّوَاحِفِ.) ــ قاموس الغني لصاحبه: عبد الغني أبو العزم وهو استاذ جامعي من المغرب.

ولكن هذا من المعاصرين، ولم يأخذ المعنى من المعاجم المعتمدة، بل من ما تبادر في ذهنه، وألاّ فإن صاحب تفسير التبيان يفرّقُ بين اللفظين بالقول معتمداً على أقوال اللغويين حيث قال:

["فإذا هي ثعبان": فالثعبان هو الحية الضخمة الطويلة· وقال الفراء: الثعبان أعظم الحيات، وهو الذكر، وهو مشتق من ثعبت الماء أثعبه ثعباً اذا فجرته]

وجاء هذا في معرض تفسيره لآية (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) من سورة الأعراف·

وأما قصة التدريب العسكري على العصا للنبي موسى عليه السلام والذي افترضوه سبباً لتحول الحية إلى ثعبان فلا ندري من أيِّ كيسٍ أخذها التجديدون!· فكأنَّ كلامهم هو قرآنٌ منزّلٌ علينا أن نصدّقَه من دون مطالبتهم بأيِّ دليل!!

ما أريد قوله هنا هو أنه من اللازم لمن يؤسِّس لمنهجيته أن يضرب الأمثال التي تثبت مقاله لا أن يختلق أمثالاً لا وجود لها أو مشكوكاً فيها· وخاصةً إذا كان في معرض النقد للمناهج الأخرى، حيثُ يتعيّن عليه نقدها من خلال أمثلتها التي يحسبها مطابقةً لتنظيرها، فإذا استطاع إثبات أن الأمثلة غير صحيحة، فسيكون حينها قد نسف التنظير من الجذور· فهذا النوع الخاطيء من ضرب الأمثال الذي اعتمده التجديديون في بحثهم الأساسي يشكّك لا بمنهجيتهم وحسب، بل وبالبحث نفسه أيضاً باعتبار أن ما جاء به في أحسن الأحوال هو مجرّد تلقينٍ من غيرهم ونسبوه لهم، وإلاَّ فهو انتحالٌ واضحٌ، والمنتحل لا قدرةَ له على الدخول في عمق الفكرة، ولذلك يتيه بالشكل الذي يفضحه تماماً·

ويقولون:

[هذا الامر يلزمنا الاعتناء بالمفردة القرآنية وتركيبها واستعمالها في اللسان العربي بما يشرّف السياق ويجلو الحكمة لا حسبما يقال دائماً أنه جرى على ألسنة العرب من شواذ ومن تخريجات وتقديرات، فالرحيم ليس الرحمن، والكافر ليس المشرك، بل "الذي كفر" ليس "الكافر"، "والذين أشركوا ليسوا (المشركين)....الخ] ص51

كلامٌ مأخوذٌ بجملته من كتاب النظام القرآني، وذلك لأن:

أولاً: على طول هذا الكتاب وجَّه النيلي نقداً حاداً لمقولة أن القرآن قد جاء وفقاً لعادة العرب في كلامهم، أو وفقاً لأساليبهم، أو وفق خطاب العرب·· وقرّر أن مساواة

كلامه بكلام غيره يعني انتفاء اعجازه.. وكلٌ هذا تجده عبر الصفحات في كتاب النظام. وتكرّر منه في كتبه الأخرى كالحلّ القصدي وطور الاستخلاف واللغة الموحدة.

ثانياً: قارن العبارة السابقة للتجديد مع هذه الفقرة من كتاب النظام القرآني:

[فالألفاظ الآتية مثلاً يعتبرها المنهج اللفظي ألفاظاً مستقلّةً في المعنى والوظيفة: كفّار، أولئك، لولا، يوماً، لَن، كافرون، أرأيت، أمّاذا، الظالم، آمنت، الظالمين... وهكذا. وهذا التفريقُ بين الألفاظ هو الأساس في العمليات البحثية للمنهج اللفظي وفوائده لا تحصى كثرةً، وكتصوّرٍ للأمر على وجه السرعة فهناك إشارةٌ في مصطلح (المحور) تأتي عن قريب.] ص24

يتبدّى هنا وبكلّ وضوح أن هذه الأفكار التي جئنا بها من كتاب المفاتح منتحلةٌ من كتاب النظام القرآني. وكلٌ ما في الامر هو شيءٌ من إعادة الصياغة وبعض التحشية.. وما من جديد سوى في بعض الأمثلة التي تُوظَّف غالباً في غير مكانها أو تُتْرَكُ بدون توضيح!

يقول التجديديون:

[بل قد تذهب دلالات الألفاظ الى أبعد من ذلك، فيأتي اللفظ في سياقٍ بغير دلالته الأولى في سياقٍ آخر، هذا غير أن القالب اللفظي للكلمة يعطي معانٍ مختلفة أو إضافية حيث "استطاعوا" لا تساوي المخفّفة "اسطاعوا"، والذكر ليس "الذكرى" وليست "التذكرة"، و"كَرهاً" مغايرة لـ"كُرهاً"، و"عباد" و"عبيد" يختلفان مع أنهما جمع "عبد" فالاولى عبد ألوهية والثانية عبد ربوبية أو ملك....] ص52

معلومٌ أن السارق إذا سرق بضاعةً ما ولا يعرف كيف يتعامل معها فإنه سيخربها!

ومعلومٌ أن من ينتحل هو شخصٌ استصعب الفهم فهرب الى القضم ثمّ وقع في الفخّ.. وقع في التناقضات من حيث لا يحتسب!

وفي الفقرة أعلاه تجدُ واحداً من أوضح التناقضات التي لو افترضنا معها أن التجديديين هم أصحاب المنهج القصدي فعلاً لتهدّم جملةً واحدةً من هذا التناقض وحده!

ألم يقولوا: [.. فيأتي اللفظ في سياقٍ بغير دلالته الأولى في سياقٍ آخر ..]؟

فما معنى هذا الكلام؟

معناه أن اللفظ لم يعد يحتفظ بوحدة معناه، بل يتعدّد معناه بحسب تعدّد السياقات!· ولكنكم طالبتم بالاعتقاد بحكمة النسيج القرآني على مستوى فرادة مفرداته ومواقعها وتراكيبها·

فكيف تتفرّد المفردات إذا كانت ستتغيّر دلالتها من مكانٍ الى آخر؟· فهذا تناقضٌ ظاهرٌ· والفقرة السابقة القائلة بتعدد الدلالة حسب السياق هي بخلاف النسيج القرآني باعتباره نظاماً محكماً· ما يعني أن لكلِّ لفظٍ فيه معناه الخاص به مهما كانت العبارات التي يرد فيها·

النيلي أجاب عن هذه المسألة بجوابٍ هو من صميم القصدية التي ينادي بها فقد قال:

[إذن·· نفهم من الأمثلة المارّة أن اللفظ قائمٌ بنفسه لا يتغيّر بالمعنى وإنّما يتغيّر المعنى التامّ للعبارة عند تغيّر مواقع الألفاظ مع بعضها وترتيبها، وهذا ما نصّ عليه الفرع الثاني من القاعدة·] النظام القرآني ص50.

يضاف إلى ما سبق أن الالفاظ التي جاءوا بها في غضون الفقرة السابقة المستلة من كتابهم (مفاتح القرآن والعقل) كأمثلةٍ على ما ادّعوه من تغير دلالة اللفظ بحسب السياق غير صحيحة· فقد جاؤوا بألفاظٍ هي بحدّ ذاتها مختلفة لفظاً (استطاعوا، اسطاعوا، عباد، عبيد)، وكذلك (كَرْهاً، كُرْهاً)···الخ· إذ المفروض أن يأتوا بلفظٍ واحدٍ ذي قالبٍ واحدٍ موجودٍ في سياقاتٍ مختلفةٍ لا ألفاظ مختلفة في سياقات مختلفة!·

وأمرٌ آخر: من أين استفدتم يا أهل التجديد أن العباد والعبيد يُقصد بها عبد ألوهية وعبد ربوبية على التوالي؟

هل هو مجرّد رأيٌ لكم بلا دليلٍ عليه من كتاب الله ليكون بخلاف ما قاله النيلي في كتابه النظام القرآني، كي ننزعَ عنكم ثوب الانتحال؟ ثم ماذا تقصدون بعبد الألوهية وعبد الربوبية فهلا أوضحتم هذه لنا لنفهم إلى أين تسيرون؟

معلومٌ أن النيلي قد فصّل الفرق بين العباد والعبيد في بحثٍ له غاية في السداد تجده في كتاب النظام القرآني تحت موضوع (مثال تطبيقي آخر للجموع المتعدّدة) صفحة (63)· فراجعه إن شئت·

وهنا نكرّرُ ما سبق وقلناه بخصوص ضرب الامثلة:

إذ يفترضُ بمن يجيء بفكرةٍ ما أن يجيء معها بأمثلةٍ تفصيليةٍ تثبتها، لا أن يجيء بأمثلةٍ قاصرةٍ أو غير صحيحةٍ· فالذي يفعل ذلك إمّا عاجزٌ يتعكّز على مجرّد أن يطرح فكرته ويترك للغير نقضها أو إثباتها، أو أن الفكرة غير صحيحة بالمرّة، أو هو منتحلٌ يهرفُ كيفما شاء لأنه لا يعرف كيف يدبج ما انتحله في أمثلة جديدة لا تكشف انتحاله بحسب وهمه·

والذي يقرأ للنيلي يجدُ أنْ ما من فكرةٍ يأتي بها إلاّ ويفصّل القول في إثباتها بما لا يقبل لبساً، وهو رحمه الله يضع الشواهد لفكرته بطريقةٍ واضحةٍ وصريحةٍ، حتى إذا تمَّ له ذلك جعل من نفس هذه الفكرة برهاناً لفكرةٍ أخرى تتصل بها· وبالأخير يطالب القاريء بالنسج على نفس المنوال ليحقّق في أفكارٍ أخرى··

أما هؤلاء·· فيقولون لك أن: (الذكر غير االذكرى، وغير التذكرة،) و(الشهيد غير الشهداء، وغير الشهود)، (وعالمون غير العلماء) من دون بيانٍ لوجه التغاير· أو ربّما أبانوا ولكن بالاختصار المخل أو بالشرح المتعسّف الذي يتحدّث بعيداً عن أصل ما يريدون بيانه·

مثلاً:

1· قالوا: "عباد" و"عبيد" يختلفان مع أنهما جمع "عبد" فالاولى عبد ألوهية والثانية عبد ربوبية أو ملك) ·· هكذا دون بيان كيف يكونان متغايرين· فهذا إدعاء خالٍ من كلّ دليلٍ· وكذلك عندما قالوا: (و"نبيون غير "أنبياء" فالأولى للأمم والثانية محلية لأمة واحدة...الخ)·

وهنا لنحسن الظن ولنقل: ربما كان التفصيل موجود في مؤلفاتهم الأخرى. لكن كان عليهم إحالتنا إليها: الى أيٍّ منها؟ وفي أي موضوعٍ وأيّ صفحةٍ؟. فهذا ما يتطلبه البحث وخاصةً عندما يكون (مشروعاً عظيماً) كما تفاخروا به عبر حلقاتهم الطويلة في احدى الصحف المعروفة في البحرين.

2. وقالوا: في بيان الفرق بين (اسطاعوا) و(استطاعوا): [**وجليٌّ أنّ اعتلاء الردم للظهور عليه كحال متسلقي الجبال للعبور الى خلفه أيسر جهداً وإمكاناً من محاولة نقبه او هدمه لاختراقه الى الجهة المقابلة كما فعلت آلات التقدّم العصرية فشُيّدت بها الانفاق في الجبال لذلك كان المناسب لحفر السدّ "فعلاً" ثقيلاً استطاعوا، وناسب اعتلاء السدّ فعْل ("اسطاع" بدون تاء) ليُلفظ خفيفاً وبسرعة.**] ص53 ــ الهامش.

هنا ملاحظات:

فإننا نفهم من كلامهم أن الردم هو بمعنى السدّ!. فهنا إذن ترادف وهم لا يقبلون بالترادف!. ونفهم أن معنى (اسطاعوا) هو نفس معنى (استطاعوا)، لكن الفرق هو في استعمالهما استناداً لا إلى المعنى، بل إلى عامل شكلي هو مناسبة وجود التاء في احدهما دون الآخر. وهنا لا زال الترادف يعمل جيداً وهو عكس ما يريدون!. إذ يفترض بهم بيان الفرق بين كلٍّ من اللفظين من ناحية المعنى لا من ناحية الشكل. كأن يقولوا مثلاً أنّ (استطاعوا) هو بمعنى المقدرة مع الجهد الكبير، و(اسطاعوا) بمعنى المقدرة بجهدٍ يسير.. ثمّ يبينوا أثر دخول التاء على تغيّر معنى هذا الفعل من ناحيةٍ لغويةٍ واضحةٍ.

ومع ذلك فكلامهم عن المناسبة هنا وإن لم يكن بعيداً عن الصحة مطلقاً إلا أنه جاء على حساب الفكرة التي يريدون نسفها وهي الترادف.

وأخيراً ننبه القاريء الى أن النيلي قد فرّق بين الردم والسد في كتاب طور الاستخلاف حيث فصّل الكلام في التفريق بينهما عند حديثه عن قوم (يأجوج ومأجوج) في أوائل الكتاب.

3- قالوا: [فليس من تقوّلٍ ولا تجوّزٍ وتصرّفٍ في ألفاظ النص القرآني المحكم. وبهذا يسقط ما قاله ابن خالويه، "وليس في كلام العرب "بعد" بمعنى "قبل" إلاّ في قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الانبياء:105)"، والخطأ يأتي عليه من ثلاث جهات: 1ـ أنه حطّم باشتباهٍ واحدٍ كلام العرب ونظامه السائد القائل بعدم تساوي الحروف. 2ـ أنه جعل كلام الله من كلام العرب. 3ـ أنه حسب أن الذكر هو القرآن فقط..] ص(57_58)

على القاريء الكريم أن يقارن هذه الفقرة مع ما يلي من كتاب النظام القرآني ليرى بأمّ عينيه دليلاً آخر على الانتحال الفاضح:

لقد وُضعت القواعد النحوية والآراء التفسيرية بتعسّفٍ يدعو إلى الاستغراب إن لم يكُ يدعو للاستهجان.. وسنقدّم في هذا الفصل مناقشاتٍ لبعضٍ من هذه الآراء المتعسّفة نبيّن فيها المدى الذي قطعه الاعتباط اللغوي في صرف العقول عن تفهّم كتاب الله بالشكل الصحيح عن طريق التشويش عليها بالطرائق اللغوية التي تسمح بتمرير هذه الآراء على أنّها مراد الله.

فهذا ابن خالويه يقول في كتاب (ليس في كلام العرب) ما نصّه: (وليس في كلام العرب "بعد" بمعنى "قبل" إلاّ في قوله تعالى:

﴿وَلَقَد كَتَبْنَا فِي الزَبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِكرِ أَنَّ الأرضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَالِحون﴾ الأنبياء 105) انتهى.

فقد ظنَّ أنَّ (الذكر) هو القرآن، وإذن فكيف يكون (الزبور) من بعد الذكر؟، فلا بدَّ أن يكون (من قبل) لأنَّه قبل القرآن.

وعليه فإنّ (بعد) هي (بعد) عند جميع الأمم، وعند جميع العرب إلاّ عند الوحي وفي موضعٍ واحدٍ منه هي بمعنى (قبل)! فهل سمعتم أيُّها الناس في تاريخ الخلق كلّهم شرحاً لمفردةٍ لغويةٍ بهذه الطريقة العجيبة؟

وإذا كان أحدٌ قد توهّمَ أن (الذكر) هو (القرآن) أو كان هو قد (حرّف) الأمر عن قصدٍ، فقد جاء النحوي ليعطيه شهادةً على صحّة ما فعل بادّعائه أنَّ (قبلَ) هي (قبلُ) و(بعدَ) هي (بعدُ) في كلِّ لغات الأمم إلاّ في هذه الآية فإنَّ (بعدَ) هي (قبلُ)! وصارت هذه الشهادة قاعدةً يجري عليها التفسيرُ كلّما مرَّ بالآية.

وكان الأجدر بالنحوي دون سواه أن يتوقّف هنا ويتأمّل·· فعسى أن يكون ما قاله الناس عن معنى (الذكر) شيئاً خاطئاً·] النظام القرآني ص140

ولن نترك التجديديين هنا دون محاكمةٍ!:

س1: هل كان لكلام العرب نظامٌ سائدٌ حتى يحطِّمه ابن خالويه باشتباهٍ واحدٍ؟·

س2: أهو حطّم نظام كلام العرب أم نظام كلام الله؟

س3: كيف تقولون ان نظام العرب يقول بعدم تساوي الحروف؟، ذلك لأنّكم أنتم وقبل صفحةٍ واحدةٍ استنكرتم جعلها متساوية المعنى عند العرب فقلتم: **[كيف أصبحت (هلمّ، أقبلْ، تعال) بمعنى واحد؟]**!· هذا يعني أن كلام العرب عندكم بلا نظام أصلاً· فكلُّ ما فعله ابن خالويه هو ضرب اللانظام باللانظام·· فهكذا يصحُّ الكلام!·

س4: قولكم أنه (جعل كلام الله من كلام العرب) قد أفصح عنه النيلي في أكثر من مناسبةٍ وفي أكثر من كتاب، ولكن لا بهذه العبارة المبتسرة التي قد تصحُّ في صورةٍ من الصور، لأن كلام الله في لفظه وهيئته هو فعلاً من نفس كلام العرب لا من كلام غيرهم· وقد بيّن النيلي أن الهدف الذي كان مراداً من وضع علوم العربية والذي هو الحفاظ على القرآن من اللحن قد تحوّل مع الزمن الى هدفٍ آخرٍ هو مساواته مع كلام غيره من كل النواحي·· فانظر في آخر كتابه الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية·· وستجده يفصّل القول بلا ابتسار·

ويقول التجديديون:

[إنّ البعض من المفسّرين يزعم أنَّ "الحرف كذا استُخدم مكان الحرف كذا"، ما يوهم القاريء بإمكان الترادف وإمكان إحلال حرف مكان آخر، وعلى هذا المُدّعى يكون الحرف الأصل أبلغ فلمَ استعاض عنه سبحانه بالأبعد دلالةً وإيفاءً منه؟ وسنضرب مثلاً واحداً ممّا يقولون في مجيء "اللام" بمعنى"عن"، كما في قوله سبحانه: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)(الاحقاف: من الآية11)، فإن لم يكن بمقدورنا تصوّر وجود

ثلاث فئات هنا: هي فئة الذين كفروا، فئة الذين آمنوا المتكلم معها والمحتفظة مع الأولى بوشائج وولائج، ثم فئة السابقين المتميزة المتكلّم عنها.....الخ] ص59 الهامش

هذا الكلام وما يليه منتحلٌ هو الآخر من كتاب النظام القرآني ــ القاعدة العاشرة التي هي قاعدة مجيء اللام المفردة بمعنى (عن) والتي...:

[وَضَعَهَا النحاة ولم ينقضها أحدٌ منهم، وعدَّها ابن هشام من قواعد اللام المفردة. (مغني اللبيب/213/1) .

الشاهد القرآني: قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذين كَفَروا لِلَّذينَ آمَنوا لَو كَان خَيراً مَا سَبَقونا إليه ﴾ الأحقاف 11

والتقدير: (وقال الذين كفروا عن الذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه).

لقد ذكرنا لك أخي القارئ خطورة انعكاس المعنى الذهني على القواعد. فالنحوي يتصوّر معنىً معيّناً فيضع على ضوء هذا المعنى قاعدته. وإذا كانت جميع تصوّراتهم عن معاني القرآن خاطئةً لأنّهم لم يكتشفوا نظامه الصارم، فمن اليسير الحكم مسبقاً على خطأ أكثر القواعد أو حتى كلّها.

وها هم يتصوّرون شيئاً آخرَ لا وجود له في الآية، إذ تصوّروا إنّ الذين كفروا قالوا هذا الكلام عن الذين آمنوا، وقالوه لهم أيضاً في وقتٍ واحدٍ. والذي أوقعهم هنا هو هذا الالتفات السريع في الآية وهي تنتقل بين ثلاث مجموعات، بينما التصوّر الذهني لهم يقرّر أنّ في الآية مجموعتان فقط. على أنّه لو كان الأمر كذلك لقال (ما سبقتمونا) أو لقال (عن الذين آمنوا) بدل (للذين) كما اقترحوا!.

ويبقى السؤال عن المجموعة الثالثة قائماً رغم ذلك: مَنْ عنى الذين كفروا بهذا القول وخاطبوا به مَنْ مِنَ الناس؟.

انظر هذا المثال: (وقال زيدٌ لعمرو "لو كان صديقي لعاتبته").

ماذا يفهم السامع منه؟ .. يفهم أنّ زيداً كان يتكلّم مع عمرو، وهذه آخر جملةٍ قالها المُخبر عن حوارهما..

ولكن من هو الذي يتحدّث عنه زيدٌ وينفي عنه الصداقة؟ أهو نفس عمرو؟ وكيف يكون ذلك والواجب أن يقول: (وقال زيدٌ لعمروا "لو كنتَ صديقي لعاتبتك")؟.

كلاّ.. إنَّ زيداً يُخبرُ عمراً عن شخصٍ ثالثٍ كما هو واضحٌ لمن يؤمن بصدق المخبر وأمانته.

فلماذا اعتقد النحويون أنَّ المحاورةَ بين مجموعتين فقط؟ ولماذا لم ينتبهوا إلى أنَّ الذين (سبقونا إليه) هم مجموعةٌ ثالثةٌ؟

فهل يعتقد النحويون أو غيرهم إنَّ الذين آمنوا جميعاً سابقون؟ إلاَّ ترى الذين كفروا يجمعون أنفسهم مع الذين آمنوا في ضميرٍ واحدٍ لجماعة المتكلّمين (ما سبقونا)؟!.

أنت لا تدري أنَّ بعض الذين آمنوا كمجموعةٍ قرآنيةٍ يُحتَملُ منهم الارتداد، وبعضهم (ضعيف) الإيمان، وبعضهم (يتناجون بالإثم والعدوان)...الخ.

وكان تأخّر بعضهم عن ركب السابقين يزعجهم أكثر، ويجد الذين كفروا في هذا (وتراً) يحسن الضربُ عليه.. فقال هؤلاء الكفّار لهؤلاء الضعيفي الإيمان : (لو كان خيراً ما سبقونا جميعاً نحن وأنتم إليه). وهي محاولةٌ لإرجاعهم إلى الوراء باستعمال أساليب نفسية مناوئة لمجموعة (السابقين).

إنَّ النظام القرآني يحتّم أن يكون (السابقون) مجموعةً متميزةً عن مجموعة (الذين آمنوا)، ويظهر ذلك جلياً في كلِّ القرآن. ولكن المنهج اللفظي يشير الآن ومن غير ما حاجةٍ إلى استعراضٍ مطوّلٍ للآياتِ إلى موضعٍ واحدٍ تظهر فيه المجموعات الثلاثة سويةً، وهو موضع سورة الواقعة حيث أصحاب اليمين: وهم المؤمنون الذين غفر الله لهم، وأصحاب الشمال: وهم الذين كفروا، والسابقون السابقون.

وهكذا تبقى الحروف القرآنية نفسها من غير تقديرٍ، وتصبح القاعدة هباءً لأنَّها لا تملك شاهداً قرآنياً على مجيء اللام بمعنى (عن) إلاَّ هذا الشاهد.] النظام القرآني ص233

ويقول التجديديون:

[فتفسير بعضه بعضاً هو بجمع المتماثل من كلماته لمعرفة المجهول منها، وبالاستنباط، وبالربط والألحاق وجمع مواضيعه لاستكمال الصورة وغيره، مثال تبسيطي نقرأ (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) (التكوير:3)، فنتحيّر في معناها، فقد ينفتح لنا أفقٌ إن نضّدناها مع (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً) (النبأ:20)، و(يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً) (المزمل:14)، و(وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً) (الطور:10)، (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً) (الكهف:47)، و(وَلَوْ أَنَّ

قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ)(الرعد: من الآية31)، ثمَّ بالرجوع للسان العربي لمعرفة ما هو "جبل" وما "سير"، وهذا إنما لمعرفة ماهية التسيير وكيفيته و"الجبل" وماهيته، أي تفسير المفردات وحسب، لا أن نساوي بين تلك الآيات ونجعل معناها واحداً وظرفها واحداً ودلالاتها واحدة، فهذا القصور بعينه]ص61.

في هذه الفقرة جملة أمور:

1. إن ما قالوه عن التفسير بجمع المتماثل من الكلمات لمعرفة المجهول، وبالاستنباط والالحاق هو صياغةٌ أخرى لما أسماه المنهج اللفظي بعملية الاقتران التي تعتمد على مجيء نفس اللفظ او التركيب في آيات متعدّدة لغرض التفريق بينها من ناحية المعنى، ولغرض الكشف عن حقائق جديدة في كلٍّ القرآن وعلى مختلف المستويات، ويُعَدُّ الاقتران أساساً لعملِ المنهج اللفظي كما أشار النيلي الى ذلك في أكثر من موضع.

2. الغريب أنهم يأتون بمثالٍ يدَّعون الحيرة فيه، بينما هو من الوضوح بحيث ما سمعنا بمن احتار فيه من المفسرين، ولا كانت فيه مشكلةٌ تحتاج لحلٍّ.. فاذهب للتفاسير وانظر هل وجدت مفسراً يحتار في معنى الآية التي عن تسيير الجبال؟ لا أبداً.. وقد كان على هؤلاء بيان وجه الحيرة في الآية، فنحن ما حرنا فيها ولا غيرنا احتار.. ولكنهم هم فقط يدّعون الحيرة زاعمين أن من الممكن ان ينفتح لنا أفقٌ فيما لو نضّدناها مع غيرها.

3. طيب.. فها أنتم قد نضّدتموها، وبل ورجعتم للسان العربي لمعرفة ما هو "جبل" وما هو "سيّر".. فهلاّ أخبرتمونا عن الأفق الذي استغلق علينا ما يكون؟. أم كلّ همّكم أن تختلقوا لنا مشكلةً لا وجود لها أصلاً إلاّ في أذهانكم ؟.. فأين المنهجية؟

4. أنتم تطالبون بالرجوع الى اللسان العربي لتفسير المفردات. فنسألكم: أين هو هذا اللسان؟ وكيف نفسّر الكلمات طبقاً لهذا اللسان؟. فقد سبق لنا وإن شكونا قبلاً من عدم إبداءكم لمفهومكم عن اللسان العربي. فما مصادره يا سادة؟.. هل مصادره هو (علوم العربية الصحيحة) كما ذكرتم في ص(112) من كتابكم، والتي قلتم في هامشها أنها: [**علوم العربية مثل علم الألفاظ المعجمي، وعلوم النحو والصرف والبلاغة**

والدلالة]؟.. لكنّكم تصطرخون دوماً ضدّها، وجعلتم من أصحابها (أصواتاً لاغيةً) فوق صوت القرآن، وكذلك رأيناكم في هيجان ضدّها وضد ما آلت إليه من نتائج تحاولون قلبها لتسير القافلة دون لغوٍ كما زعمتم في مقدمة كتابكم.

وقد كان عليكم بعد إذ عبتم الأمة ولغوها أن تعيبوا أنفسكم التي فوق ما انتحلت وسرقت، فقد لغت مثلها، بل وأسوأ، فتعالوا لنريكم كيف هو أسوأ:

نسألكم: إذا كنتم تحيلون تفسير كلمات القرآن الى اللسان العربي الذي في علوم النحو والصرف ومعجم الالفاظ. أليس في هذا إحالةٌ للقرآن الى ما هو خارج منه؟.. أليس في هذا تحكيمٌ للقرآن بغيره؟.. أليس هذا هو بالضدّ تماماً من فكرة النظام التي تتبجّحون بالريادة لها والدعوة إليها؟، ذلك لأن النظام ينبيء عن نفسه بنفسه ومن خلاله هو لا من خلال ما هو خارجٌ عنه!.

وأسئلة وأسئلة...

ويقولون:

[فإذا كانت المفردة تعني أمراً في آية فربّما تعني غيره في آية أخرى كلفظ السماء في قوله (الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) (البقرة: من الآية22)، فالأولى الغلاف الجوي والثانية السحاب] ص62

أحقا يا أهل التجديد ما تقولون؟! و.. أليس هذا قولاً بالترادف في المعاني شاخصاً بعد أن قلبتموه معكوساً؟!

فما نعرفه عن نفي الترادف أن المفردة تبقى بنفس معناها الذي لن يتغيّر أبداً!. التغيّر إذ يقع فعلى المصداق الخارجي للفظ، لا على معناه. والمصداق هو ما يصح إطلاق اللفظ عليه جزئياً من حيثُ أنه موصوفٌ بجزءٍ من معنى المفردة الأصلي. فعندما أقول أن هذا المطر هو ماء، وهذا الندى هو ماء، وهذا الثلج هو ماء. فكلٌ من المطر والندى والثلج هي مصاديق للفظ (الماء) في ظروفه المختلفة، أي أن لفظ

الماء معناه واحد وهو يعمُّ كلَّ المصاديق التي تندرج تحت هذا المعنى، وعندما تغيرت ظروف اللفظ الأصلي إلى ظروفٍ جديدةٍ لا تخرج عن معناه العام (أي المصاديق) صار يتطلب لفظاً جديداً يعبِّر عن كلِّ ظرفٍ.

فثبات المعنى للفظ رغم تغيّر العبارات هو لازمةٌ لا يمكن تجاوزها لمن يفهم معنى النظام مطبقاً على اللغة. وهنا فلا يحقّ اسقاط معنى العبارة كله أو في جزءٍ منه على معنى اللفظ. إنما ينبغي التفريق.

على هذا:

كيف جاز لكم أن تدّعو أن لفظ (السماء) الأول من الآية الكريمة هو الغلاف الجوي، واللفظ الثاني منها هو (السحاب)؟.. أليس السحاب هو أحد مصاديق الماء في صورته الغازية لا من مصاديق السماء؟، وحتى أن أحداً ما ما قال يوماً أن السحاب هي السماء تحت أي ظرفٍ، بل هي محل تواجد السحاب. فالسحاب هو ماءٌ أيضاً وإنزال هذا الماء يكون من محل تواجد السحاب الذي هو السماء إلى الأرض. وبالتالي لا تأتي السماء بمعنى السحاب. فالسماء قد بناها الله تعالى وأنزل منها الماء، وفيها الغلاف الجوي أيضاً وهي باقيةٌ بنفس المعنى في الآية المذكورة.

إذن فالبناء للسماء والانزال من السماء.. فأين المشكلة حتى تكون السماء مرة بمعنى الغلاف الجوي ومرة بمعنى السحاب؟

القاعدة الخامسة: التحرر بكتاب الله من أسر فهم السالفين

يقول التجديديون:

[التحرّر بكتاب الله من أسر فهم السالفين رضوان الله عليهم، فقد يخالف المشتغلُ بالقرآن المفسرين الأجلاء مخالفةً بينةً ولا ضير من ذلك، وقد يتفق معهم، فكتاب ربنا هو الى الناس كافة، إلينا كما كان إليهم، علينا أن نقوم بواجبنا حياله كما قاموا أثابهم الله بواجبهم فيه وفق ما بلغوا] ص64

هذا الكلام هو من صميم ما تنادي به القصدية كما نظَّرَ لها النيلي، بل ما جاءت هي إلاَّ كردّ فعلٍ شرسٍ على فهم السالفين جميعاً عدا أهل البيت عليهم السلام، لأن هذا الفهم من وجهة نظرها هو فهمٌ اعتباطيٌّ جملةً وتفصيلاً. وكلُّ قاريءٍ للمؤلفات القصدية يخرج بهذا الانطباع ليتفاعل معه إما سلباً أو إيجاباً. فكُتُبٌ مثل الحل القصدي والحل الفلسفي قد تعرّضت للفهم الاعتباطي على الأصعدة اللغوية والبلاغية والفلسفية تعرّضاً لا مواربة فيه. وكذلك فإنَّ كتاب النظام القرآني قد تعرّضَ الى الصوفية ممثَّلةً بابن عربي ومن سار على دربه، وفضح غايته ومراميه من طروحاته وفهمه الذاتي للدين الشريف، وكذلك تعدّى نقد القصدية وتعرّضها الى المعاصرين من المفكرين السائرين على ركب المتقدّمين. وهذا التعرّض في صورةٍ منه هو مطالبة بالتحرّر من الفهم المسبق والتجرُّد من أفكار الغير والوثوق بالنفس في ما يعرض لها أفكار تتطلبُ تحقّقاً أو نقداً، والامتناع عن التسليم بها لمجرّد إنَّ فلاناً من العلماء قد قالها أو أخذ بها.

فهذه القاعدة المطالبة بالتحرر من أسر فهم السلف (وأيضاً الخَلَف) هي ما يتبيّنهُ كلُّ قاريءٍ للقصدية فور قرائته لمؤلفٍ نقديٍّ واحدٍ للنيلي. وهي مضمّنةٌ أصلاً في نقود القصدية كلها بما فيها نقدها للمباحث العقلية الأصولية المعاصرة.

إنما بخلاف هؤلاء فإنّ القصدية لم تحسن الظنّ بكلِّ عملٍ للسلف تملقاً كما فعلوا، فالعبرة عندها ليست بالمشقّة من أجل الهدف، ولا بالوصول للهدف نفسه، كما

يقول هؤلاء في فقرةٍ لاحقةٍ للتي جئنا بها· وإنّما العبرة تكمن في الدوافع والنيات· والقصدية قد شكّكت في أكثر السلف المرضي عنه عند الأمة بما فيها أمة التجديد، وإنها لتشكُّ في أنَّ تعب عديدٍ من أكابر السلف هو لوجه الله وقتَ أن نتائج أعمالهم بهذا السوء المُعاينِ في صفحات التاريخ السابق واللاحق والمعاصر، ولم تغتر يوماً بعبارات التمجيد لله تعالى ولقرآنه المجيد في بطون مؤلفاتهم، بل اعتبرت هذا أشبه بجواز مرورٍ مقصوداً به التأثير على أفراد الأمة بتخدير عقولهم وفطرتهم عن نقد ورفض ما يعرض لهما من آراءٍ وأفكارٍ هي بالضدّ تماماً مما يريده الله تعالى·

بالطبع ثمّة استثناءات، فلا يشمل هذا الموقفُ القصدي من عمل أكابر السلف المعصومين عليهم السلام بالطبع· كما وأنَّ هناك قلّةٌ من العلماء الورعين من عموم طوائف المسلمين لهم أجرهم عند الله· ومع هذا فالقصدية تتعامل مع فهم غير المعصوم على أساسٍ من كونه غير ملزمٍ ما لم يكن له أصلاً في كتاب الله وسنّة المعصومين عليهم السلام·

والمريب أن عصبة التجديد لم تستثن المعصومين من هذا السلف في رفضها لفهمه، بل حاولت تبرير موقفها بما في هذه الفقرة التي جاءت بها في هامش هذا الموضوع ص65 حيث قالت:

[إن تقديم كلام الله على كلام من دونه، وجعل شأن الله سبحانه فوق المخلوقين، قد يظنُّ به إزراء بالمقامات العظيمة للأنبياء ومظنة الاستخفاف بشأن العلماء،..] ص65

فانظر لما تحته خطٌّ لتعرف أنْ حتى فهم الانبياء (ع) تنظرُ إليه جمعية التجديد على أنه من فهم السالفين، فهم عليهم السلام لا يختلفون في هذا الفهم عن غيرهم ممّن تسميهم العلماء· فالأئمة المعصومون (ع) مشمولون بهذه النظرة ما دام الانبياء ومنهم نبينا محمد (ص) مشمولون أيضاً· فلا ندري إذن علام تجشّمهم لادعاءات الاتصال بالإمام الغائب (عج) وشأنُ موقفهم من فهمه عندهم لا يختلف عن موقفهم من فهم بقية العلماء السالفين أو المعاصرين؟!

ثمَّ جاءت باستشهادٍ لتأييد ما تقول به من واحدٍ من أشرس طغاة الفكر السلفي وهو ابن القيم الجوزيه المعروف بحدّيته المقيتة لكلِّ آخرٍ يحاول أن يفهم بخلاف الفهم الأموي العتيد واصفةً قوله بـــ (وما أروع ما قال..)!!.

لكنّ القصدية تقول: كلاَّ.. لقد جئتم بها عريضةً يا هؤلاء!.. فلستم في شيء ولا على شيء! ولا يمكن أبداً التحلّل من فهم الأنبياء والمعصومين عليهم السلام بأيّ حجةٍ كانت ولو كانت هي حجة (المُعَاصرَة) بظروفها المختلفة عن ظروف زمانهم.

إنَّ هذه الدعوة للتحرر بهذه الصياغة التجديدية هي من بين أخطر ما رأيناه لضرب الثقل الثاني من الاسلام وهو كلام المعصومين عليهم السلام، وذلك بهدف الاستفراد بالثقل الأول الذي هو القرآن من خلال فهمه بطرائق أخرى بديلةٍ عن فهم الثقل الثاني وقاسمُها المشتركُ هو جعلُهُ مُلْكاً للمخلوق يتصرّف به كيف يشاء. والغاية النهائية لهذه الدعوة التجديدية هي تحوير الحقّ وتلبيسه بالباطل عبر التشويه المتعمّد للمباني الأصيلة لهذا الدّين التي هي مبتغى القصدية الحقة التي لا تكون إلاَّ بالسير على هدى الثقلين الذين لا يفترقان أبداً.

ولكي تذرّ التجديد الرماد في العيون فقد جاءت بكلامٍ يتعلّقُ بحاكمية كلام الله، وضرورة أن لا نحكم شيئاً فوقه. ثمّ أتت بشاهدٍ تاريخي منطوقه هو بالضدّ مما تدعو إليه، فلننظر لهذا الشاهد:

[حيث استدل الامام جعفر الصادق (ع) على حرمة الخمر مع صراحة أنه مجرد منهي عنه في العبارة القرآنية، استدلّ لا من السنّة الشريفة "بلعن شاربها وعاصرها و.." بل من القرآن، بتسميتها "إثماً" (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) (البقرة: 219)، والله قد حرّم الإثم، في قوله: ({قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ) (الأعراف: 33) .] ص65

لكن:

أولاً: هل ترى أيها القاريء الخلط بين ما يدعون إليه من التحرّر من أسر فهم السالفين وبين مسألة حاكمية القرآن على السنّة الشريفة؟.. ثمَّ جَعْل الموضوعين

تحت نفس الخانة من عدم الخضوع لهما سويةً بحجة أنهما من فهم السالفين، وأنَّ لنا فهمنا المختلف!!· فعلى ضوء هذا (الفهم) الثوري الجديد، فليس لنا مطلقاً أن نستندَ في أحكامنا الى السنّة وما جاءت به من حدودٍ وتشريعاتٍ، وليس لنا الاستدلال بها، لأنها بحدّ ذاتها من فهم السلف!!

ثانياً: إن هذا الشاهد نستشفُّ منه حاكمية القرآن على السنّة عندما يشكُّ بصحتها، ولا نستشفُّ منه رفض فهم السلف، بما فيه من أنبياء ومعصومين· فهو ألصق بالقاعدة المتعلِّقة بسيادة القرآن على المرويات، وهي القاعدة السادسة عشر من قواعد التجديد·· وقد علقوا على هذا الشاهد بالقول: **[ودون هذا الاستدلال يُجعل قولُ السنّة المرويّة ثُمّ آراء الشارحين فوق كتاب الله.]** ص65

وبالطبع فجعل السنة دون القرآن لا علاقة له بفهم السلف، إذ السنة لو صحّت فهي مع القرآن على خطٍّ واحدٍ، ولا بدّ من اتباعها واتباع فهمها دون فهم غيرها من آراء الرجال·

ثالثاً: إن هذا الشاهد فيه خطأٌ تاريخيٌّ·· وقد كان عليهم أن ينقلوه بنصّه لا أن يتصرّفوا به كيفما كان· ولسنا ندري من أين جاؤوا به، لأنه شاهدٌ يتعلّقُ بحوارٍ مع الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (ع) مع الخليفة العباسي المهدي، وليس متعلقاً بالامام جعفر الصادق (ع)، وسننقل نص الحوار من كتاب وسائل الشيعة، وهو موجود أيضاً بنصّه دون تغييرٍ في كتاب الكافي وباقي أمهات كتب الحديث الشيعية في أبواب تحريم شرب الخمر:

(وَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ قَالَ سَأَلَ الْمَهْدِيُّ أَبَا الْحَسَنِ ع عَنِ الْخَمْرِ هَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَ النَّهْيَ عَنْهَا وَلَا يَعْرِفُونَ التَّحْرِيمَ لَهَا فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ ع بَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ مُحَرَّمَةٌ هِيَ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ فَقَالَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَأَمَّا قَوْلُهُ ما ظَهَرَ يَعْنِي الزِّنَا الْمُعْلَنَ إِلَى أَنْ قَالَ وَلَمَّا الْإِثْمُ فَإِنَّهَا الْخَمْرُ بِعَيْنِهَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ فَأَمَّا الْإِثْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهِيَ الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَإِثْمُهُمَا كَبِيرٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ الْمَهْدِيُّ يَا عَلِيَّ بْنَ يَقْطِينٍ فَهَذِهِ فَتْوَى هَاشِمِيَّةٌ قَالَ

قُلْتُ لَهُ صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْرِجْ هَذَا الْعِلْمَ مِنْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا صَبَرَ الْمَهْدِيُّ أَنْ قَالَ لِي صَدَقْتَ يَا رَافِضِيُّ)

إن السبب الذي أدّى إلى أن يستشهد الإمام عليه السلام بالقرآن مستدلاً به على حرمة الخمر، يتعلّقُ بكون الناس قد وقع عليها من الخلط في دينها درجة أن يدّعي الخليفة أنها تعرف النهي بخصوص الخمر لا التحريم، بالرغم من مئات الأحاديث الشريفة القاضية بحرمتها· ولم يقل الخليفة كيف عرفوا النهي· ولمّا كان القرآن هو الحجة التي ينزلون عليها فقد بهتهم الامام (ع) به·· وإلاَّ فواقع الحال أن شيعياً حقيقياً لو قال له الامام (ع) لا تشرب الخمر فعليه بالامتثال فوراً بصرف النظر حتى عن القرآن، وليس له أن يسأله عن العلّة، لأن حدَّ ما له مع الامام (ع) هو التسليم المطلق متى وصله أمره وقوله·· ولا شيء غير هذا·· وأين الخليفة العباسي من هذا التسليم؟!

وأخيراً: لقد صحَّ هذا الحديث عندكم يا أهل التجديد بدليل استشهادكم به·· ومع ذلك فلازمُهُ وفق ما تقولون أن لا نأخذ به وبمضامينه لأنها من فهم السالفين لآيات الله·· وبالتالي فليس لكم الاستشهاد به!!

القاعدة السادسة: الوحدة الموضوعية والسياق القرآني

العمل بخلاف النظر:

يقول مؤلفو كتاب المفاتح:

[السياق القرآني للآية بما قبلها وما بعدها وموضعها الخاص في السورة وهوية السورة واسمها الموقوفة عليه، أمرٌ له دوره في فهم المراد، وربط الموضوع الواحد المتناثر بآياته في سياقات مختلفة في سور متعددة له دوره العظيم أيضاً، في ترسّم معالم الصورة كاملةً] ص66

هذه القاعدة هي حصيلة حتمية لفكرة النظام القرآني، وإنّك لواجدٌ أن النيلي قد أكّد على ضرورة الالتزام بالسياق القرآني وعدم التعامل التجزيئي معه، وانتقد المفسّرين انتقاداً عنيفاً بسبب تلاعبهم بالسياق من خلال التقديم والتأخير والحذف والتقدير، وكذلك من خلال المجاز. ولن نأت بأمثلةٍ على ذلك، لأن المنهج اللفظي برمته هو منهج يسير ضمن السياق القرآني، وكتاب النظام القرآني مليءٌ بالشواهد على ذلك.

الغريب أن جمعية التجديد إذ تدعو لهذه القاعدة، لكنها تعمل عكسها في تطبيقاتها. مثال ذلك أنها تجعل (البشر) سابق على (الإنسان) متابعةً في ذلك لما قاله بعض المفكرين المعاصرين دون ان تشير إليه هو الآخر أيضاً، وهو د. عبد الصبور شاهين[1]. وهذا عكس ما توصّل إليه النيلي رحمه الله الذي ذكر بهذا الخصوص ما يلي:

---

[1] ادعت جمعية التجديد أنها عرضت مؤلفاتها على د. شاهين، وقد استحسنها، ولم يعترض على عدم الاشارة إليه في مؤلفاتها. وجاء هذا في معرض ردّها المنشور في إحدى جرائد البحرين. ولكننا لم نجد أثراً لهذا الادّعاء حتى في موقعها على الانترنت لغاية طبع هـذا الكتاب. ثمّ وإن.. فعلى الأقل قد زارته، وحتماً اعتذرت له!، بل وقد وجّهت له الدعوة لاحقاً لألقاء محاضراتٍ عامةٍ في مقرّهـا في البحرين ـــ تجد هذا الادعاء في الملاحق آخر كتابنا هذا.

[وإنما عمل هذا التخبط عند المفسرين ترادف الألفاظ وإيمانهم بتساوى دلالة الألفاظ (إنسان وبشر)· وكما تلاحظ فالسياق واضح جداً: الإنسان تقدَّم في الخلق ثم تطور إلى بشر]

وهو يقصد بالسياق هنا ما في آياتٍ أخرى ذكرها قبل هذه الفقرة مباشرةً· فراجع كتابه طور الاستخلاف صفحة (366)·

انتحالٌ من كتاب طور الاستخلاف:

وبعد ذلك جاءت التجديد بمثالٍ على قاعدتها يلمّح على استحياءٍ إلى انتحالٍ آخرٍ· والمثال هو عن سورة المدثّر في آياتها:

(كَلَّا وَالْقَمَرِ. وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ. وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) (المدثر:32_34)

حيث قالت عن الآيات ما يلي:

[.. بل لا بدّ من مراجعة السياق وضبط معادلة إيقاع الكلمات، لنشهد بعدئذٍ أنّ تأويل هذه الآيات، سيكون مشهداً كونياً بآيةٍ تصيب القمر، يأتي ما قبل ختم تاريخ الإنسانية] ص(66_67)

فواضحٌ إذن أن مضمون هذا الكلام منتحلٌ من كتاب طور الاستخلاف، لأن موضوع هذا الكتاب مخصّصٌ أساساً للحديث عن هذه الآية الكونية التي يبدأ معها يوم الدين·

نقدٌ دون بديل:

ثم جاءوا بمثالٍ مبتسرٍ عن سورة الفجر، فقالوا:

[فالوحدة الوضوعية والسياق، نسيج، أُصيب بآفة الخلط وعدم الدقة لدى كثيرٍ من المفسرين والباحثين، حين تُنزع الآية من سياقها ونسيجها كالتفسير المبعثر لآيات (والفجر، وليالٍ عشر) (الفجر: 1،2) ولم يُأبه لاسم السورة ولا لموضوعها وسياقها ووحدتها وجزّأت تجزيئاً وقطعت أوصالها] ص67

لكنهم لم يبيّنوا كيف حدث كلٌّ هذا لهاتين الآيتين· ولم يأتوا بمثالٍ واضحٍ من التفسير المألوف لهما، فضلاً عن تقديم تفسيرهم الموضوعي والسياقي البديل لها· فأصالة التنظير تتطلّب التفصيل النقدي لا الإتيان بمثالٍ مجتزيءٍ لا يبيّنُ حيثية القاعدة قيد البحث· فهذا يدلُّ على أنَّ كاتب هذه القاعدة أعجز من أن ينظّرَ لها ضمن فكرةٍ شاملةٍ كفكرة النظام القرآني وقصدية اللسان العربي، وبالتالي فهو ليس سوى منتحلٍ حقيقيٍّ لم يستوعب الفكرة فجازف بانتحالها على علاّتها غير آبهٍ بسياقها ووحدتها فكان أكثر قدرته في تجزيئها وتقطيعها، تماماً مثل المفسّرين الذين انتقدهم!·

النسخ مرّةً أخرى:

وبعدها جاءوا بمثالٍ لا يقلّ ابتساراً عن سابقيه يتحدّث عن النسخ والإنساء، مطالبين بضرورة تعديل مفهوم (النسخ) على وفق الميزان القرآني لا وفق ما قيل واشتهر··

وهنا لم يبينوا كيفية التعديل ولا أتوا بأمثلةٍ عن النسخ وفق مفهومهم له، بل لم يأتوا بمفهومٍ له على الإطلاق، وإنما أحالوا القارئ على (ملمحٍ) منه فيما سبق من كتابهم هذا!·

وقد تقدّم لنا نقدٌ على هذا الملمح، وسنعيدُ هذا النقد كرّةً أخرى على وفق إثاراتٍ أخرى:

النسخ كما يبدو بقي عند هؤلاء بنفس تعريفه المعتاد عند المفسّرين، والفارق أنهم يقولون أنه قضية ظرفية، بمعنى أن الآيات الناسخة والمنسوخة تبقى أحكامها سارية طبقاً للظرف التاريخي المعاين· فآيةٌ ما سبق نسخها يمكن أن يعمل حكمها في زمانٍ آخرٍ لو توفّرت فيه الظروف المشابهة لظرف نزولها· ويقول هؤلاء:

[بعبارة أخرى أنَّ النسخ لم يكن بين آيات القرآن، بل بين أحكامها في الواقع..الخ] ص43

وادّعوا أن النسخ منحصرٌ بين الشرائع، وقالوا إن هذا هو صريح منطوق آية النسخ وتبع سياقها (آية البقرة ــ 106).

وتعليقاً على هذا لنا أن نسألهم:

1. من أين جئتم أنَّ النسخَ تبعٌ لظرفه؟.. هل القرآن ينطقُ بهذا؟ هل الحديث الشريف قد صرّح به؟ أم هو حكمٌ عقليٌّ منكم لا صلة له بأحكام الشرع؟!

2. قولكم أن النسخ واقعٌ بين أحكام الآيات لا بين الآيات من أين جئتم به؟، بل القرآن بخلافه تماماً حيث أنَّ نصَّ آية النسخ والإنساء تتحدَّث عن النسخ للآيات لا لأحكامها، ما يعني أن كل آيةٍ محتملةٌ للنسخ من قبل الشارع المقدّس أيّاً ما كانت: من آيات الأحكام أو من غيرها. ألا يرى القارئ الكريم أن في ما يقوله هؤلاء نوعٌ من المخالفة للسياق القرآني الصريح؟.. فأين التطبيق من التنظير؟!

3. الادّعاء بأن النسخ منحصر بين الشرائع حسب صريح منطوق آية البقرة وسياقها.. هذا الادّعاء مردود جملةً وتفصيلاً. فهذه هي الآية:

(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(البقرة:106)

فأين نسخ الشرائع فيها؟.. أين صراحتها في هذا الشأن؟

فما تقولون في التصديق للشرائع التي قبل الشريعة الخاتمة المذكور في آياتٍ كثيرةٍ من كتاب الله؟

أيها القارئ: عليك بمراجعة النصّ المستل من كتاب طور الاستخلاف في موضوعٍ مرّ قبلاً[1].. فإن استوعبته فلك أن تتساءل معنا:

أين هو الالتزام بالسياق القرآني والوحدة الموضوعية في دعوى نسخ الشرائع يا دعاة التجديد؟. فهل ترون كيف أنَّ النيلي قد التزم هذا تماماً بخصوص هذا

---

[1] موضوع (علم الناسخ والمنسوخ) من هذا الكتاب صفحة (51_53)

الموضوع؟ فما بالكم خلطتم حابلاً بنابلٍ من أجل قصديةٍ مشوّهةٍ ومتناقضةٍ من بعد انتحالها.. ألا إن القصدية الشريفة من تنظيركم براء!

غايتهم من القول بالنسخ الظرفي:

والآن لنرَ غايتهم من هذا التنظير المضطرب لمفهوم النسخ. وإنها ليست سوى مصادرة الحكم من الله تعالى ليكون الحكم لهم خالصاً!.. فها هم بعدما أظهرنا موقفهم من السنَّة الشريفة التي جعلوا منها شيئاً خاصاً بزمانٍ دون زمان باعتبار أنها من فهم السلف الذي لا بدَّ من التحرّر منه، ها هم فتحوا باباً آخر للتصرّف بالأحكام من خلال هذه الادّعاءات المتعلّقة بالنسخ الظرفي.. والله أعلم كيف سيتمّ هذا التصرّف وفقها؟!.. فهم لم يجيئوا سوى بمثالٍ عقليٍّ عن طريقٍ مرصّفٍ وآخر وعرٍ وسيارة تمشي بسرعةٍ هنا وببطءٍ هناك!.. وهم يحسبون أن شريعة الله تقاس على أمثلةٍ من بناتِ عقولهم هي بحدِّ ذاتها غير صحيحة ولا منطقيةٍ ولا دالةٍ على مرادهم حتى!.. فلنثبت كلامنا بعد جلب كلامهم، فقد قالوا:

[وربَّ واقعٍ قد أورث نسْخَ حكم هذه لتلك يوماً، ينقلب في مكان وزمان وظرف آخر فيغدو المنسوخ عاملاً والناسخ معطلاً، بل قد ينقلب ذلك في خمس دقائق بتغير الموضوع أو جزئية منه، فالأمر كله يضحى كالمثال التالي: (الطريق مرصّف، فعليك أن تنطلق بالسيارة بسرعة) ثم (ها قد صار الطريق وعراً، فعليك السير بالسيارة ببطء) فليس معنى هذا أن علينا أن نمشي وللأبد بسياراتنا ببطء لأنه الحكم الأخير، بل معناه أن الحكم الثاني نسخ الحكم الأول في الواقع ذاك، ذلك الأوان، لأن الواقع تغيّر، ولأنه تزاحم حكمين فإما أن نسرع وإما أن نبطيء، فحكم الإبطاء نسخ حكم الإسراع في ذلك الظرف، ظرف وعورة الطريق، لا في كلِّ ظرف، فإذا ما عاد الطريق مستوياً فالحكم الأول يزيل (ينسخ) الحكم الثاني، وهكذا، فليس ثمّة نسخ في النصّين، بل كلاهما يعملان، حسب توارد موضوعهما.] ص(43_44)

وجه اللامنطقية في هذا الكلام يتبيَّن من ما يلي:

1. إن تحديد الوقائع بظروفها ومتغيراتها هي من وظيفة الخالق الشارع فقط، لا من وظيفة المخلوق وعقله وتجاربه.. لأن المتغيرات فوق رصد المخلوق دوماً. وعليه فأحكامها هي أحكام الشارع فقط.

2. لم نجد بين أيدينا من آيات الأحكام ما تمَّ نسخه، ثم العودة إليه في ظروف الصدر الأول، ولا في ما بعده. والاستشهاد بآيات الثبات والصبر هو استشهاد ليس في محله، لأنَّ ثمة أحكام ووصايا موجودة أصلاً لكلِّ ظرف. إذ ما من واقعةٍ إلاَّ ولها حكم في كتاب الله كما يقول المعصوم. وتبدّل الأحكام بتبدل الظروف لا يسمى نسخاً، إذ النسخ هو إلغاء حكم ما بحكم آخر وفق مشيئة الخالق فقط. من هنا فالمثال العقلي الذي جاء به هؤلاء لا ينطبق على مفهوم النسخ المتعلقّ بكتاب الله.. كان لهم أن يأتوا بمثالٍ عن حكمٍ شرعيٍّ تمَّ نسخه في ظرفٍ معيّنٍ ثمَّ العودة إليه في ظرف آخر ليتمَّ به مطلوبهم.

3. أين هما الحكمان المتزاحمان في هذا المثال عن السيارة؟.. لا يوجد حكمٌ أصلاً في المثال!.. فإمّا أن نمشي بسرعةٍ أو نمشي ببطء، ولكن لا بحكمٍ منّا وإنما طبقاً للواقع الموضوعي المعاين لنا. نحن نمشي بالسيارة لا وفق حكم مفروضٍ علينا من أي جهةٍ، بل وفق ظروف تجبرنا على أن نمشي بطريقةٍ معينةٍ.

4. إن الغرض من التنظير التجديدي للنسخ مقصودٌ به سرقة التشريع بحجة تغير الوقائع.. وهي السرقة نفسها التي أفضت إلى أحكام القياس والاستحسان والمصالح المرسلة التي جاءت بمعارضة الأحكام الشرعية الأصيلة المبيّنة من قبل أهل البيت عليهم السلام. وهذا التنظير هو من الخطورة بمكان بحيث ننبه السادة العلماء المعاصرين إلى ضرورة تحمّل مسئوليتهم الدينية لمواجهته بكلِّ قوّةٍ. وتتبدّى خطورته بما سبق وجئنا به من مثالٍ يتعلّقُ بالخمر الذي يمكن أن تحلّل طالما أن حكمها حكم نسخٍ بالمفهوم التجديدي الظرفي!.

وهذا النوع من التنظير يذكّر بتنظيرٍ من نوعٍ آخر نكادُ لا نشكُّ أنّه أحد ملهمات التجديد لهؤلاء وأمثالهم، وهو ما جاء به السوري محمد شحرور الذي حاول تغيير أحكام الكتاب بطريقة تفسيريةٍ تجعل من الحرام حلالاً كما ظهر بيِّناً في تفسيره لآية: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) (النور: من الآية31).. حيثُ صرّح

بأنَّ المرأة المؤمنة يحقّ لها أن تظهر عارية تماماً مع محارمها من أبيها إلى والـد زوجها إلى ابنها إلى ابن زوجها إلى أخيها إلى ابن أخيها أو اختها!!، بل ولها الحق في أن تخرج بالطريقة التي نراها في الملاهي والبلاجات!!، وذلك من خلال تفسيرٍ مدلّسٍ لا يصمد حتى أمام طريقته هو في الفهم. ومعلومٌ أن (شحرور) قد تمّ الاحتفاء به، كما وتمّت دعوته لالقاء محاضرات في مقر جمعية التجديد[1].

[1] انظر موقع جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية على الانترنت، تجده حافلاً بالصور والمحاضرات الشحرورية!.

القاعدة السابعة: الضمائر في القرآن

قاعدةٌ منتحلةٌ أيضاً:

لن ندخل في الكلام المفصّل عن هذه القاعدة· لأنها ببساطةٍ من أمهات ما أفصحت عنه القصدية، بل إن النيلي قد أفرد لها كتاباً كاملاً أسماه (المدخل إلى نظام المجموعات) وذيّله بعنوانٍ فرعي هو (بحث في عائدية الضمائر وعلاقاتها بالمجموعات في نظام القرآن الكريم)· وهذا الكتاب بمثابة جزء ثانٍ من كتاب النظام القرآني حيثُ فصّل فيه الكلام عن عائدية الضمائر وعلاقتها بالمجموعات الواردة في النص القرآني، وجاء بأمثلةٍ كافيةٍ عنها·

فهذه القاعدة إذن جزئيةٌ منتحلةٌ من قبل التجديديين الذين قالوا:

[القاعدة هي: التعامل مع ضمائر كلام القرآن كما هي في اللسان العربي بلا تبديل لكلام الله، ضمير السامع] ص70

هناك كلامٌ مهمٌ للسيد النيلي يتحدّث فيه عن آلية عائدية الضمائر، وهذا هو نصّه:

[ولكن المنهج اللفظي قد ذكر أنّ الضمائر في القرآن لا ترجع إلى ما ترجع إليه بقاعدة (التبادر)، بل لها قانونها الخاص· فالالتفات في الضمائر يحدث أكثر من مرّة وعائديتها محكومة بقواعد بالغة التعقيد حيث تشترك آياتٌ كثيرةٌ جداً لفهم عائدية الضمير في الآية الواحدة·

وعلى مصطلحات المنهج اللفظي فإنَ عائدية الضمائر تكون كآلاتي:

(تدخل الضمائر في المركبات فلا يحصل التباس مطلقاً· ولكن في التراكيب المستقلّة المعنى يعاد الاسم نفسه، ولا يستبدل بالضمير لنفس السبب أي لرفع الالتباس والدقّة في أداء المعنى إلاّ إذا كان احتمال عائديته إلى غير المسمى المقصود يساوي صفراً)·

وهذه الطريقة لا يستعملها، بل لا يقدر على استعمالها أي مخلوق ويمكنه في عين الوقت المحافظة على النظام الكلي للكلام ومحاسنه الأخرى·

فقوله تعالى: (إنَّا مُهلِكوا أهلَ هَذهِ القَريةِ) هو جملةٌ تامة المعنى، وإذا تمَّ المعنى فلا يركّب ضميراً يعود على شيء فيها ويجعله بجملةٍ أخرى تامة ولو كانت هي الجملة التي تتلوها وفي آيةٍ واحدةٍ.

أتدري لماذا؟ لأنَّه تعالى هكذا يتكلّم.. فلو اقتطعت جزءً من آيةٍ فإنّ هذا الجزء يبقى مستقلاً في أداء معنىً صحيحٍ وحقيقةٍ معيّنةٍ ولو كانت جزئيةً. ولا يفعل ذلك إلاَّ حينما تكون احتمالات عائدية الضمير على غير المسمى المقصود تساوي صفراً.] النظام القرآني – ص(163_164)

وللوقوف على تفاصيل أخرى عن هذه القاعدة فلا بد من مراجعة كتاب المدخل إلى نظام المجموعات. وهنا نقدّمُ فقرةً من هذا الكتاب من بين فقرات ومواضيع عديدةٍ تتحدّث كلها عن الضمائر في القرآن الكريم:

[ومن نافلة القول أنّ عائديّة الضمائر ستختلف في النظام القرآني عمّا سبق ما دمنا نتحدّث عن نظامٍ كليٍّ للنصّ الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنّ الضمائر في النصّ القرآني تتقلّب مع مراد القائل سبحانه دوماً ولو في الجملة الواحدة بسببٍ من كون المتكلّم سبحانه حكيمٌ مطلق الحكمة لا يفوته شيءٌ ولا يعجزه شيء ولا يضلّ ولا ينسى ولا يعزب عنه شيء ولا يشغله شيء عن شيء وهو سبحانه بريءٌ من أي نقصٍ يوجب التلبيس أو الإيهام أو الإبهام.، بل كلامه صريحٌ مبينٌ واضح المناهج، وكلّ ما في الأمر أنه إذا قال قولاً جاء قوله مصدّقاً لما مضى من أقواله ولما هو آتٍ منها، فأقواله تتّسم بـ (حيوية الإلقاء) المستمر، أي يتوجّب علينا تصوّر النص وهو يُلقى إلقاءاً كلّ حينٍ ، فهو نصٌ مُلقى مكتوبٌ، وليس نصّاً مكتوباً ليُلقى .

إذن علينا إذا قرأنا الآية أن نتصوّر أنّه يلقى علينا من السماء إلقاءاً ، فإنّ ذلك يقرّبنا كثيراً من معرفة عائديّة الضمائر بالاعتماد على النظام القرآني وقواعده.] المدخل إلى نظام المجموعات – موضوع (عائدية الضمائر)

استدراكٌ لبيان تناقضٍ:

لكن علينا أن نستدرك شيئاً في موضوعهم هذا عن عائدية الضمائر، فقد قالوا:

[أما على صعيد صياغته اللغوية"يقصدون القرآن" فقد انصاغ بلسانٍ عربي مبين وفق قواعد العربية الصحيحة، لا حسب الشواهد الشعرية، ولا كلام العرب أياً كانوا، بل العربية

الطبيعية الصحيحة التي تكلّم بها أفصح العرب محمد (ص) وينبغي أن يتكلم بها فصحاء قريش وأقحاح العرب، هذا على مستوى القواعد والنظام، أما على مستوى مفردات الكلمات (وجوداً ونطقاً) فهي من اللغة العربية "قبائل العرب" المخزونة في لسان محمد (ص).. الخ] ص(68_69)

فلاحظ التناقض في هذا النص: فهم يدّعون أن القرآن انصاغ وفق قواعد عربية صحيحة، وليس وفق كلام العرب أيّاً كانوا، ثمَّ عادوا فجعلوا مفرداتها في العربية الطبيعية التي تكلّم بها أفصح العرب محمد (ص) وينبغي أن يتكلّم بها فصحاء قريش وأقحاح العرب!!..

ترى أليس كلام هؤلاء الفصحاء والأقحاح هو من كلام العرب أم أنهم ليسوا عرباً أصلاً؟!!· فإن كان ينبغي لهم أن يتكلموا بها فهي كقواعد موجودةٌ (حتى وإن لم تكن مصاغةً حينها)، وكذلك العربية الطبيعية الصحيحة موجودة هي الأخرى وقد تكلّموا بها كما تكلّم بها أفصحهم وهو النبي (ص)·· فكيف نفوا أن تكون هذه القواعد أو العربية الطبيعية من كلام العرب أيّاً كانوا؟!!..

لكن ما مقصودهم بالعربية الطبيعية الصحيحة؟!·

هل نستشفُّ من لفظة (طبيعية) أنها عربية جاءت عفو الخاطر وتطوّرت طبيعياً حتى آلت إلى قمّة الفصاحة لدى النبي محمد (ص)؟!· فإن كان هذا مقصودهم فإنهم يكونوا بذلك قد تعمّدوا إقصاء الجانب الإلهي في وضع القواعد ووضع اللغة (وجوداً ونطقاً)· ومعلومٌ أن النظام القرآني لا ينفكُّ عن اللسان المصاغ به، فلأنه (أي النظام القرآني) نظام الله في كلامه، فهذا يعني أن هذا الكلام الذي هو بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ من وضعه هو تعالى على جميع المستويات· فالنظام واللسان كلاهما من وضع الخالق عزَّ وجل·

وبصرف النظر عن هذا: فمن ذا الذي يأتينا بهذه القواعد العربية الصحيحة؟، ومن يضمن لنا صحّتها لنضمن من بعد ذلك صحّة النظام القرآني؟ أسئلة لا أعتقد أنهم قادرون على الاجابة عنها· لأن المنتحل لا يستطيع الغوص بعيداً كونه يتحدّث

بلسانٍ غير أصيل، وينطقُ عن عقلٍ غايته لا البحث العلمي، بل التشويه وصولاً لغرضٍ ليس إلاَّ!

وهنا أنصح القارئ الكريم بقراءة إشكالية وضع القواعد العربية وعلاقتها بالنص الشريف في كتاب النظام القرآني للسيد النيلي· وسيجد هناك حديثاً غاية في الأهمية عن هذا الموضوع· (الفصل الثالث ــ مناقشة المنهج اللفظي لقواعد النحويين ــ توطئة في إشكالات وضع القواعد) رقم الصفحة (189)·

والى هنا نكتفي بالحديث عن هذه القاعدة الخاصة بالضمائر، ولو أننا لن ندخل في متن الأمثلة التي جاءوا بها كدليلٍ على ضرورة عدم التصرّف بالضمائر، وهي كلها كما يبدو تقوم على ضرورة الفصل بين ضمير المتكلّم المفرد عندما يكون هو الله تعالى وبين ضمير المتكلمين عندما يكونوا هم ملائكة الوحي أو ملائكة التدبير كما أسموهم، أو القوى المنفذة كما أسماها النيلي في كتابه ملحمة جلجامش والنص القرآني حيث قال: **[ولقد عبَّرَ القرآنُ دوماً بصيغةِ جمع المتكلمين للإشارة إلى القوى المنفِّذَةِ من الملائكة]** ملحمة جلجامش والنص القرآني ص152، وكذلك سمّاها الكثرة أو الجماعة المنفذة في مواضع أخرى من مؤلفاته كطور الاستخلاف صفحة (404)، وكتاب الحل القصدي في موضوع (أصناف أخرى من المجاز المزعوم/ آية" حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ")·

وعلى أيةِ حالٍ فإنَّ التغاير بين الضمائر في النص الشريف هو ممّا تطرَّقت إليه القصدية، والتجديديون لم يفعلوا أكثر من زيادة تفصيلٍ فيها لآياتٍ لم يتطرّق لها المرحوم النيلي· على أنَّ قاعدتهم هذه عن عائدية الضمائر لا تنتهي هنا· وإنما جاءت هذه القاعدة لتكون مدخلاً أو تمهيداً لنتائج أخطر أودعوها في بحوثهم اللاحقة الغرض منها هو التشكيك بالمصدرية الإلهية للنصّ القرآني الشريف· فقد نسبوا صنع القرآن كله إلى مخلوقاتٍ علويةٍ معارضين بذلك صريح هذا القرآن نفسه الذي يقول:

(.. صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (النمل: من الآية88)

القاعدة الثامنة: دلالة اللامذكور

عرَّف التجديديون هذا المصطلح على أنه:

[ما يمكن للظنّ/الوهم أن يتصوّره محذوفاً، مع أنّه لا داعي له ويستقيم (بل لا يصحّ إلاَّ) بدون تقديره] ص84

وهذا المصطلح متعلِّقٌ بقاعدة رفض وجود المحذوف في كتاب الله التي هي من أساسيات قواعد المنهج اللفظي.

وحتى يظهرُ واضحاً وجود الانتحال في متن شرحهم لهذه القاعدة، فسنثبتُ هنا جملةً من الأمثلة الواردة فيه والتي تبرزُهُ ساطعاً. فمن هذه الأمثلة:

المثال الأول:

[..و(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) (يوسف: من الآية82) يعني اسأل أهل القرية وإن كان معنى القرية هو "التجمّع" السكاني أو العمراني فلا داعي لتصوّر لفظة "أهل" مقدّرة هنا] ص85

نحن هنا نطالبهم بالجواب على هذا السؤال: من أين جئتم بأن معنى القرية هو "التجمع" السكاني أو العمراني؟ من أي تفسيرٍ؟ من أي كتابٍ؟ من أي معجمٍ؟.

وسوف لن يكون حالهم في الجواب إلاَّ حال المضطرب متلبساً بالجرم المشهود!

ذلك لأنه انتحالٌ محضٌ من كتاب النظام القرآني، لكن مع التلاعب والافتئات!

إذ لم يبيّنوا لماذا لا يكون هناك داعٍ لتقدير لفظ "أهل" إذا كان معنى القرية هو التجمع العمراني بالذات (لا السكاني) بفرض أننا نفهم من التجمع السكاني ما قاله النيلي من أنه السكان والناس الذين فيها، وأن التجمع العمراني يراد به الأبنية والدور دون الناس. لأن على هذا المفهوم للتجمع العمراني لا بدّ من التقدير بلفظة (أهل).

حيث من المعلوم أن النيلي قال أن القرية ليست الدور والأبنية التي تعني التجمع العمراني.

فاقرأ له ما يلي:

[فالقرية هي في القرآن (تجمّعٌ سكانيٌ) وليست هي (الدور والأبنية) كما زعموا. أمّا (أهل القرية) فهم الأفراد الذين يؤسّسون النظام الاجتماعي للقرية. وهذا يعني أنّ القريةَ كتجمّعٍ سكّانيٍ يمكن أنْ تهتدي أو تكفر أو تؤمن أو تعذّب أو تُسأل، لأنّها كيانٌ اجتماعي له عقلٌ جماعيٌ ونظامٌ صالحٌ أو فاسدٌ.] النظام القرآني ـ ص159

أو:

[إنّ القرية (تجمّع سكّاني) تكون آمنة أو خائفة أو عاتية أو كافرة أو هالكة حقيقةً لا مجازاً، وإنّ (أهل القرية) هو مركّبٌ آخرٌ مختلفٌ عن (القرية). وياتيك إيضاح الفرق في موضوع الإضمار والحذف.] النظام القرآني ـ ص104

وقد يقول القارئ لعلهم أتوا بهذا المعنى من المعاجم أو التفاسير. لكننا راجعنا عدداً كبيراً جداً من التفاسير المختلفة فلم نجد فيها شيئاً من هذا أبداً. وله أن يبحث بنفسه إن أراد. وكان مستندنا في البحث هو مكتبة أهل البيت الموجودة في قرص (DVD) والصادرة من مركز المعجم الفقهي ومركز المصطفى للدراسات الإسلامية.

فمن الامانة العلمية نسب المعنى الذي جاءوا به إلى مصدره أيّاً كان، أو إثبات هذا المعنى من خلال تنظيرٍ مستجدٍّ قادرٍ على استنباط المعاني وفقاً لقواعد النظام القرآني مثل الذي تجدُ المرحوم النيلي يقوم به في كلِّ ما يأتي به من معانٍ مخالفةٍ للمأثور أو المألوف.

فهنا تتضح دلائل الانتحال من كتاب النظام القرآني أكثرُ وتتثبت التهمة به عليهم بلا مراء.

المثال الثاني:

قولهم:

[فرجوعاً إلى القاعدة، لتوضيح مرادنا "باللامذكور" اقرأ مثالاً قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) (الصافات:5)، إنَّ عدم ذكر "المغارب" هنا، ليس لدلالة المشارق عليها كالمتضايفين، كيف وقد ذكر سبحانه الاثنين في موقع آخر (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) (المعارج:40)؟ فالسرّ هو أن السياق الأول ينبغي فيه إفقاد "المغارب" منه لحكمة خافية إما نعلمها أو لا نعلمها، لكن لا أن نفترض وجود "المغارب" محذوفة ليخفّ وجع الرأس ونرضى بالكمن المريح، لأننا بهذا نبطل الحكمة بطمسها عن عقولنا بالتخريجات السريعة] ص89

قارن هذا الكلام مع ما يلي مستلاً من كتاب الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية في المبحث الثالث عشر (الحذف):

[(رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) (5) سورة الصافات

قالوا: أي والمغارب فحذف المغارب!

أقول: حاولوا استجلاب نسق سورة المعارج:

(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) (40) سورة المعارج

لأجل تقديره في نسق الصافات.

ولئن سألتهم: (هل نسي المتكلم "المغارب"؟)

ليقولن: (معاذ الله!)

ولئن سألتهم: (هل كان عجلاً فتركه هنا؟!)

ليقولن: (سبحان الله)

فقل لهم: (فأذِنَ لكم أن تأخذوا لفظاً من موضعٍ فتجعلوه في موضع آخر؟!)

سيقولون: (لا!)

فقل لهم: (فهل تعلمون مافي نفسه كما يعلم مافي انفسكم؟)

سيقولون: (لا!)

قل لهم: (فهل ترك لفظ "المغارب" هنا لغاية يقتضيها المعنى أم اعتباطاً؟!)...

(فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون...)!!!.

ويتَّضح لك من هذه التساؤلات المفترضة طبيعة الحل القصدي، وعلاقته بالنصّ مقابل الإعتباطية التي تحاول إغفال الغايات المحدّدة للنص بحسب مراد القائل.] الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية ـ المبحث الثالث عشر (الحذف).

المثال الثالث:

قولهم:

[وهذا عينه ما قاله المفسرون في قوله تعالى (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) (النحل: 81)، فأضافوا ـ مزايدين ـ على كلام الله بقولهم: "والتقدير (تقيكم الحر والبرد)"! فهل فات على الله سبحانه ذلك؟ هل كلما ذُكر الحر نقدّر معه البرد، فلنقرأ قوله سبحانه: (وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً)(التوبة: 81) فليكن التقدير (لا تنفروا في الحر والبر، قل نار جهنم أشدّ حراً وبرداً)!!] ص89

قارن بما قاله النيلي في كتابه النظام القرآني ـــ قاعدة جواز حذف الواو والفاء مع معطوفيهما:

[ومثال آخر:

(وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُم الحرَّ) المائدة 81

التقدير: تقيكم الحرَّ والبردَ.. (الأشموني/116/3 ـ إحياء علوم الدّين).

زيادةٌ أخرى على نفس القاعدة!! فاسألهم : (لماذا لم يقولوا: والثلجَ والصقيعَ والعواصفَ؟!).] ص217

ولكن مع ملاحظة أن النيلي قد ذكر مَنْ مِنَ المفسرين قال بهذا التقدير، بينما ترك هؤلاء ذكر ذلك، ولئن دلَّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على عدم الحاجة إلى تجشّم العناء طالما أن المهم هو نقل المثال انتحالاً من كتابٍ آخر!.

المثال الرابع:

وأخيراً.. فقد يحدث أن يأتوا بمثالٍ عن بعض القواعد الاعتباطية لا ذكر له في المصادر التفسيرية، وليس فيه ما يدلُّ على وجود مشكلة ما إلاَّ من جانبٍ هم يبتدعوه دون الجانب المذكور في تلك المصادر. فخذ مثلاً قولهم:

[وكذلك قوله تعالى (.. وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ)(يونس:5)، حيث لم يذكر "الشهور" لا فقط لدلالة السنين عليها بالتضمن والاشتمال....الخ] ص92

فهنا لم نجد أحداً من المفسرين قال أن في الآية حذف وتقديره (الشهور)، ولكن وجدنا مشكلتهم (أي المفسّرين) مع الآية من ناحيةٍ أخرى هي في وجود محذوفٍ آخر غير (الشهور) وهو الجار في (له)، أي أنَّ (قدّره) هي أصلاً (قدّر له)، كما ذكر ذلك ابن الجوزي في كتابه (زاد المسير ــ الجزء الرابع) عند تفسيره للآيات من (5ــ10) من سورة يونس. وقد ردَّ النيلي رحمه الله وجود هذا الحذف في كتابه اللغة الموحدة عند تعرّضه لآيةٍ مشابهةٍ، وسنثبت كلامه هنا للفائدة:

[وزعموا أن في القرآن مفاعيل افتقرت إلى اللام المفردة فحذفت منها وذلك على عادة العرب في الحذف.

أقول: لم يفهموا (عادة العرب) في الحذف فأنّى لهم بمعرفة (عادة القرآن)؟. وشواهدهم على ذلك ثلاثة هي:

الشاهد الأوّل: قوله تعالى:

(وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (يس:39)

إذ على زعمهم أن الواجب هو القول :

(والقمر قدّرنا له منازل) فحذف اللام . وعلى رأيهم أن المفعول مفتقرٌ له.

أقول: إن الله تعالى قدّر القمر نفسه منازل ولم يقدّر له منازل. ولو فعل الله ما اقترحوه لاختلّ نظام الكون كما قال تعالى: (ولو اتّبعَ الحقُ أهواءهم لفسدت السموات والأرض)

ذلك أن المنازل لو كانت مقدّرة في الفراغ فليس للقمر أن يحيد عنها أبداً، ولا تحدث أيّة مرونة في فلكه ولن تحدث الظواهر الأخرى من خسوف وكسوف وآيات سماوية.

وشخصياً اعتقد أنّه لو كانت هناك (لام) محذوفة لهلك أهل الأرض، وهو أقلّ ما يمكن أن يحدث بسبب الرياح العاتية أو الأعاصير أو الظواهر الشاذة.

لكني أسال سؤالاً أعتقده وجيهاً هو: (من أين علموا أن هناك لاماً محذوفةً؟ ولماذا لم يسألوا عن سبب حذفها؟. فالناس يقولون ما شاءوا ويغلطون في الكلام، ولكن لماذا يتصوّرون أن الله تعالى يفعل مثل الناس؟؟) ، أم يريدون أصلاً من كلّ ذلك أن يعلّمونا أن الله يفعل مثلهم وأن كلامه لا يختلف عن كلامهم؟.. أجل.. فهذا هو هدفهم وسأثبت ذلك بإذن الله[1].] اللغة الموحدة ــ موضوع (إبطال قولهم في حذف "اللام" من المفاعيل المفتقرة إليها).

ونفس كلامنا السابق ينطبق على مثالهم عن آية (لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يَس:40) حيث قالوا بخصوصها:

[إن قدّرنا عبارتين محذوفتين في الآيات، هما: "ولا القمر ينبغي له أن يدرك الشمس" ــ "ولا النهار سابق الليل"، خرجنا بمعنىً لا يصحّ.] ص93

ولكننا لم نجد من المفسّرين ولا واحداً لا من القدماء ولا من المعاصرين من وجد فيها حذفاً فقدّر له. بل هم (أصحاب السراة) الذين افترضوا وهماً بوجود حذفٍ، ثمَّ بيّنوا ما يترتّب على هذا الحذف من نتائج لا تتوافق مع فهمهم هم للآية!.. وبعد الشرح علّقوا بهذه العبارة:

[استخلصنا هذه النتيجة لدلالة عدم وجود "المحذوف المتوهّم" وعدم تقديره، وبهذا يصبح تقدير وجود محذوف مثل (ولا القمر ينبغي له ان يدرك الشمس) ضرباً من التخبّط الفلكي وضحالة معرفية إذ لا سطوع للقمر على الشمس ولا هيمنة جذبية بالمرة، لذلك فإنَّ من توهّم هذا التقدير، صير عدم إدراك الشمس للقمر.. الخ] ص(94_95)

---

[1] تحدّث المؤلف مفصلاً عن هذا الإثبات في كتابه الآخر (الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية) في معرض نقده لبلاغة الجرجاني .

فنسأل: لماذا لا تخبرونا من ذا الذي قدّر وجود هكذا محذوف من كلّ أهل الدنيا سواكم يا جمعية التجديد؟ وإذن فمن هو المتخبط؟، ومن هو المتوهّم؟!!.

المثال الخامس:

نأتي الآن إلى المثال الأخير الذي جاءوا به كشاهدٍ على دلالة اللامذكور، وهو يتعلّق بحديثٍ مرويٍّ عن الإمام الصادق (ع).. ولنأت هنا على نصّه مع تعليقهم عليه:

[ونظير "دلالة اللامذكور" هذا، في المرويات، ما روي عن جعفر الصادق (ع): (ستصيبكم شبهةٌ فتبقون بلا علم يُرى، ولا إمام هدى، ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق)، قلت كيف دعاء الغريق؟ قال تقول: (يا الله يا رحمن يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبت قلبي على دينك) فقلتُ: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك)؟ قال: (إن الله عز وجل مقلب القلوب والأبصار، ولكن قل ما أقول لك: يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك)، وحسب من يسوق هذه الرواية أن هذا إنما للتأدب بعدم الزيادة والنقصان في ألفاظ الدعاء فحسب، بينما المعنى الواضح أنَّ في آخر الزمان سترى أبصار الناس الحقّ وتعلمه فلا تنقلب، لكن الدواخل ورغباتها هي من ينقلب عل صاحبها فلا تطاوعه بالمسير إلى الحق المُبصَر ومعه، كما بين تعالى (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: 46)، فهذا من دلالات اللامذكور.] ص(95_96)

هنا نسأل: هل حقاً أنَّ المعنى الواضح لهذا الحديث هو ما ذكروه من اللامذكور عن أحوال الناس في آخر الزمان؟!.. وهل يجزمون أن هذا المعنى هو مراد الإمام (ع)؟!.. فإن كان الأمر كذلك فلماذا لم يخبر الإمام (ع) السائل بهذا المعنى (الواضح!) حتى يكون لهم أن يخبرونا هم نيابةً عنه؟!. وإن لم يجزموا، فكلُّ الذي فعلوه هو أنهم جاءوا بعملٍ هو ضد هذه القاعدة من حيثُ أنهم توهّموا معنىً غير مذكورٍ في الحديث بتاتاً!، ذلك أن تخصيص إبصار الناس للحق وعدم تقلُّبها فيه، وتدخل رغباتها ودواخلها في آخر الزمان هو تخصيصٌ بلا مخصّصٍ كما يقال، لأنه

ظاهرةٌ عامةٌ موجودةٌ في كلِّ زمان ومكان حتى يأتي الله بأمره، وهذه الظاهرة قد أشارت إليها آية سورة الحجِّ الكريمة· على أن الحديث ينطبقُ على كلِّ زمانٍ لا يوجد أمام هدى فيه، وليس فقط آخر الزمان· وبالمناسبة فإن مصطلح آخر الزمان هو مصطلح غير محدّد في التنظير الديني، ولكن يراد به بشكلٍ عامٍ بدء زمان ظهور الإمام عليه السلام لا بدء غيابه· وأمرٌ آخر هل يظنُّ هؤلاء أنَّ الإمام يتوجه بحديثه هذا إلى عموم الناس؟·· بل ظاهرٌ أنه متوجّهٌ لخاصةٍ منهم وهم الذين يرون أنفسهم بسبب الطغاة قد فقدوا إمامهم فلا يدرون ما يصنعون فيخشون إن تميد قلوبهم إلى غير دينهم الذي ارتضاه الله لهم· وهم القلة المحمودة في كتاب الله·· هؤلاء فقط من يدعون الله تعالى وسيدعون بدعاء الغريق·· هؤلاء هم الفرقة الوحيدة المؤمل أن تنهض في آخر الزمان وإن من بين القبور!

المحدّثون رحمهم الله فهموا من هذا الحديث ما هو واضحٌ بالنسبة لهم فقالوا أنه للتأدب بعدم الزيادة والنقصان·· ولذلك تحرّزوا من ذكر كلامٍ آخرٍ لا جزم لهم بدلالة الحديث عليه، فهل اقتدى التجديديون بهم فتحرّزوا مثلهم؟·· الجواب: كلا!

لكننا نرى في هذا الحديث الشريف ما هو أبعد!· فهو ينطقُ بمذكورٍ واضحٍ يقول: (ما دمتَ تؤمنُ بي إماماً منصوباً من الله تعالى، فليس لك إلاَّ التسليم مطلقاً، فخذ بما أقول تماماً بلا تكلّفِ سؤالٍ، وقل فقط: "سمعتُ وأطعتُ")·· فالأمرُ ليس أمرُ تأدّبٍ بعدم الزيادة أو النقصان، بل الأمرُ أمرُ إمامٍ ناطقٍ عن الحقِّ بالحقِّ فينبغي أن يطاعَ بلا جدالٍ وبدون وضع افتراضات· ويجب الثقة بأن كلامه تامٌّ غيرُ ناقصٍ في موضعه، وأنَّ أي تصرّفٍ بزيادة أو نقصان في كلامه لن يؤدي إلى النتيجة التي يريدها الله تعالى لأنها اجتهاد برأيٍّ من بعد فهمٍ ذاتيٍّ لنصٍّ نطق به المعصوم (ع)!·· فهذا هو المذكور عندنا واللامذكور عند هؤلاء!· الفارقُ أنَّ مذكورنا لا يحتاجُ إلى أيِّ تنظيرٍ، فهو الواضحُ من متن الحديث عكس (لا مذكور) هؤلاء!·

القاعدة التاسعة: آحاد كلمات القرآن

هذه القاعدة التجديدية فيها من الغموض بمقدار (عكس اسمها)!، إذ كلُّ قاعدةٍ لا تسمى كذلك ما لم تكن واضحةً، ولا لبس فيها.

فمن بين ما يقرُبُ من ستِّ صفحاتٍ لم نجدهم قد قدّموا تعريفاً لها، بل وجدنا تقديماً خطابياً مشفوعاً بأمثلةٍ لا رابطَ واضحاً بينها.

وعلى كلِّ حالٍ ننقلُ فقرةً من كلامهم عن (آحاد كلمات القرآن):

[علينا أن نتيقن أن هناك دائماً سرّاً في آحاد كلماته سبحانه، وحكمة مخبوءة، وحقيقة محتجبة، وإن قصُرنا عن فهمه فلنُحِلْهُ على قصورنا اليوم، ليكون لنا في الغد كشفاً، فاخضاعُ بيان الله السامي لمداليل تاريخية أو رجالية أو تفاسير ظنونية أو آراء سريعة أو توفيقات وتبريرات إما خاطئة ا قليلة القيمة تفضي بتحصيل الحاصل، يُصيِّرُ كلمة الله سفلى ويُزري بشرف القائل الحكيم وعلمه المطلق، فالقول بالسجعية المحضة كما بيّنا آنفاً في (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (طه: من الآية70)، هو من هذا، (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) (الشورى: من الآية24)، (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ)(الاسراء: من الآية11)، (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) (العلق:18)، (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ) (القمر:6)، بحذف ووات "الفعل"، ... الخ] ص96

قلنا لعله مصطلحٌ لم نسمع به، هذا الذي أسموه (آحاد كلمات القرآن)! فذهبنا إلى مكتبة أهل البيت التي تضمّ أكثر من أربعة آلاف مجلد تفسيري وفقهي ولغوي.. فلم نجد لهذا المصطلح ذكراً إلاَّ في مصدرين يتحدّثان عنه بمفهومٍ بعيدٍ تماماً عن ما يذكره كُتّاب التجديد. أحدهما يتحدّث فيه عن عدم خروج النص القرآني عن كونه عربياً لمجرّد وجود آحاد كلمات أعجميةٍ.. والآخر يتحدّث عنه في متعلقاتٍ عن أحاديث الرسول (ص) لا القرآن.

لكننا بعد قليلٍ من التفكير علمنا ما يقصدون به ومن أين جاءوا به!.

فإن ما يلمحون إليه في قاعدتهم جاءوا به – بعد تغييرٍ شكليٍّ مخلٍّ– من كتاب النظام القرآني للنيلي الذي ذكرَ موقف المنهج اللفظي القصدي من بعض الألفاظ الوحيدة والتي لا تتكرر في القرآن الكريم حيث وضعها في خانة ما أسماه بالمشتبه غير المتشابه، وذلك عند حديثه عن الآيات المحكمات والمتشابهات. وهذا نص كلامه:

[والآن نسأل ما هو المتشابه غير المشتبه في القرآن؟

والجواب: إنَّ كلَّ لفظٍ لم يُكرَّرْ فهو عرضةٌ للاشتباه، لأنَّه لا يمكن كشف معناه بالاقتران. فهذا المشتبه مثل سورة الإخلاص وألفاظها التي لا وجود لها إلاَّ في هذه السورة. أمَّا غير المشتبه فهو الذي اشتركت ألفاظه في تراكيب عديدة، وهو موضوعٌ واسعٌ للتأويل وهو نفسه المساحة التي يتمكّن هذا المنهج من العمل فيها... إذ المنهج لا قدرةَ له حالياً على ما لا مكرّرات لفظية له في التراكيب المختلفة. فالتراكيب المشتركة في الألفاظ متشابهةٌ بما يكفي لتأويلها إلى عدّة وجوهٍ عند إنكار النظام القرآني... لكنها وجوهٌ باطلةٌ وتأويلاتٌ مغرضةٌ يمكن اكتشافها بأدنى تدبّرٍ يعني بملاحقة ألفاظها في القرآن الكريم.] النظام القرآني ــ ص358

وبالعودة إلى أمثلتهم: لم ندركْ منها أي الكلمات التي هي من آحاد القرآن، بل وجدنا في هذه الأمثلة كلمات تتكرّر دوماً في القرآن بنفس صورتها. والتخبّط واضحٌ في كلامهم بين القاعدة التي لا يُدرى ما هي، وبين الأمثلة التي لا تُظهِرُ شيئاً من تفاصيلِ أو مفهوماتِ هذه القاعدة. والقاريء بنفسه سيكون على يقينٍ من هذا فليذهب ويتحقّق إن كان بمقدوره فهم الموضوع حتى ولو كان من نابغة القوم.. لكن ربما سيفهمه إن كان (تجديدياً) يسيِّرُه حُلْماً!

فهذه القاعدة التجديدية منحولة من بحوث النيلي كما بيّنا.. وكل ما في الأمر هو أنهم جاءوا بالفكرة من القصدية ووضعوا لها عنواناً وأشفعوا ذلك بأمثلةٍ.. ولكن النتيجة التي حصلوا عليها تظهر مدى ركاكة الانتحال على رغم كثرة الامثلة وطول الصفحات.

القاعدة العاشرة: المنظومات المعرفية القرآنية

الأنساق المعرفية المتغايرة:

وكذلك هذه القاعدة: فهي منتحلة في فكرتها من كتاب النظام القرآني. والمقارنة التالية بين فقرتين أحدهما من كتاب مفاتح القرآن والعقل للتجديد والأخرى من كتاب النظام القرآني كافيةٌ لبيان هذا الانتحال:

ففي كتاب المفاتح نقرأ:

[القرآن نظام متشابك، بعناصر متعددة الابعاد، ونظم مختلفة متداخلة (أي تداخل المنظومات المعرفية القرآنية)، فمن الممكن أن تعمل الآية كما الترس في عدة آلات وعدّة أنظمة، فآيات القرآن ليست ذات بعد واحد ولا بعدين ولا ثلاثة، فبعضها قابل للجمع وفق أنساق معرفية مغايرة للنسق الأول والثاني وغيره، فآية مثل (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)(الاسراء: 44)، ومثل (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ) (القيامة: 26) ومثل (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (لأعراف: 189) كلها قابلة للتحرّك وفق أنساق ومستويات مختلفة تتراوح صغراً وكبراً، مكاناً وزماناً، حسّاً ومعنىً، فمن الخطأ قصر الآية كلبنةٍ في بناء واحد فحسب أو نظام معرفي أو علمي واحد، حتى الآيات الواضحة التي تصف حقيقة معينة تحتاج تأويلاً واحداً قد تكون صيغت لتعطي مشهدين أو أكثر، كقوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)(البقرة: 29)، فالفعل واحد لكنه وقع في مشاهد متعدّدة، سواء على مستوى الوجود، أو المجاميع المجرية، أو كواكب المجموعة الشمسية، أو طبقات الغلاف الجوي، الصورة نفسها تنطبق وتتكرّر لأن "السبعة" نظام اكتمال الخلق، وكقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ)(الحج: 5) فهي آية تتحدّث عن مراحل خلق الجنين الإنساني، وهي في نفس الوقت

تتحدّث عن مراحل خلق البشر الأوائل على هذا الكوكب ما قبل مرحلة تناسل الارحام، لذلك وضعت الآية الاحتمالين بالاشارة "المخلقة" إنسانياً و"غير المخلقة" إنسانياً، وهي القديمة.] ص102

والآن لنرى ما قاله النيلي في كتابه النظام القرآني ثم نشفع ذلك ببعض الملاحظات:

[ومعلومٌ أنَّ هذا المنهج تتفرّع عنه جميع الحقائق المرصودة الظاهرة، وبعض ظلال الحقائق الباطنة للنصّ القرآني دفعةً واحدةً، من خلال طبقاتٍ متداخلةٍ للاقترانات اللفظية مع بعضها البعض، بحيث أنَّ المعارف المنتزعة من النصّ تتوزّع بصورةٍ متوازيةٍ وبجميع الاتجاهات كما يتبيّن لك من الرسم التوضيحي القادم.

فحينما تحصي جميع الاقترانات في الطبقة الأولى فإنَّ النصّ يعطيك مرّةً واحدة جميع العلوم والمعارف في تلك الطبقة من المعرفة، ويقابلها شيء مساوٍ لها من باطن النص، وحينما تقوم بإحصاء الاقترانات في الطبقة الثانية أي ملاحقة اقتران أكثر من لفظ باللفظ الواحد مع متابعة ذلك الاقتران الأكثر مع بعضه البعض تتكشف لك درجةً جديدةً من تلك المعارف، هي الرسم نفسه (الطبقة الثانية).. وهكذا كلما ازدادت إحصاءات عدد الاحتمالات ازدادت المعرفة حول النص مع انكشاف الطبقة الأسبق للنصوص الأخرى المقترنة به لفظياً.. وهذا هو سرُّ الإعجاز القرآني كما سنوضّحه لك فيما بعد.

إذن فالنصُّ القرآني متّصلٌ بالموجودات كلّها من خلال اتّصاله (بوحدة القرآن) فلا نهاية للاكتشافات المحتملة من ظاهره، وبالتالي فلا إمكانية لمعرفة باطن النصّ معرفةً تامّةً بحيث لا يبقى فيه شيءٌ خافٍ على الباحث.] النظام القرآني ــ ص268

وينبغي على القارئ الذهاب إلى كتاب النظام فهناك المزيد من الشرح لهذه الأفكار وذلك في موضوع (قدرة المنهج اللفظي على توحيد مناهج التفسير)..

وهكذا فمن المقارنة أعلاه نجد أن فكرة قاعدة (التجديد) المذكورة آنية من كتاب النظام القرآني حتماً. إنها آتية من الشكل التوضيحي الموجود في هذا الكتاب تحت الموضوع المذكور في الفقرة السابقة عن توحيد مناهج التفسير.

وهنا ملاحظتان على الفقرة السابقة المنقولة من كتاب المفاتح:

الملاحظة الأولى: لم يذكروا كيف أن السبعة هي نظام اكتمال الخلق!.. فقارن قولهم عنها بما يلي من كتاب النظام أيضاً:

[مثلاً نلاحظ أن السبعة تمثّل عدداً له علاقة بالبناء الهيكلي للأشياء، فهناك سبعة ألوان، وسبع درجات للسلّم الموسيقي، وسبع قارات، وسبعة أيّام في الأسبوع ، وسبع طبقات للأرض.. وهكذا.. إلى سبع سماوات وسبع أرضين وسبع أبواب لجهنّم في التصوّر الديني الذي أكّدته الكتب المنزّلة. فهناك إذن نظامٌ سباعيٌّ خاصٌّ ببناء وتكوين الأشياء.] النظام القرآني ــ ص396

الملاحظة الثانية: لم يزيدونا تبصُّراً بخصوص آية المضغة. إذ من أين لهم أن الاحتمالين متعلّقان بالإشارة (المخلقة) إنسانياً و"غير المخلقة" إنسانياً، وهي القديمة؟.. علماً أنَّ الآية بكاملها تتحدّث عن مراحل نمو الجنين لحين إخراج الطفل، ولم يأتوا بها كاملةً، وسبب هذا أن تكملتها لا تخدم فكرتهم عن انطباقها على أصل الخلق. وهذه هي الآيةُ كاملةً:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج:5)

والنيلي قد ذكر شيئاً بخصوص الآية في كتابه النظام القرآني نأتي به هنا لغرض المقارنة:

[وقالوا في (خلقناكم): خلقنا آدم مع غياب ذكره. في حين أنَّ الخطاب للناس جميعاً (يا أيها الناس)، والخطاب في الخلق للمجموع أيضاً (خلقناكم من تراب)، لأنَّ خلق كلّ واحد من ترابٍ هو حقيقة. فهذا البدن من النطفة إلى النزع الأخير إنَّمَا مصدرُهُ الغذاء وهو من تراب الأرض. وقد نسوا هذه الحقيقة وعجبوا من الخلق من ترابٍ فنسبوه لآدمَ (ع) وحده (وهم ذرّيته)، فكأنَّ الذرّية ليست من ترابٍ.

كلّ ذلك والآية واضحةٌ لأنَّها تتحدّث عن سلسلة التخليق للأجنّة في الأرحام والخطاب فيها للمجموع مستمرّ للنهاية:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ..) (الحج:5)]

النظام القرآني ــ ص184

الأصل العربي لليهود:

وقد جاء كُتَّاب التجديد بمثالٍ مفصَّلٍ على هذه القاعدة حاولوا توظيفه لخدمة فكرةٍ مسبقةٍ تتعلّق بعراقة الأصل العربي لليهود، وأنهم عشيرةٌ عربيةٌ!. وهي فكرة حاولوا إثباتها من خلال كتابٍ كاملٍ كثر فيه التفسير بالطريقة القصدية لكن الانتقائية والمشوهة، الأمر الذي اكتشفناه من أول قراءة سريعة له، وهو المسمى (جغرافيا الأنبياء).

إن قراءة هذا الكتاب بتمعُّنٍ من قبل أيِّ مفكِّرٍ واعٍ في القضايا الفكرية المعاصرة لا يمكن أن تغضَّ النظر عن نتائجه الأيدلوجية ــ السياسية الخطيرة التي انتهى إليها التجديديون بأسلوبٍ لا يصمدُ أمام النقد. ويمكننا أن نلخص هذه النتائج التجديدية المبتدعة فيما يلي:

أولاً: فصم العلاقة بين الدين الإسلامي والدين المسيحي اليهودي، وذلك من خلال تأويلٍ تاريخي نسبوه للقرآن الكريم يسير بصورةٍ مغايرةٍ تماماً لما هو معروف عن تاريخ الأنبياء في الكتب السماوية السابقة. وهو ما ألمحنا إليه عند عرضنا لمقولاتهم عن النسخ في القرآن الكريم الذي حدّدوه بما يسمى بنسخ الشرائع، وهي الفكرة التي جاء القرآن بعكسها[1].

ثانياً: العمل على ترسيخ الوعي (الاستسلامي) لدى جيل المسلمين القادم والذي يشكِّكُ في جدوى الصراع الحالي القائم مع اليهود وخصوصاً بعد تفكيك الارتباط الروحي لهم على منطقة النزاع الأيدلوجي (من الفرات إلى النيل) من خلال ترحيل

---

[1] راجع موضوع (في علم الناسخ والمنسوخ) ص51، وموضوع (النسخ مرة أخرى) ص98 من كتابنا هذا.

كلّ تراث الأنبياء القرآني إلى منطقةٍ محدودةٍ خارج اللعبة (في غرب شبه الجزيرة العربية)!

ثالثاً: بل وقد لا يخلو الأمر من إعطاءِ حقٍّ جديدٍ لليهود في البحث عن هيكل سليمان في غرب جزيرة العرب بعد فلسطين. فهذه هي أرضهم الموعودة الجديدة باعتراف اللعب التجديدي بالقرآن الكريم. وبالتأكيد فهذا الكشف الكبير لا علاقة لليهود به ولا هو من أدبياتهم. وأحسبهم سيشكرون أهل التجديد عليه بما لم يشكروا أحداً من العالمين لأنه سيفسح المجال لهم بأرضٍ جديدةٍ ما كانت في أحلامهم ولا في قائمة طموحاتهم المعلومة.

التجديدُ يفكّرُ!:

لنرَ الآن مدى التخرُّص التجديدي في ما يلي من التوظيف الغرائبي:

[وغني عن البيان ان نقول ان الآية كما انها قد تعمل في مستويات غير مستوى سياقها، فهي أيضاً قد تومىء بزيادة مبانيها إلى معارف اخرى ليست في السمت السياقي، وسنضرب مثالاً واحداً لذلك مراعاةً للاختصار: قوله سبحانه: (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) (الحشر:5) لقد اورد سبحانه لفظة "النخل" ثلاثة عشر مرة في كتابه، وهذه المرة الوحيدة التي يقول "لينة" وقال المفسرون واصحاب السير، أن "اللينة" النخل أو الشجر، ونحن نسلم بذلك، ونسلم ان الواقعة كانت مع بني النضير من اليهود حين غدروا فاجلاهم نبي الله (ص) عن المدينة وبترهم ان يجاوروه، لكن التدقيق بالآية يقدح أسئلة وإشكالات:

ـ لم سمى ما قطعوه من نخل وما أبقوه "لينة"؟

ـ لمَ أضاف عبارة "قائمة على أصولها" فهذه ثلاث كلمات أضيفت بلا داعٍ في الظاهر، والكلام مفهوم من دونها، إذ كان يكفي (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا

فَبِإِذْنِ اللَّهِ) ، فالقاريء سيفهم أن هناك نخيلاً قطعها المسلمون وأخرى تركت بلا قطع ، فهل في القرآن حشو؟

ـ لنتساهل قليلاً ولنبق "قائمة" فلماذا أضيفت "على أصولها"؟ وهل هناك نخلة أو شجرة تقوم إلا على أصولها؟

ـ بل السؤال الأدق" "لينة" مفردة، فلماذا قال " أصولها" ولم يقل "أصلها" بالفرد؟ إذ قال في مقام آخر (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ) (ابراهيم: 24)]
ص(103_104)

لكنّنا بالمقابل نسأل (التجديد) ما يلي:

1. كيف تكون اللينة هي النخل.. وقتَ أنّكم رفضتم الترادف؟.

2. على أي أساسٍ سلّمتم للمفسرَين أن معنى اللينة هو النخل أو الشجر؟، هل جاء هذا التسليم من فراغٍ أم من اعتقادٍ لكم مثبتٍ بخصوص ذلك؟ وأين هو هذا الاعتقاد إن كان وجد؟.

3. لقد وردت لفظة (النخل) في القرآن بمختلف صورها (13) مرّة كما قلتم، ولكن لفظة لينة لم يقصد بها مجرّد (النخل) فهذا القصد من قول المفسرين عموماً، ونحن اتفقنا على أنَّ قولهم لا بدَّ أن يقع تحت طائلة النقد. ومع ذلك فقد قالوا أنَّ اللينة هي (النخل أو الشجر). فهنا تردّدٌ لهم بين معنيين، فلمَ اخترتم المعنى الأول دون الثاني؟ ولِمَ لا تفترضون أن اللينة تطلق على مجمل الشجر بما فيها النخل، وهو ما نراه أقرب إلى الصواب استناداً إلى أصل معنى اللفظ الذي هو فصل الشيء عن غيره كما يقول صاحب تاج العروس عند ذكره لمادة (لون). وقد ذكر الراغب الاصفهاني في كتابه المفردات أن: (اللون يعبر به عن الاجناس والانواع، يقال: أتى بألوان من الحديث والطعام، وتناول كذا لوناً من الطعام).

لقد قلتم لاحقاً ما يلي: **[ربما يدرك المتفكر الآن لماذا سميت النخلة "لينة" هنا، فاللينة عربياً من "اللون" فهي نخلة، واللون لون نخلة..]** وهذا يعني أنه ليس لون شجرة

أخرى غير النخلة.. فلمَ لم توظّفوا المعنى الأصلي الذي لا يقتصر على مجرّد (النخل)، بل يدلّ على مفارقة أنواع الشجر لبعضها البعض وانفصالها إلى أنواع. وبذا يصحُ أن نطلق على كل شجرةٍ لفظ "لينة" لا على أن هذا اللفظ هو اسمها، وإنما هو صفة لها منطبقة على أي شجرة تتميز عن غيرها ولو كانت من نفس النوع؟

سأجيب بما هو من صميم مقاصدكم!: (لأنكم تريدون أن تجعلوا من عراقة النخلة وربّانيتها عراقة لليهود وربانيتهم!، فمرحى)!

فهذا هو السبب الذي جعلكم تركّزون على لفظ النخل دون غيره. وهذا هو التفكير المسبق الذي يخضع معاني كتاب الله إلى الأهواء. وتكملة الفقرة السابقة من كتابكم تثبتُ هذا.. وهذه هي:

[.. واللون لون نخلة، والنخلة عريقة وعربية وربانية أيضاً، ما يدل على عراقة اليهود كعشيرةٍ عربية..الخ] ص106

4. تساءلتم: (لمَ سمّى ما قطعوه من نخل وما أبقوه لينة؟) لكن سؤالكم مردود، إذ ما أدراكم أن ما سمّاه هو النخل دون غيره؟!.. فَلِمَ التخصيص بالنخل؟.. الجواب: (لأنه إيماءٌ عن اليهود) كما قلتم.. فبورك فيكم!

5. لندرس الآن احتمالات ما يحدث للشجر حال المعركة أو بعدها ولنرَ إن كانت الآية فيها حشوٌ أم لا حال وصفها للمعارك التي تجري بين المسلمين وبين أعدائهم:

1. ما يبقى من الشجر قائماً بلا قطعٍ ولا قلعٍ.

2. ما يُقطع من الأشجار.. وهذا ذكرتها الآية.

3. ولكن من الأشجار ما يبقى قائماً وإن قُطِعَ.. فهذا ما تدلُّ عليه لفظة (قائمة) التي ليس بالضرورة أن تعني ما لم يُقطعْ من الأشجار فقط.

4. ما يقلع (لا يقطع) من أصوله، أي يقلع من جذوره كما نقول نحن، ذلك أنه أطلق على الجذور صفة من صفاتها وهي كونها أصول الشجرة. وهو ما أشار إليه المركّب (من أصولها).

5. ما لا يقطع ولا يقلع ولكن قد يظهر عليه الميلان إلى أي جانبٍ.

6. ما يقطع من الشجر ويظهر عليه الميلان أيضاً.. والمقلوع منه لا يمكن حدوث الميلان له لأنه سيسقط رأساً.

وهكذا فالآية قد ذكرت ضمناً كلَّ هذه الاحتمالات، ولم تهمل ولا واحداً منها، ذلك لأنه لو جاء بها هكذا: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها فبإذن الله..) بدون التركيب (قائمةً على أصولها) فسيكون قد أهمل ذكر الشجر المقطوع ولكنه لا زال قائماً، أو قائماً ومائلاً بنفس الوقت. وإن كانت: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة فبإذن الله) بدون التركيب (على أصولها) فسيكون قد أهمل ذكر المائل منه، وكذلك المقلوع. وهكذا فالتركيب (قائمة من أصولها) يتضمن في سياق الآية كل الشجر الآخر غير المقطوع: القائم بلا قلعٍ ولا قطعٍ، والقائم المقطوع، والشجر المقلوع، والشجر المائل... وعليه فما من حشوٍ ولا زيادةٍ في توصيف ما سيجري واقعاً في أعقاب كل معركةٍ. وبالتالي فما من حاجةٍ للتأويل التجديدي البعيدِ كلَّ البعد عن سياق الآية بحجَّة وجود الايماء الذي يجعل من اليهود قوماً لم يقوموا على أصولهم التي هي كتابهم وشريعتهم. فهذا النوع من التأويل هو في خدمة غرضٍ مسبقٍ لا يختلف عن باقي الاغراض المسبقة للمتسلِّقين على حساب حقائق هذا النص الشريف. على أنه لو كان في الأمر إيماءٌ لليهود لوجدناه مذكوراً ولو في حديث شريفٍ واحدٍ حتى لو كان مرسلاً ضعيفاً، وإن باختصار شديدٍ كأن يقول المعصوم عن الآية: (أنها في اليهود) مثلما يقول في بعض الأحاديث أن كذا آية هي (فينا) أو في (فاطمة) أو في (علي).

بقي علينا أن ننظر إلى سؤالهم عن عدم تجانس اللينة كمفرد مع (أصولها) كجمعٍ. وقد جاءوا بمثالٍ غير صحيحٍ للتدليل على صحّة هذا السؤال وذلك في قولهم:

[بل السؤال الأدق" "لينة" مفردة، فلماذا قال " أصولها" ولم يقل "أصلها" بالمفرد؟ إذ قال في مقام آخر (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ) (ابراهيم: 24)]

نقول: من الواضح أنَّ هذا السؤال لا معنى له بعدما عرفنا أن (أصولها) صفة من صفات الجذور التي تشكّل قاعدة النبات، وبالتالي فلا يمكن إفرادها، فالشجرة ليست بذات جذرٍ واحدٍ.

أما آية الشجرة الطيبة فقد أفرد (أصلها) لأنها شجرةٌ مباركةٌ خاصّةٌ، ومصداقُها تجدُهُ في جملةٍ من الأحاديث الشريفة لأهل البيت الموجودة في كلِّ مصادر الحديث.. فراجعها لتعرف من هو أصلها ومن يكون فرعها. أو فراجع كتاب (أصل الخلق) للمرحوم النيلي فهو كلُّهُ حديثٌ عنها.

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (ابراهيم:24)

ومن خصائص هذه الشجرة أنها تؤتي أكلها كل حينٍ، وهي صفةٌ لا تجدها في أي شجرةٍ أخرى على الإطلاق.

وهكذا نرى أن التعسّف التجديدي القائم على فكرةٍ ليس لها سندٌ لا من القرآن ولا من السنّة يراد منه خدمة غرضٍ لن أتردّد بوصفه بالماسوني، وإن جاء لسانه بما فيه قدح لليهود. فهذا القدح ليس سوى جواز مرورٍ لفكرةٍ أهمّ هو ربانية وعراقة اليهود العربية وتبرير استحقاقهم لأراضٍ أخرى غير التي يدعونها في فلسطين كما سبق وذكرنا. وإذا ثبَّتَ هؤلاء الفطاحل هذه الفكرة في أذهان الناس (لا سمح الله)، فمن ذا الذي سيمنع اليهود من حقٍّ لهم خالصٍ بشهادةٍ قرآنية من قومٍ مسلمين (كما يزعم لأنفسهم أهل التجديد)؟!. ومثل هذا الأسلوب قد وجدنا آخر الأمثلة له في السياسة عند (علماء مسلمين) هم أبعد الناس عن الإسلام. فقد حدث إن صدرت فتاوى من فقهاء الجزيرة تطالب بمحاربة ومعاداة الحزب اللبناني (حزب الله) الذي قاتل الدولة اليهودية بكلِّ ضراوةٍ، بالرغم من اللسان الطويل لهؤلاء الفقهاء في ذمِّ اليهود ورعاتهم من الغربيين!.

فلينتبه المغترّون بدعاوى التجديد ذات الرونق الجميل فهي في مجملها ليست سوى فكرٍ منتحلٍ ممزوجٍ بتنظيرٍ كاذبٍ مدفوع الثمن، لينتبهوا.. فقد أقتربت أشراط الساعة ولكلِّ حساب.. والله شديد العقاب.

القاعدة الحادية عشر: القرآن والتطوّر المعرفي والتاريخي

واحدةً من بين أسوأ ما قام به أهل (التجديد) هي مصادرة النصّ الشريف والتحكّم به وفق الآراء التي لا ضابط يحكمها، ولا جامع ينتظمها، على الرغم من المناداة بالنظام القرآني وقصدية اللسان العربي. وهذه القاعدة عن القرآن والتطوّر المعرفي والتاريخي تظهر هذا الأمر بكلّ وضوح. وقبل بيان ذلك ننوّه إلى أن القرآن الكريم حسب المنهج القصدي هو فعلاً لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وله معارفه التي لا تنفتح إلاّ لمن حكَّمَ عقلَه بصفاء سريرةٍ، وله علومُه التي تبيِّن حقيقة كلّ شيء، وله مصاديقُه التي تتوالى عبر الأزمنة.

وفي هذا المعنى آياتٌ بيناتٌ تدلُّ على أنه تفصيلٌ وبيانٌ لكلّ شيء، وأنَّ ما من حكمٍ إلاّ وهو في كتاب الله، أو له أصلٌ فيه. غير أنَّ أحداً ما لن يكون له أن يقع على هذا التفصيل وعلى هذا الحُكم إلاّ من كان عدلاً وقريناً ومثيلاً له في العصمة من كلّ خطأ، وإلاّ من آتاه الله الحكمة والعزم وفصل الخطاب. ولهذا ربط الرسول الأعظم (ص) بينه وبين قرناءه (عليهم السلام) في حديث الثقلين المشهور. ومن هنا فقد حصر القرآن تأويله بالراسخين في العلم، وليسوا هم سوى هؤلاء القرناء المعصومين من عترة نبينا (ص). ولهذا أيضاً فقد حصر الحديث الشريف تفسير هذا الكتاب بهم هم عليهم السلام. وعلى البقية التدبّر فقط فيما ظهر من حقائق هذا النص سواء مباشرةً او من خلالهم. والتدبّر يأتي بمعنى البقاء في الدبر وعدم التقدّم اتباعاً وطاعةً واحتراماً للقائد المتبوع. هذا يعني أن التدبر هو الخضوع للحقائق، والحقائق بحدّ ذاتها لا تحتاج إلى شرحٍ وتفصيلٍ. فقد جاء في الحديث الشريف:

- **[في المناقب: عن هشام بن حسان قال: خطب الحسن بن علي عليهما السلام بعد بيعة الناس له بالأمر فقال: نحن حزب الله الغالبون، ونحن عترة رسوله الأقربون، ونحن أهل بيته الطيبون، ونحن أحد الثقلين الذين خلفهما جدي صلى الله عليه وآله وسلم في أمته، ونحن ثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شئ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا تفسيره، ولا تظّننا تأويله، بل تيقنا حقائقه فأطيعونا، فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله (عز وجل) وطاعة رسوله مقرونة، قال ــ جل شأنه ــ: (يا أيها الذين**

آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وقال (عز وجل) (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، واحذروا الاصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدو مبين.] ينابيع المودة لذوي القربى/القندوزي/ج1/ ص74 ـ 75

- [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ـ ج 2 ـ ص 178

بصائر الدرجات: أحمد بن محمد، عن ابن سنان، عن مرازم وموسى بن بكر قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنا أهل بيت لم يزل الله يبعث منا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره، وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتمانه، ما نستطيع أن نحدث به أحدا]

- [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ـ ج 2 ـ ص 215

بصائر الدرجات: محمد بن عيسى، عن النضر، عن الحسن بن يحيى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنا أهل البيت عندنا معاقل العلم، وآثار النبوة، وعلم الكتاب، وفصل ما بين ذلك]

- [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ـ ج 2 ـ ص 285

وروي أنه عليه السلام قال بعد ذلك: أيها الناس عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعتذرون بجهالته، فإن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة نبيكم محمد صلى الله عليه وآله فأنى يتاه بكم؟! بل أين تذهبون؟! يا من نسخ من أصلاب السفينة، هذه مثلها فيكم فاركبوها، فكما نجا في هاتيك من نجا فكذلك ينجو في هذه من دخلها، أنا رهين بذلك قسما حقا، وما أنا من المتكلفين، والويل لمن تخلف ثم الويل لمن تخلف، أما بلغكم ما قال فيكم نبيكم صلى الله عليه وآله حيث يقول في حجة الوداع: اني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، ألا هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا]

- [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ـ ج 2 ـ ص 303

كمال الدين: ابن عصام عن الكليني، عن القاسم بن العلاء، عن إسماعيل بن علي، عن ابن حميد عن ابن قيس، عن الثمالي قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقائيس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم ومن اهتدى بنا هدي، ومن دان بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئا مما نقوله أو نقضي به حرجا كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم].

قال صاحب البحار: [بيان: "حرجاً" بدل من قوله: "شيئاً" ولفظة "من" في قوله: "مما نقوله" تعليلية]

- [بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 2 ــ ص 90

بصائر الدرجات: أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الحسين بن صفير، عمن حدثه عن ربعي بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب فجعل لكلّ سببٍ شرحاً، وجعل لكلّ شرحٍ علماً، وجعل لكلّ علمٍ باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن].

- [بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 2 ــ ص 90 ــ 91

بصائر الدرجات: السندي بن محمد، عن أبان بن عثمان، عن عبد الله بن سليمان، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وعنده رجل من أهل البصرة يقال له: عثمان الأعمى، وهو يقول: إن الحسن البصري يزعم: أن الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار · فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذا مؤمن آل فرعون، وما زال مكتوما منذ بعث الله نوحا عليه السلام فليذهب الحسن يمينا وشمالا فوالله ما يوجد العلم إلا ههنا].

- [بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 2 ــ ص 91

بصائر الدرجات: الفضل، عن موسى بن القاسم، عن حماد بن عيسى، عن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ــ وسأله رجل من أهل البصرة فقال: إن عثمان الأعمى يروي عن الحسن: أن الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم أهل النار ــ قال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذا مؤمن آل فرعون، كذبوا إن ذلك من فروج الزناة، وما زال العلم مكتوما قبل قتل ابن آدم، فليذهب الحسن يمينا وشمالا يوجد العلم إلا عند أهل بيت نزل عليهم جبرئيل].

وإذن فالعلمُ كلُّه بما فيه علم الكتاب موجودٌ عند أهله عليهم السلام، وكلُّ علمٍ صوابٍ فهو من عند هؤلاء الأهل الأطياب كما تصرّح أحاديث أخرى· وبالتالي فليس لأحدٍ أن يدّعي علماً فيفسّر على ضوئه إلاّ أن يكون هو علمهم هم عليهم السلام· ومحال أن نصدّق علماً يدّعيه متسمياً بأنه باب أو سفير أنه منقول عن أحدهم (ع) ــ ووصلّه إليه عبر حلمٍ أو يقظةٍ! ــ وهو يتناقض جذرياً مع كل ما وصلنا عنهم متّفقاً مع محكم الكتاب المجيد· فإن كلامهم نظام محكم كما هو كلام الله

تعالى؛ وبهذا كانا قرينين لن يفترقا أبداً ولن يضلّ متمسّكٌ بهما مدركٌ لمحكم نظامهما سويةً.

وهكذا فالتفاسير إذ تجيء من عقول الأغيار، فإنها لن تكون سوى مجرّدِ آراءٍ وظنون مختلطةٍ ومتناقضةٍ في ذاتها بلا ريب!.

وعليه فالحديث عن التطور المعرفي للإنسان وعلاقته بالقرآن ينبغي أن ينظر إليه من زاويةٍ أخرى. ذلك أن أي تطوّرٍ لا يستند على هذا الكتاب المطلق في حكمته وحقائقه باعتباره كلام الله تعالى.. هو في الحقيقة تقهقرٌ!

ولكن هذا الاستناد لا يكون كيفما كان، بل وفق أساليب تأتي من نفس هذا النص باعتباره نظاماً محكماً دقيقاً صارماً لا يحيط به تماماً إلاّ صاحبه أو من خوّله صاحبه به. ولذا فإنّ كلّ أساليب التفسير للأغيار هي من نوع فرض ما ليس من القرآن على القرآن. بل هي بصورةٍ أدقّ فرض تصورات المحدود على حقائق المطلق. وبالطبع فالنتيجة تكون تقهقراً ولا أسوأ!. وهي نتيجة دين الرجال لا دين الله. وبالطبع فالجميعُ يرى هذه النتيجة عياناً في انهيارٍ مأساويٍّ أصاب الأمة المسلمة منذ قرونٍ متطاولةٍ، أفضى إلى أن تتحكّم بها أُمماً ظالمةً أخرى، وأن يذيق بعضُها بأس بعضٍ.. وكذلك حقّت عليها هذه العاقبة من الله:

(فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)

(فصلت:27)

(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) (الأنعام:65)

فهذا هو فهمنا لقضية التطوّر المعرفي، استللناه من مجمل قراءاتنا لمؤلفات المرحوم النيلي.

أما الفهم التجديدي.. فإنه يحوّل الفهم المفترض لهذا النصّ إلى فهمٍ اجتهادي ممكنٍ لغير المعصوم، وإن كان المثال الذي جاءوا به يتعلّقُ بالمعصوم. بالرغم من أن المعصوم (ع) لا يمكن أن يكون مجتهداً أبداً، لا في كتاب الله ولا في أحكامه،

وإنما هو مجرّد ناقلٍ عن الله تعالى وتابع مطيعٍ له· فمن بابٍ أولى أن نقتدي به فلا نجتهد، بل نطيع· ونحن بالطبع نقصد بالاجتهاد كلَّ معنى معتادٍ يكون بمقابلة ومن خارج النص· وهو المعنى الأصولي الدارج والمقترن بالرأي·

وقد رأينا قبل قليل صورة من العمل التجديدي المصادر لكتاب الله بالرأي والاجتهاد الكيفي في القاعدة السابقة عند حديثهم عن آية اللينة·

وهذه المرّة سنجد صورةً أخرى لهذا العمل، هو ما في آية (الأهلة)، فقد قالوا:

[القرآن له طبقات وقراءات حسب التطور المعرفي والتاريخي، فلا ينبغي التعامل مع كتاب الله معزولاً (في قراءته الأولى) عن واقعه التاريخي (السيرة النبوية المنزل فيه، كذلك عنتاً ومن العبث محاولة تقزيمه في الواقع الحضاري الأول فإن له مع القراءة إن استوفت نفسها إبان العصر الأول، قراءة اجتهادية ثانية وثالثة ورابعة حسب التغير الزماني أو المكاني، وحسب التطور المعرفي التاريخي، ولقد مارس النبي العظيم (ص) لا أقل في بعض الآيات عدّة قراءات منزّلاً إياها على ظرفها الوليد المناسب لها، فيما اشتهر باسم "مناسبات النزول" (لا "سبب النزول") وتعدد تلك المناسبات على آية واحدة، خذ مثلاً آية (يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (البقرة: 189)، حيث عمل المسلمون في الصدر الأول بعدة قراءات لهذه الآية بما يتناسب مع واقعهم تحريكاً للنص القرآني على المعاني المتاحة لكاشفة للوقائع،..] ص107.

وبتطبيق كلامهم على الآية أعلاه ادّعوا أنَّ المسلمين قد قاموا بتوظيف الآية في ثلاث محطات في في حقبة الرسالة الأولى، وهي (بإيجاز):

أولاً: أنها وُظِّفت من قبل الرسول (ص) لمنع المسلمين من الحج إلى مكة بإغراء من المنافقين·

لكننا لم نجد هذا النوع من التوظيف في أيّ مصدرٍ حديثي أو تاريخي!·· فمن أين جاء به هؤلاء؟· فلا تحدّثت عنه كتبُ التنزيل والتفسير، ولا وجدنا حديثاً شريفاً

يربط الآية بهذا التوظيف.. ولم نجد أهل التجديد قد جاءوا بما يـدلّنا علـى أصـلِ كلامهم هذا من أي مصدرٍ!.

ثانيـاً: بعد فتح مكة، وظفت الآيات لإرساء مواقيت الإهلال بـالحج.. ونفـس الأسئلة ترد بخصوص هذا التوظيف: من أين لكم أن الرسول (ص) قد قـام بهـذا التوظيف انطلاقاً من هذه الآية، أيُّ مصدرٍ يتحدّث عن هذا التوظيف؟.. الجواب: لا يوجد!.

ثالثاً: توظيف الآية في الإجابة على أسئلة المسلمين عن ما بقي صحيحاً ومـا ليس بصحيح من مناسك الحج لحنفاء إبراهيم (ع) حيث قالوا:

[الأرضية الثالثة: مع موسم الحج وأخذ المسلمين تعاليم دينهم، فيسألونه عمّا بقي صحيحاً من عادات العرب (من بقية مناسك حنفاء ملّة إبراهيم "ع") وعمّا هـو لـيس بـصحيح، بـل زائـف ودخيـل، فـسؤال الآيـة يـستوضح عـن نهايـة مناسـك الحـج، الأول: نحـر البـدن والأضاحي التي هي "الأهلـة" أهلـت لله لخـتم الحـجّ. الثـاني الانـصراف إلى بيـت الأهـل، وللحفاظ على تقوى الحجّ وصبغته كان العربُ الحُجّاجُ ينقُبون لهم من ظهر البيت ليـدخلوا منه إليه فأخبرت الآية أنَّ الممارسة الأولى هي من تعاليم الحجّ فعـلاً وهـي الميقـات الأخـير لهذه الشعيرة، وأن الثانية مجرّد عادة دخيلة لا علاقة لها بالبرّ ولا بالحج ولا بـالتقوى.. الخ] ص(108_109)

ونقول: كلُّ شرحهم هذا يحتاج إلى دليلٍ من التاريخ وإلاَّ كان مجرَّدَ ابتـداعٍ لا يقوم على أيِّ دليل. فهل تساءل المسلمون الأوائل فعلاً عن ما بقي صحيحاً وما ليس بصحيحٍ؟. هل هناك من وقائع التاريخ والسيرة النبوية أو حتى أسباب النزول ما يدلُّ على هذا؟. أسئلةٌ لا بدَّ لها من جوابٍ يا سُلالة التجديد!.. ولكن: أنَّى؟!. آية الأهلـة ذكرت أنهم يسألون عن الأهلة ما تكون وليس عن ما بقي صحيحاً أو غير صـحيح من عادات العرب. وسؤال المسلمين وجواب الآية جاءَ في سـياقٍ يظهِـرُ أنهـم لا يعرفونها أصلاً، فعرّفها لهم القرآن!

وهكذا فقد ضاع تنظيرهم لهذه القاعدة في نطاقٍ من التحليل التـضليلي الـذي يحتكر القرآن لفهمٍ ذوقيٍّ لا سند له على الإطلاق. ونحن نعتقدُ في هذا النـوع مـن التنظير ضرباً للقرآن الكريم بأوهام الرجال عن سابق عمدٍ وتصميمٍ.

القاعدة الثانية عشر: أدوات التعامل مع القرآن

قالوا:

[معرفة أدوات التعامل مع المادة القرآنية والغرض القرآني وحسن استخدامها] ص109

وحتى نعرف ما هي تلك الأدوات فلنتابع:

[... وحسن استخدامها. ضرورة فصل الباحث وتفريقه، بين عِدَده وأدواته في تحليل وفهم المادة القرآنية، من تفسير، وتأويل، وتدبّر، وتعقّل، واستنباط، واستقراء، وتذكّر، واقتباس، واستفادة، وتمثيل وتطبيق. والتمييز بين التفسير بأنواعه من تفسير كلمي لألفاظ الآية فقط، وتفسير اجتهادي، وفرعه التفسير الموضوعي، وتفسير بياني، لئلا يقع الباحث في الخلط والوهم والشطح في مواطن يكون المراد طلب البرهان والدليل السياقي والعقلي] ص109

فلنتذكّر غرضهم من هذه القواعد جميعاً وهو فتح القرآن والعقل.. ولنتذكّر أن هذه القواعد حسب قولهم هي بمثابة ضوابط أو منائر أو ثوابت قبلية صحيحة ترشدنا!.

فالآن لنلاحظ ما يلي:

أولاً: المفروض أن يتم الحديث من رأسٍ عن أدوات التعامل وماهيتها ومن أين نأتي بها. فهذه الأدوات ستكون بحدّ ذاتها هي قواعد التعامل مع كتاب الله. لذلك يحقُّ لنا التساؤل عن الفرق بين عنوان كلي هو (قواعد فتح القرآن والعقل) وبين عنوان جزئي هو هذه القاعدة؟. فهنا خلطٌ واضحٌ بين عنوانين لهما غاية واحدة. لكن جُعِلَ أحدهما عنواناً عاماً والآخر عنواناً جزئياً!. ولقد كان الأجدر بهؤلاء أن يجعلوا حديثهم عن هذه القاعدة تمهيداً للفصل الأول بعد شيءٍ من التحوير، وذلك قبل الدخول رأساً في تعداد القواعد.

ثانياً: هل (التفسير والتأويل والتدبر والتعقّل) هي أدوات للتعامل مع القرآن أم هي غايات يُهدَفُ لها من خلال قراءة نتعاملُ مع النص؟.. فكيف خُلِطَتْ إذن مع

(الاستنباط، والاستقراء، والتذكر، والاقتباس، والاستفادة والتمثيل والتطبيق) التي هي وسائل عامة للتعامل مع النصّ الشريف تستبطنُ أسساً محددةً لكلٍّ منها؟

فهذه القاعدة التجديدية مجرد خطابٍ إنشائي لا يقدّم ولا يؤخّر في أقلّ تقدير، وألاّ ففيها من الخلط والتشويش والكلام الجزافي ما لا يناسب كتاباً ككتاب الله يدَّعي هؤلاء أنهم يأخذون منه وينتهون إليه.

والآن انظر إليهم كيف يفرّقون في التعامل مع آيات الكتاب ويحاولون تقطيعه زبراً، فقد قالوا:

[فثمة آيات مغلقة تحتاج تأويلاً، وهناك آيات مفتوحة للقراءات والاجتهاد التدبر، وهناك آيات تطلب التفسير فحسب، والكل يحتاج إلى فكر وذكر وتعقّل. على شرط أن يجري ذلك وفق علوم العربية الصحيحة، والمنطق بأدواته....] ص111

وجاء هذا التفريق بناءً على تفريقهم الآخر بين التفسير والتأويل والتدبّر. حيث ادَّعوا أن التأويل هو إرجاع الآية للحقيقة الوحيدة التي جاءت لها، والتدبر هو طلب معنى ثانٍ أو ظهور ثان وثالث ورابع، والتفسير هو الظهور المبين للسياق كمعاني.

وعندما تسألهم: من أين جئتم بهذا التفريق؟ وما مستندكم فيه؟، فأحسبُ أنهم سيقولون لك: (مستندُنا هو ما بإمكاننا أن نقول)!.

وعندما تسألهم: كيف تحدّدون الصحيح من العلوم العربية مع أنها من ابتداع الذين لغا صوتهم فوق صوت القرآن كما تقولون؟

وعندما تسألهم: فهل عملت الأمة بغير ما تنصحون؟ فلِمَ تعيِّروها بعد إذ انتصحت بكلامكم حتى قبل أن تسمعَ بكم؟!

وعندما تسألهم بعد إن تقرأ هامشهم الاستعراضي عن التفسير وأنواعه: تفسير القرآن بالقرآن، التفسير الروائي، التفسير الفقهي،... الخ: لماذا لم تُمثِّلوا لما أسميتموه بالتفسير الجهادي (الاجتهادي) بنماذجٍ من التفاسير المعلومة كما مثَّلتم لسواه؟، هل لأنكم الوحيدون الذين قاموا به؟!

وعندما تسألهم: إذا كان التأويل هو كشف حقيقة واحدة لا تتعدّد.. فمن الذي يقدر على فتح الآيات المغلقة به؟

وعندما تسألهم: من الذي يميّز الآيات المغلقة عن سواها من الآيات المفتوحة؟ أهوَ أنتم؟

وعندما تسألهم: من خوّلكم بتعديد القراءات وفق البيئات المختلفة ليكون لها مسمّى (القراءات التجديدية)؟

ألا كفى!.. ولو أنّ في الجعبة الكثير الكثير!

القاعدة الثالثة عشر: المفردة القرآنية والمدلول التاريخي

[تحرير المفردة القرآنية المفتوحة من حصرها في مدلول تاريخي محدد. أدقّ ما سنقع فيه، ولا يمكننا الفرار أو التخلّص منه، هو عدم يقظتنا للفارق بين الدّال اللفظي للنصّ (المفردة القرآنية)، وبين مدلولها التاريخي (أو معناها المستعمل المتعارف)، التبادر سيخوننا، وسنحسبها جامدة، لفظة واحدة لمعنى واحد،...] ص112

وتابعوا قائلين:

[ستضيق بذلك علينا القراءات، وسيتعسّرُ علينا الوصول إلى اقتناص مراد الله إلينا في زماننا هذا عبر رسائل نصّه القرآنية، ما لم نُحرِّر بيقظةٍ تلك المفردة من معناها العرفي..] ص113

هنا يتحدّثون عن التبادر الذي هو من بين أهمّ ما رفضه المنهج اللفظي للنظام القرآني· لكنهم ما قالوا لنا ولا أخبرونا كيف نتحرّر منه، ولم يضعوا آليةً لتحديد معنى اللفظ بعيداً عن المعنى العرفي المتبادر· كلُّ ما في الأمر أنهم حدّدوا للآية القرآنية معنىً قد يكون شرعياً أو قد يكون لغوياً· فمتى ما جاء السياق بحيث لا تحتمل الآيةُ سوى المعنى الشرعي حملناه عليه، وألاّ فإن معظم ألفاظ القرآن محمولة على المعنى اللغوي:

[إذ المفردة القرآنية قد يكون لها معنى شرعي (كالقرآن، والصلاة، والجهاد، والزكاة، والحجّ، والنّذر، والكفّارة، والايمان..) إذا أتت في سياقات لا تحتمل غيره، فهذه غير قابلة للمسّ. أو يكون لها معنىً لغوي فقط كحال معظم كلمات القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين لا بلسان شرعي أو اصطلاحي، وكحال أكثر الكلمات التي تقرأها هنا الآن]

وسوف لن نناقشهم عن كيفية التوصل إلى المعنى الشرعي، فلندع هذا ولنسلم لهم جدلاً أنه من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى البحث فيه، لكنّنا نسأل عن المعنى اللغوي من أين نأتي به لتحرير المفردات القرآنية من أسر الكثير من الأخطاء

الاجتهادية والعلمية كما قالوا لاحقاً بعد الفقرات أعلاه؟ كيف تسعنا إعادة بناء مداليلها الحقيقية لغةً كما طالبوا في متن قاعدتهم هذه؟.. هذا ما لم يقوموا بإبانته مطلقاً إلاَّ عبر ما أسموه بعلوم العربية الصحيحة التي هي الأخرى تحتاج إلى مراجعةٍ كونها غير قائمة على فكرة القصد التي ترتبط بفكرة النظام القرآني بدون إنفكاك.

إن ادعاء التأسيس عبر كشف المشاكل دون وضع الحلول لها هو نوعٌ من التمظهر الذاتي الذي يتبجّح دوماً، ويتفاخرُ بأنه هو هو من كشف هذا، ويقف عند هذا الحدّ دون أن يتمكن من التقدّم قيد أنملةٍ، مع أن هذه المشاكل معلومةٌ سلفاً لدى أي باحثٍ حتى لو لم يكن متخصّصاً. وأحد مظاهر الذاتية هو جَعْلُ الحلِّ مشكلةً للقاريء فعليه هو أن يبحث عنه، وعليه العهدة في الوصول إليه. فانظر مثلاً إلى قولهم في الهامش من صفحة (114):

[.. هذا مع أن الله لو أراد اللفظة (ملك اليمين) خالصة لمعنى (عبد أو أمة أو مملوك) لأتى بها كذلك نصّاً فهي أدلّ وأبلغ، إذ قد استعمل القرآن هذه المفردات في مواضع أخرى، فلماذا عمد الحكيم تعالى إلى عبارة أخرى أطول (مكونة من كلمتين) وتحتمل حركتها ومدلولها مصاديق أكثر حسب اللسان والحالات؟! <u>لكَ أن تبحث عزيزي القاريء في ذلك، وهو بحث كفيل بتغيير التشريع في مسائل معينة، وإخراجه من جموده</u>] ص114

أقول: عجباً لهم إذ يحيلون الأمر للقاريء بهذه الطريقة.. فحالُهُ وإياهم كذلك الربّان الكسول الذي يقول له بعد دفع المقسوم: (اركب السفينة وامض بها في البحر هنيئاً)!. وليبق القاريء في حيرةٍ أو إن يشأ فليركب فلعلّ السفينة لها عقلٌ كعقل ربانها اللئيم، فلا تطيح به إلى الغرق أو الضياع، أو فليفرح هو بقيادتها وليحطمها في جرف الصخر!، أمّا إن نجا فهو تجديديٌّ قحٌّ!!

ولكن ألا تقرأ (عزيزي القارئ) ما في عبارتهم المتملقة الموجهة إليك من استدراج غرضه (تغيير التشريع في مسائلٍ معينةٍ)، بل وما تحويه عبارة (إخراجه من جموده)؟!

فهم يتركون البحث لك ولكل قارئ في هذه المرحلة بلا دليل حتى يغرقوا الجميع في ظلمات بحر لجي من دفعك للتفسير بلا هدى يغشاه موج من تحبيب أسلوب القياس بالرأي والأهواء من فوقه سحاب من التيه والغموض في مسالك ومناهج التفسير، حتى إذا جائتهم رجالات التجديد بفتاويهم النونية[1] (المغيرة للشرع في مسائل معينة) بدعاوى (إخراجه من جموده) هانت المصيبة على كلٍّ المبحرين!. فهذا إذن سر دعوتهم الابحار إليك أيها القارئ العزيز بلا ربان ولا هدى ولا كتاب منير!

وليس هذا فحسب، فهناك مثالٌ آخرٌ عجيبٌ تجاوز تماماً قضية المعنى الشرعي واللغوي. فبعدما جاءوا بآياتٍ عدّة فيها لفظة (رجال) ووضعوها أمام القاريء الكريم قالوا له في نفس الهامش:

[ويكفيك أن تقرأ قوله سبحانه: (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيمَاهُمْ) (الأعراف: 46)، (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) (التوبة: 108)، (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور: 37)، (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب: 23)، (وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ) (صّ: 62)، (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) (الجن: 6)، ... لترَ أن المفردة (أي مفردة رجال) دلّت على معنى القيام والقوة ولم تتخلّص للذكور فقط دون الأناث إلاّ حسب الغالب] ص114

أما كيف يرى القاريء أنَّ مفردة (الرجال) دلّت على معنى القيام والقوة ولم تتخلّص للذكور فقط دون الاناث؟ أمّا كيف يصل إلى هذه النتيجة؟. فلا ندري.. فلعلّ القاريء يدري!

إنما مبروك لنسائنا المصونات هذا الكشف العبقري!.. فمن الآن لن أرَ أمرأةً إلاّ وسأناديها (يا رجلُ!.. يا رجلُ!)، وعندما تأتي الشرطةُ للقبض عليّ بتهمة وصف النساء بما ليس عليه النساء فمؤكّدٌ أن عذري سيكون كالذي جاء به التجديد وعندها

[1] هناك موقع تجديدي باسم موقع النون مختص بفتاويهم المغيرة للتشريع فاذهب واقرأ فيه ما يريدون www.alnoon.org

فسوف تتضاعف عليّ العقوبة والأمر لله!. لكن أيقبل الرجال أن يسمُّوا أنفسهم نساءً؟!.. سؤالٌ نطرحه من منطلق الإيمان بالمساواة بين المرأة والرجل ليس إلاَّ!!!

القاعدة الرابعة عشر: لغة القرآن حيوية تصويرية

هذا الأمر لا يحتاج إلى أن نجعل منه قاعدةً!

فهذه هي حقيقة القرآن الكريم.. وفي الفكر القصدي فإنَّ المرحوم النيلي كان يؤكد على ضرورة التعامل مع القرآن على أنه ملقىً إلقاءً، وكأن الله تعالى يخاطبك مباشرةً به، وعلى ضوء هذا فإنه يمكن لك أن تحدّد عائدية الضمائر في النصّ بالتفاعل مع صاحبه الذي هو كمن يشير إليك بيده حين يتحدّثُ عن الآخرين:

[بل كلامه (تعالى) صريحٌ مبينٌ واضح المناهج، وكلّ ما في الأمر أنه إذا قال قولاً جاء قوله مصدّقاً لما مضى من أقواله ولما هو آتٍ منها، فأقواله تتّسم بـ (حيوية الإلقاء) المستمر، أي يتوجّب علينا تصوّر النص وهو يُلقى إلقاءاً كلّ حينٍ، فهو نصّ مُلقى مكتوبٌ، وليس نصّاً مكتوباً ليُلقى .

إذن علينا إذا قرأنا الآية أن نتصوّر أنّه يلقى علينا من السماء إلقاءاً ، فإنّ ذلك يقرّبنا كثيراً من معرفة عائديّة الضمائر بالاعتماد على النظام القرآني وقواعده.] المدخل إلى نظام المجموعات ــ موضوع (عائدية الضمائر)

المهم.. لننظر في الأمثلة التي جاء بها هؤلاء دلالةً على قاعدتهم هذه، فقد قالوا:

[ولك أن تنظر إلى قوله تعالى (قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ) (يوسف: 71)، لم يقل (مقبلين) ولا (أقبلوا عليهم وقالوا)، لتلقى علماً آخر يفترس المشهد، مليئاً بالحركات الناطقة بنفسها ولو خفّضتَ الصّوت، تشهد انفعال المطعون في أمانته، الشجاع، المتيقن بصدقه، الغضب لكرامته، كيف يتحرك مقبلاً مبادراً بسؤاله عن التهمة الباطلة، ذاك الغضب للكرامة الذي يدفعهم يطلقونها مُغمضة، واثقين، في لحظة اشتعال وانفعال، وليكن ما يكون: (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) (يوسف: 75)، فيتورطون في كيدٍ متين.] ص115

أحسبُ أن هذا المشهد التجديدي منتحلٌ هو الآخر أيضاً، ولكن ربما هذه المـرّة من مسلسلٍ دينيٍّ يتحدث عن قصة يوسف (ع) وأظن مثله عرض علـى شاشـات التلفزة في الثمانينات!· (ولكن عذراً لا أذكر عنوانه الآن!)·

فانظر أخي القاريء الكريم كيف صوّروا أخوة يوسف (ع) هذا التصوير الذي يجعلهم شجعاناً ذوي كرامةٍ استناداً إلى تركيبٍ قرآنيٍّ ما أبعده عن هذا التصوير· إذ يكفي أن تقرأ ما بعد الآيتين السابقتين في الفقرة أعلاه لتعلم أنهم لا زالوا في تكبّرهم على يوسف وأبيه وأخيه الصغير عندما قالوا مبرّرين السرقة: (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَـدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ)، في حين كان يجب عليهم الدفاع عن أخيهم حتى ولـو وجـد المتاع في رحله فيما لو كانوا يحبونه صدقاً ويحرصون عليه، كأنهم ما علموا بنبوءة أبيهم، وما علموا أن النبي إذا أحبَّ فلا يحـبُّ سـارقاً، ولكنـه الحـسد والغيـرة والاستكبار· ولذلك رأينا يوسف (ع) في حالٍ وصفها القرآن في لاحق الآية السابقة:

(فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ)

(يوسف: من الآية77)

وهكذا فنحنُ نصدّقُ نبينا يوسف (ع) في ما قاله عن أخوته من أنهم شرّاً مكاناً، ولا نصدّقُ (قلوب) التجديد وما صوّرته لهم من مشهدٍ كاذبٍ للكرامة والشجاعة!

ولنا بعد ذلك أن نسأل: ماذا لو تغيّر التركيب (قالوا وأقبلوا عليهم) إلى (قـالوا مقبلين) أو إلى (أقبلوا عليهم وقالوا)؟!·· هذا ما لم يشرحوه لنا، بل تركـوا الأمـر معلّقاً مفصحين بذلك عن عجزٍ في التنظير فاضحٍ كدأب من ينتحل!·

نأت الآن إلى المثال الثاني:

[وانظر إلى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُـلَّ مُمَـزَّقٍ إِنَّكُـمْ لَفِـي خَلْقٍ جَدِيدٍ) (سبأ: 7)، سترى عجباً. ترى فيها رجلاً (رسـولاً) مـستوحداً بـين مجـاميع لاهية، همها أكل اللحوم ونهش الأعراض وإيغار الصدور على كـل مخـالفٍ بجديـد جـاء يدين عبثيتها، جوقة التكذيب والعبث هذه، تتنـدر برسـولها، كأنهـا لا تعرفـه، كأنـه نادرة مجانينها، ومسخٌ من عجائبها، فتغـري الأوبـاش بـه تـشهيراً، وكـأن قـضية "عـدم

البعث" محسومة وبديهية ومسلّم بها، حتى أن المخالف لها الداعي لغيرها مجنون، بحاجة إلى التشهير به والتدليل عليه للضحك منه من فرط ما خالف بديهة!. انقل نفسك هناك، تغلغل بين تلك الجحافل الساخرة في مجالسها، متّع ناظريك بفرادة حال ذاك الرسول وثباته وهم يضحكون على إنبائه (إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)، ثمَّ أخرق الزمن لتصل هنا، لتنظر حولك إلى المليارات البشرية المؤمنة هنا، التي تضحك على من يقول ضد ذلك وتشمئزّ منه!] ص116

نحنُ نسأل: هل يصدق هذا المشهد على ما جرى واقعاً؟.. لماذا لا نفترض مشهداً آخر ليس فيه هذا التصوير الافتراضي القائم على حدسٍ شخصيٍّ لمن جاء به فقط؟

فالحقُّ: أن هؤلاء الذين كفروا (إذ قالوا ما قالوا) هم في حال حوارٍ منطقيٍّ مع أناسٍ آخرين يؤمنون بعقيدةٍ لا تتّفق مع ما جاء به الرسول، وهي عدم إيمانهم بالبعث بعد التمزيق. فهم لا يسخرون، بل يقدّمون برهاناً للتشكيك بهذا الرسول من رأسٍ، من خلال هذا الإيمان المسبق لديهم.. فيجعلون ما جاء به أمراً ليس منطقياً بالنسبة لهؤلاء الناس معلّلين سبب أقواله بأحد اثنين: إما أن هذا الرسول يفتري كذباً على الله، أو به جُنّة. فلاحظ أخي القاريء التعليل الأول الذي ينبؤك أن عدم الايمان بالآخرة هو أمرٌ محسومٌ عندهم على أنه من الله تعالى، ومن يقول بخلاف هذا فهو يكذب على الله عندهم، وتلاحظ هذا من نسبة الافتراء إلى الله تعالى.

قال تعالى عقب الآية السابقة:

(أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ)

(سبا:8)

وهكذا فالمشهد ليس فيه ما يدلُّ على اعتقادهم الجنون في هذا الرسول، بل على تساؤلٍ فيما إن كان كاذباً أو مجنوناً لمخالفته عقيدة يؤمنون بها، ويعتقدون من قال بخلافها مفترياً على الله. فليس هنا لا تشهير ولا تندّر ولا ضحك. فليس الناس بهذه السذاجة حتى تصدّق انطلاقاً من التشهير والضحك، وإنما تصدّق انطلاقاً من كلامٍ منطقيٍّ بالنسبة لها ولعقائدها. بالطبع فإنها لو سُمِحَ لها أن تسمع كلام الرسول بكلٍّ

حريةٍ، فإنها قد تصدّق به أو قد تكذّبه طبقاً لما هي عليه من مخزونٍ أخلاقيٍّ هو الذي يدفعها للكفر حتى لو كان ما جاء به الرسول صحيحاً، وهو الذي يدفعها للأيمان به مهما كان تكذيب أعداؤه له. ولمّا كان صِدْقُ الرسول ظاهراً ومشهوداً فلا عجب أن تتبعه القلوب الصادقة، وحتى يزداد الخداع على مثل هذه القلوب تجيء تهمة الجنون من الكافرين لاحقاً على أنها حقيقة ينبغي أن تشاع بين الناس. وهو الأمر الذي حدثَ بعد انقطاع كلِّ المبررات التي صيغت بشكلٍ منطقي لاقناع الناس بعدم اتباع الرسول. ومن هذه المبررات كونه كاذباً على الله، أو ساحراً، أو شاعراً.. وإذن فلم تبقَ سوى تهمة الجنون صريحةً كما في الآيتين:

(وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) (الحجر:6)

(وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)

(القلم:51)

فهل تحدّث التجديدُ المنتحلُ بقلبٍ يتخيّل باجتزاءٍ أم بقلبٍ يستوعب النص كلّه كي يستقيم المشهد صحيحاً؟!.

فحقّاً إنَّ الله لا يصلح عمل المفسدين .. أولئك الذين على قلوبهم أكنّةً أن يفقهوه.

وهناك مثالٌ ثالثٌ لهم. لكني سأترك تحليله لكلِّ من يشاء.. لا تهرّباً ولا عجزاً، وإنما (وأقولها صادقاً).. قرفاً!

غير أنَّ لنا تعليقاً أخيراً على آخر فقرةٍ في هذه القاعدة التجديدية والتي هي:

[المؤسف أنَّا كُلنا لا نستخدم نصوص القرآن إلاَّ كشاهدٍ على ما نرى ونقول، وكدليلٍ على صحةِ مزاعمنا (أدبية أو علمية)، فيؤتى به ليشهد صامتاً ويقّع ويرحل، كشاهد نفي أو إثبات، ولم نأت به كمعلّمٍ وربّ أمام جهّال، هذا ما أبعدنا أن تعلّم منه شيئاً] ص117

أقول: بالطبع فإن مثل معنى هذه الفقرة قد تكرّر في ثنايا المؤلفات القصدية للمرحوم النيلي، وبأسلوبٍ نقديٍّ عميقٍ وواضحٍ لا يمرُّ على المقصد مرور الكرام، ولا يختصره اختصاراً مخلاً، وإنما يفصّله بكلِّ سلاسةٍ ووضوح، وليس كمثل من

يعجز عن الاشارة إلى المقاصد إلاَّ بما يكشف زيفه وانتحاله· وكنموذجٍ نضع هنا ما قاله في كتابه النظام القرآني بقصد المقارنة:

[ومع ذلك بقيَ رجال المشرق يركضون إلى القرآن كلَّما سمعوا بنظريةٍ علميةٍ حديثةٍ ليفتّشوا فيه عن تلك النظرية، وليكتبوا للقرآن (سبقاً علمياً)· وقد نسوا أنَّهم يكتبون بذلك لأنفسهم (تأخّراً كشفياً) بشأن القرآن والعلم سويةً، حتى بات الأمر مثيراً للسخرية كقول القائل: لماذا لا يحدث ولا مرّة واحدة أن يكون اكتشاف العلماء للنظرية العلمية من القرآن سابقاً لعلماء الغرب باكتشافهم لها من الطبيعة؟ ولماذا يكتشفها علماؤنا دوماً من القرآن بعدما يكتشفها الغربيون من الطبيعة؟·] ص317

وانظر أيضاً:

[ولم يتوقّف الأمر عند أمثال ذلك من التعسّف النحوي والتفسيري، فكان القرآن هو مسرحَ مجادلاتهم النحوية وقواعدهم الإعرابية، يؤوّلون كيف شاءوا، ويحذفون كيف شاءوا، ويقدّرون الجملة كيف شاءوا، ويقدّمون ما تأخّر، ويؤخّرون ما تقدّم، ويجعلون الحقيقة كنايةً، والمثلَ استعارةً، والإبهام بلاغةً،··الخ· وكلُّ ذلك وغيرُهُ هو في الحقيقة (قواعدٌ نحويةٌ) وشروحٌ بلاغيةٌ· أمَّا القرآن نفسه فليس فيه عندهم قواعدٌ خاصةٌ، وليس له نظامٌ يَحكُمُه، فهو بالنسبة لهم مفتوحٌ دوماً ليأخذ منه الجميع ما شاءوا سواءٌ كانوا من البصرة أم الكوفة أم الشام··!!] ص141

وهناك فقرات أخرى غيرها مزبورة في هذا الكتاب وفي غيره، وللباحثِ أن يراجعها إن شاء·

لكن الغريب هو هذا التناقض العجيب بين ما يقوله هؤلاء في فقرتهم أعلاه وبين ظاهر فعلهم· فكلامهم فيها ينطبق عليهم كما ينطبق على غيرهم ممن يشمله ضمير الجمع في عبارتهم· والدليل على ذلك اسقاطهم فهمهم الذوقي على آيات الله كما تبيَّن في الأمثلة أعلاه تحت ستار أن هذا من التفسير البياني الذي هو خير ناظرٍ لهذه الجنبة المتعلقة بكون القرآن لغة تصويرية حيّة كما وصفوه· مع أن هذا التفسير خالٍ بالمرّة من أيّة قواعد حقيقيةٍ، ولا ينظر للقرآن الكريم على أنه نظامٌ نسقيٌّ محكمٌ، بل هو يستند إلى البلاغة الاعتباطية التي لا تقدّم جديداً، وإنما مجرّد ترجمة للقرآن الكريم بأساليب إنشائية تعبّر عن ذائقة المفسّر وتصوراته أكثر من تعبيرها عن حقيقة النص·

وهنا نسأل: أتعتقدون أن أصحاب التفسير البياني من أهل "علم الكتاب"؟

إن نعم.. لا حاجة بنا إذن لقواعدكم، ولا لقواعدنا!

وإن لا.. فهم إذن من الذين صاغ الله تعالى كتابه ليكون مقفلاً على قلوبهم، وعندها فلا حاجة بكم ولا بنا لتفسيرهم!

أخي القاريء.. يرجى مراجعة أول فقرة من كتاب التجديد (مفاتح القرآن والعقل) لتفهم مغزى السؤال أعلاه!

القاعدة الخامسة عشر: نسبية الوصول المعرفي

هذه القاعدة ليست بحاجةٍ إلى مناقشةٍ، فهي كشأن غيرها من قواعدهم مجرّد توصيفٍ خطابي مخلوطٍ بأمثلةٍ مبتسرةٍ وتساؤلات متروك حلُّها للقاريء نفسه· غير أنهم طرحوا تساؤلاتٍ هذه المرة، ولكن بدلاً من إحالة القاريء لنفسه كي يجد الحلَّ لها، أحالوه إلى بحثٍ آخرٍ لهم هو (وعصى آدم، الحقيقة دون قناع) دون ذكر اسم الموضوع المتعلِّق بالتساؤلات ولا رقم الصفحة!·

ولنا هنا ملاحظةٌ هامّةٌ خطرت لنا الآن:

فهؤلاء قد جاؤوا بقواعدهم على أنها راجعةٌ إلى نفس النصّ باعتباره نظاماً محكماً· فالسؤال المطروح هو: لماذا لا يردوا كلَّ قاعدةٍ إلى ما يؤسِّس لها من آيات هذا النصّ؟

فهذه القاعدة مثلاً أين الموارد التي تتحدّث عنها في كتاب الله؟

أليس من الأفضل لهم منهجياً أن يجلبوا نصوصاً تعبِّر عن هذه القاعدة من داخل النص، بدلاً من الحديث عنها وكأنها حكمٌ عقليٌّ مسقَطٌ على النص؟

قد يقول قائلٌ أن هذه القاعدة وسواها هي نابعة من كون النص نظاماً، فنسأل: كيف؟، لأنَّ الأمر يحتاج إلى إيضاح علاقة فكرة (النسبية المعرفية) بفكرة النظام المحكم، والربط بينهما عبر قاعدةٍ واضحة المعالم وواضحة الصياغة والتعريف ومرتدّة إلى آيات النص ذي النظام المحكم· وهو ما لم نجده في شروحاتهم لكافة قواعدهم·

ومقارنةً بهؤلاء·· لو ذهب القاريء إلى كتاب النظام القرآني لوجدَ أن جميع أسس ومباديء النظام القرآني تستند إلى نفس هذا النص، أي تستند إلى آياته هو بالذات، مع ذكر هذه الآيات· وبالطبع إذا صحّت هذه الأسس فقد صحّ ما قام عليها من قواعد·· وهو الأمر الذي نظَّر له النيلي في بدء كتابه النظام القرآني وبالتفصيل·

فأين التجديد من هذا؟

فهذا أيضاً كافٍ لوحده لاتهامهم بالانتحال المكشوف من القصدية وتلفيق النتائج طبقاً لطروحاتٍ غير تامةٍ لبعض الآثاريين والمؤلفين المعاصرين مثل كمال صليبي أو د. شاهين عبد الصبور أو غيرهما.

وهنا أنقل هذه الفقرة من متن كلامهم على هذه القاعدة:

[... وحذار أن تقتنع وتركن لما في التفاسير وأقوال الرجال، فإنك بذلك تستنسخ فقط ما كانوا يعملون، ولن تضيف جديداً....] ص119

ولكنكم:

1. تحيلون في تنظيركم اللغوي إلى ما أسميتموه بعلوم اللغة الصحيحة بما فيها من نحو وصرف وبلاغة.. وهي كلها علومٌ من علوم الرجال الذين هم أنفسهم من فسّر ونظّر ولغا اعتباطاً!.

2. تحيلون بخصوص اللغة التصويرية إلى أحد أسوأ أنواع التفاسير وترونه خير ناظرٍ وهو التفسير البياني الذي لا يعبّرُ إلاّ عن تصورات أصحابه وتخيلاتهم الشخصية للوقائع القرآنية بلغةٍ أسلوبيةٍ يغلب عليها الخطاب الذي لا جديد فيه!

فهذه الاحالات تثبتُ عليكم التناقض في دعواتكم للقرّاء، فيحارون معكم لمن يركنون؟!

القاعدة السادسة عشر: سيادة القرآن على المرويات

لأننا في معرض إثبات الانتحال التجديدي للقصدية، فسنبدأ أولاً بما له علاقة بالانتحال من هذه القاعدة· فقد قالوا:

[وقد أثبتنا في فصل "مرجعية القرآن" من بحث "الهجرة إلى القرآن" أن الحفظ والعلو القياسية هو للقرآن فقط لا للأحاديث المروية التي أُشتُهر بأنها هي " السنة الشريفة"..] ص120

فقارن مع هذا الكلام ما ستراه في موضوع مبدأ (الحاكمية والعلو والامتناع ــ حكمه على السنة) المشروح تفصيلاً في كتاب النظام القرآني، لتجد أن هذا النصّ مع جلّ الكلام الذي في هذه القاعدة مقتبسٌ تماماً من ما كان قاله المرحوم النيلي، والفارق هو في التوسع المليء بالتناقضات والحلول الناقصة· علماً بأن بحثهم (الهجرة إلى القرآن) غير موجود ضمن ما تمّ طبعه من مؤلفات لهم، وحسبك أن تقرأ عناوين (سلسة عندما نطق السراة) في آخر كلّ كتابٍ لهم، فلن تجده ضمنها، كما أنه غير موجود على موقعهم على النت لغاية إخراج هذا الكتاب·

ونقدّم هنا تحليلاً موسّعاً لما قالوه في هذه القاعدة:

أولاً: [هنا ينبغي إعطاء القدسية الأولى لكلام الله سبحانه لأنه ثبتَ بأنّه ليس "قول البشر"] ص120

فسلْهم: ثبتَ لمن؟! لنا كمسلمين؟، أم لغيرنا؟!

فإن كان الجواب هو أنه ثبت لنا، فهذا ما لا حاجة لذكره لأنه أمرٌ بديهي معلوم لكلّ مسلمٍ مؤمن نطق بالشهادتين عن سابق علمٍ لا عن تقليد·

وإن كان الجواب أنه ثبت لغيرنا، فلا لم يثبت وإلاّ لكانوا مثلنا، ولما وجدنا من قال ولا زال يقول: (إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) (المدثر:25)· وعليهم إذن إثبات إلهية هذا

الكتاب لمثل هؤلاء، مثلما ثبتَت لصاحب هذا القول الذي هو الوليد بن المغيرة فتمّت عليه الحجة فتمّ العقاب!

ولدينا ملاحظة: إذ ماذا تقول قصديتكم المزعومة بخصوص هذه العبارة (بأنه ليس قول البشر)؟.. ألم تقولوا أن البشر هم السلالة الهمجية غير المخلّقة، فهل يعني ذلك أنه من قول (الإنسان) المترقي إن لم يكن من قول البشر؟!!. وإثارة هذا السؤال لم تأت من فراغٍ، فقد سبق إن نوّهنا عن بحوث لهم حاولت نزع نسبة القرآن لله تعالى، وتثبيتها لمخلوقات علويةٍ أو (فضائية)[1]؟!!

ثانياً: [أما كلام المعصوم والصحابي والتابع فمع قدسية الثابت منه والصحيح فلا يوازي أبداً كلام الله تعالى ولا يدانيه] ص120

هنا جمعتم كلام المعصوم عليه السلام ومن سواه في خانةٍ واحدةٍ من التقديس، بالرغم من شهادة القرآن، وشهادة كلّ المسلمين أنَّ كلام المعصوم لو صحّ فهو سائر في كلام الله، وعلى الجميع الأخذ به وطرح ما سواه حتى لو كان من صحابيٍّ جليلٍ.

قال تعالى:

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ)

(الحشر: من الآية7)

وإذن لا قدسية أبداً لسوى كلام الله تعالى وكلام المعصومين عليهم السلام.

وكذلك لدينا هنا ملاحظة: فلو دقّقَ القاريء في كلامهم السابق لوجد أنَّ هناك فصلاً بين الثابت والصحيح من الحديث.. فالسؤال هنا: هل أن الحديث إذا ثبتَ يحتمل أن يكون خاطئاً؟!!.. هل الحديث إذا ثبتَ يبقى حاملاً للشكّ في صحّته ويحتاج إلى أن يصحّح؟

جليٌّ أنَّ كلَّ حديثٍ ثابتٍ هو حديثٌ صحيحٌ بالضرورة، ولا يمكن فصله عن صحّته وإلاَّ لزم التناقض أو القدح في ذات المعصوم من حيثُ أنه ثبت عنهُ كلاماً لا

---

[1] تجد التنويه المقصود في آخر كلامنا عن قاعدتهم (العصائر في القرآن) صفحة 106 من هذا الكتاب

يصحُّ.. فهل يدرك القاريء الكريم الآن ما وراء كلمات هؤلاء من محاولات التسقيط المبطّن لهذا الدين خلف برقعٍ مزيّفٍ من التقديس والتوقير.

طبعاً الغاية من كلام هؤلاء هو ضرب السنّة باعتبارها تعبيراً عن واقعها وظرفها، وبالتالي فمن حقّنا أن نفهم القرآن معبّراً عن واقعنا نحن استناداً إلى فهمنا نحن. وهو ما ذكرناه قبلاً، وسيتأكد لنا أيضاً فيما يلي من مقولات لهم تحت هذه القاعدة.

ثالثاً: [إن الحفظ والعلو والقياسية هو للقرآن فقط لا للأحاديث المروية التي اشتهر بأنها السنة الشريفة، وإن مدوني السنة دونوها بعد وفاة النبي (ص) بعشرات ومئات السنين، بلا رقابةٍ حافظةٍ منه، ولا أمرٍ أو إذن] ص120

الحقّ.. أن الله تعالى قد أمر بتدوين السنّة انطلاقاً من الآية السابقة (آية سورة الحشر) التي نصّت على ضرورة أخذ ما آتاه الرسول والنهي عن ما نهى عنه. وكذلك فإنّ هناك أحاديثَ شريفةً تُعَدُّ بالعشرات في أوامر النبي (ص) بضرورة كتابة الحديث وتقييد العلم[1]، وبالطبع فإن كلامه (ص) أيّاً ما كان هو من العلم ما دام لا ينطق عن الهوى.

فالأمر بكتابة الحديث مفروغٌ منه، ولكن المشكلة هي في الرقابة فعلاً. فإنّ المؤامرة على الحديث الشريف التي أدّت إلى إحراقه في عهد الأوائل هي نفسها التي أدّت إلى كتابته تحت رقابة أعداء الله في عهد الأواخر.

وبالنسبة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فلطالما أمروا أصحابهم بكتابة علومهم وأحاديثهم، بل وجرى ذلك تحت إشرافهم كما هو معلومٌ لكلِّ الباحثين.

وإذن فالقضية هي بخلاف ما يزعم هؤلاء من أنّ النبي (ص) ما أمر ولا إذنَ بكتابة الأحاديث. والمعلوم أنّ أول خليفة طالب بتدوين السنة من بعد الأوائل هو الخليفة العادل (عمر بن عبد العزيز) الذي قُتِلَ غيلةً بعدما اتّخذَ جملةً من الإجراءات

---

[1] هناك مرجع تفصيلي يتحدث عن هذه النقطة هو كتاب (مكاتيب الرسول) الجزء الأول ــ الأحمدي الميانجي

التي تهدف إلى إعادة الأمور لنصابها بخصوص أهل البيت عليهم السلام، ولكن حال دون ذلك الغدر المستتر.

إن هؤلاء بزعمهم هذا يعطون المبرّر لقتلة السنّة الشريفة ويركضون خلف نفس مقولاتهم، مستخدمين القصدية واجهةً في دبج هذه المقولات وما حسبوا أن الله عالمٌ بمكرهم، ولهم يوم.

رابعاً: [فلو تجاهلنا دور بصمات السياسة والحكم الأموي والعباسي والمذاهب والطوائف في توجيه واختراع الأحاديث النبوية، فليس بمقدورنا أن نتجاهل أنَّ الرواة كانوا بشراً بالدرجة الأولى، يميّز أغلبهم إيمانهم بالرسالة أو المذهب وغيرتهم عليها واندفاعهم إلى نشرها، لا سيما بما يتوافق مع منظورهم واعتقادهم وولائهم وقطعاً ظرفهم، فهم لم يكونوا معصومين عن قلة الفهم أو النسيان أو الاهواء والاستقطاب الذي هو أصيلة بشرية] ص121

لا يمكن تجاهل الدور السياسي في التصرّف بالحديث الشريف، ولو من باب الفرض، لأنّه الدور الأهمّ على الإطلاق، والادّعاء بأن أغلب الرواة يتميَّزون بما ذكروه هو تزكيةٌ في غير محلّها، ويراد لها دليلٌ إحصائي عليها، بل جلّهم من صنائع السياسة، وكثرة كاثرة منهم هم من الكاذبين والى حدٍّ أن يتطلَّب الأمر لدى المسلمين التأسيس لعلم الرجال بما يتضمنه من جرحٍ وتعديلٍ من أجل فرزهم. بل المعصوم (ع) حذّر من كثرة الكاذبين في أحاديثَ معلومةٍ، فعن عليٍّ عليه السلام قال:

[قد كُذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً فقال : أيها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمداً فليتبوَّء مقعده من النار، ثم كُذب عليه من بعده]

فإذا كثرت الكذابة في عهده، فكم تناسلت من بعده؟!

أمَّا العوارض الشخصية التي تصيب الرواة من مثل سوء الفهم أو النسيان، فهي وإن كانت لها مدخلية في وصول الأحاديث مختلفة عن الأصل، لكنها ليست بأهمٍّ من

عوارض الهوى والاستقطاب السياسي والمذهبي. بل أن هذا الاستقطاب هو الذي أفضى إلى رفض جملةٍ واسعةٍ من الأحاديث الشريفة وندرة أو عدم الرواية عن رواةٍ كثيرين رغم فضلهم وتقواهم بحجّة الخلاف المذهبي. فمعلومٌ مثلاً أنّ البخاري كان معاصراً للإمامين الهادي والعسكري (ع)، ولا بدّ أن يكون قد أدرك الإمام الجواد (ع) ولم يرو عنهم شيئاً، كما وأنّه لم يروِ عن الأئمة الصادق والكاظم والحسن الزكي عليهم السلام، ولا عن غيرهم من السادة العلويين والرواة لأحاديث أهل البيت الذين عاصرهم وعرف عن نشاطهم[1].

بل إنّ هذا الاستقطاب نفسه قد خلط حابلٍ بنابلٍ فيما يتعلّق بالموقف من الأحاديث المروية عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. وكلٌّ مطلّعٍ على البحوث الرجالية يدرك هذا جيداً.

إذن فالسبب الأساسي في التصرّف في الحديث الشريف هو سببٌ مقصودٌ أصلاً، هو سببٌ سياسيٌّ.. صنّف الرواة على أساسٍ أنّ هذا رافضي أو ذاك يتشيع أو أنّ الآخر صاحب بدعٍ... الخ.

ولذا فنقولها دون تردّدٍ أنّ معظم الرواة هم ليسوا على ما وصف التجديد من أنهم أهل إيمان وتقوىً.. بل معظمهم كاذبون مدلّسون خلطوا حقّاً بباطلٍ. ولا ينبغي تزكية أحدٍ منهم إلاّ إذا زكّاه المعصوم عليه السلام.

على أننا نعتقد أن الرواة حقّاً هم من كان يقولُ: **(حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول الله عز وجل)** تفسير الميزان ــ السيد الطباطبائي ــ ج19 ــ ص33 ــ نقلاً عن كتاب الكافي للشيخ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني.

وعن علي عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم ارحم خلفائي، قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي.

ولنعم ما قاله العلم المعاصر الشيخ محمد جواد مغنية بهذا الخصوص:

---

[1] نقلاً عن كتاب دراسات في الحديث والمحدثين للسيد هاشم معروف الحسني ــ الفصل الخامس ص173.

[وبكلمة إن علوم الأئمة وتعاليمهم يحدها ـ في عقيدة الشيعة ـ كتاب الله وسنة نبيه، وإن كل إمام من الأول إلى الثاني عشر قد أحاط إحاطة شاملة كاملة بكل ما في هذين الأصلين من الألف إلى الياء، بحيث لا يشذ عن علمهم معنى آية من آي الذكر الحكيم تنزيلا وتأويلا، ولا شئ من سنة رسول الله قولا وفعلا وتقريرا، وكفى بمن أحاط بعلوم الكتاب والسنة فضلا وعلما، أن هذه المنزلة لا تتسنى ولن تتسنى لأحد غيرهم، ومن هنا كانوا قدوة الناس جميعا بعد جدهم الرسول تماما كالقرآن والسنة· وقد أخذ أهل البيت علوم الكتاب والسنة وفهموها ووعوها عن رسول الله، تماما كما أخذها ووعاها رسول الله عن جبرائيل، وكما وعاها جبرائيل عن الله، ولا فرق أبدا في شئ إلا بالواسطة فقط لا غير، ونظم الشاعر الإمامي هذا المعنى فقال:

إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهبا * ينجيك يوم البعث من لهب النار

فدع عنك قول الشافعي ومالك * وأحمد والمروي عن كعب أحبار

ووال أناساً نقلهم وحديثهم * روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

أخذ علي عن النبي، وأخذ الحسنان عن أبيهما، وأخذ علي بن الحسين عن أبيه، وهكذا كل إمام يأخذ العلم عن إمام، ولم ترو أصحاب السير والتواريخ أن أحداً من الأئمة الـ 12 أخذ عن صحابي أو تابعي أو غيره، فقد أخذ الناس العلم عنهم، ولم يأخذوه عن أحد، قال الإمام الصادق: عجباً للناس يقولون: أخذوا علمهم كله عن رسول الله، فعملوا به واهتدوا، ويرون إنَّا أهل البيت لم نأخذ علمه، ولم نهتد به، ونحن أهله وذريته في منازلنا أنزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إلى الناس، أفتراهم علموا، واهتدوا، وجهلنا وضللنا ؟ · · ·

وقال الإمام الباقر: لو كنا نحدث الناس برأينا وهوانا لهلكنا، ولكنا نحدثهم بأحاديث نكنزها عن رسول الله، كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم] الشيعة في الميزان ـ محمد جواد مغنية ـ ص(43ـ44)

فأئمتنا عليهم السلام جميعاً هم رواة الحديث بالأصالة لا سواهم، وهم حفظته كما هم حفظة القرآن ومستودعه، ولا يمكن أن ينطبق عليهم ما يقوله التجديد أبداً· وهم من يزكّي من يروي عنهم، وهم من يرشد إلى من يروي عنهم، وهم من يضع الآليات لضمان وصول حديثهم إلى الاجيال اللاحقة خلياً من التلاعب به وتأويله أو جعله مخالفاً لكتاب الله· وهم عليهم السلام لا يمكن جمعهم مع خانة الرواة الآخرين

ممّن غلب على أكثرهم الهوى. وهم عليهم السلام جميعاً (بشرٌ) بـالمعنى القـصدي القرآني الشريف لهذه اللفظة، لا بالمعنى التجديدي الهمجي.

خامساً: [وعلى أيٍّ، مثلما أنه لا يُمكن بحالٍ من الأحوال أن تحتكر الرواية الصحيحة للمعصوم المعطى الكامل للنص الإلهي المطلق ومضمونه الضخم وتُهيمن عليه (ما لم تكن العملية تأويلاً واضحاً وثابتاً)، فمن أولى أنه لا يمكن أن ينسخ قول المعصوم (ص) قول الله عزّ وجل، ولا يقيده، ولا يخصّصه، ولكن يفسره في واقعه..] ص121

فلنفرض جدلاً أن الرواية الصحيحة لا يمكنها ذلك.. فما يعني هذا؟ أيعني أن لنا أن نتجاوزها إلى معطيات أخرى بحجّة أن لا احتكار للنص؟!.. فهذا هو الهدف من كلّ كتابكم.. هذا واحد من التشويهات التي لن أتوانى عن وصفها بـ (القذرة) للقصدية الشريفة أيها المتلفعين تحت ستار التجديد.

فهؤلاء ينوّهون بكلّ وضوحٍ عن زعمٍ لا يصمد أمام التحقيق ينبأ أن تأويلهم للكتاب بحجّة التفسير في إطار الواقع يمكن أن يصل إلى مقامٍ يعلو على تأويل المعصوم (ع) وضوحاً وثباتاً، وبحيثُ أنهم إذ خصصوا تأويل المعصوم (ع) للآيات ضمن الواقع الذي عاشه المعصوم فقط.. فهم بذلك قد أسقطوا هذا التأويل دفعةً واحدةً، وصارَ حقّاً لهم أن يجعلوا من تأويلهم هم بديلاً عن تأويل المعصوم عليه السلام.. وبكلمةٍ.. فقد أضحوا هم أهل العصمة ولو في واقعهم المعاش!.. وكلُّ هذا تحت دعوى تافهةٍ بأنَّ الروايات الصحيحة لا تحتكر المعطى الكامل للنصّ الإلهي.

فيا هؤلاء: أليس من عدم الحياء وقلة الاحترام وكذب التدّين وصف الروايات الصحيحة بالاحتكار؟!.

ويا هؤلاء أتريدون أن تشاركوا المعصوم (ع) في عصمته إذ تبرّرون لمخالفته وتمهّدون لأخذ مقامه؟!، أليس من الأحاديث الصحيحة الملزمة لكم ما قاله المعصوم (ع) في هذه الجملة من المرويات؟:

1. حديث الثقلين الشريف المتواتر الذي تنبّأ بضلال الأمة ما لم تتمسّك بالكتاب والعترة في آنٍ سوىً.. وهذا يعني أن اللهج وراء ما سواهما هو لهجٌ وراء ضلال:

(إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عز وجل وأهل بيتي عترتي، أيها الناس اسمعوا وقد بلغت، إنكم سترِدون علي الحوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين، والثقلان: كتاب الله جل ذكره وأهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم)

فانظروا إلى قوله (ص): (فلا تسبقوهم فتهلكوا).. فمن ذا الذي يجرأ على الكلام بعدهم في كتاب الله؟.. ومن الذي يجرأ على وصف كلامهم بالاحتكار؟.. إلاّ أن يكون من الهالكين. هذا الحديثُ الشريفُ مرتبطٌ بآيةٍ لا أخطر من مضمونها، وجرى الجميع بخلافها إلاّ الأندر، وهي قوله تعالى:

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (العنكبوت:4)

أجل .. من ذا الذي يجرأ على سبق الله ومن أمر سبحانه وتعالى بطاعته؟

2. تلك الجملة العديدة من الأحاديث التي تطالب بالرجوع إليهم هم فقط عليهم السلام حتى فيما لم يكن من ضروريات الدين.. ومنها:

أ. في الكافي ــ باب (معرفة الإمام والرد إليه): عن ربعي بن عبد الله ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: **(أبى الله أن تجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سببٍ شرحاً، وجعل لكلّ شرحٍ علماً، وجعل لكلّ علمٍ باباً ناطقاً عرفه من عرفه وجهله من جهله ذاك رسول الله "صلى الله عليه وآله" ونحن)**.

ب. في الكافي ــ باب أن الأئمة (عليهم السلام) هم الهداة ــ عدة من أصحابنا عن الفضيل بن يسار قال: **سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: (ولكل قوم هاد) فقال: كلُّ إمامٍ هادٍ للقرن الذي هو فيهم.** وعن بريد العجلي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فقال: **(رسول الله "صلى الله عليه وآله" المنذر، ولكلّ زمانٍ منّا هادٍ**

يهديهم إلى ما جاء به نبيٌّ الله، ثم الهداة من بعده علي ثم الأوصياء واحد بعد واحد).

ج. رواية الوشاء عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: سمعته يقول: قال علي بن الحسين (عليه السلام): على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا ما ليس علينا، أمرهم الله عز وجل أن يسألوا قال: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فأمرهم أن يسألونا، وليس علينا الجواب، إن شئنا أجبنا وإن شئنا أمسكنا.

د. وروى محمد بن يعقوب الكليني ورئيس الطائفة (قدس سرهما) بسندهما عن ضمرة بن أبي ضمرة، عن أبيه، عن جده قال قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أحكام المسلمين على ثلاثة: شهادة عادلة، أو يمين قاطعة، أو سنة ماضية من أئمة الهدى.

ه. في كتاب الكافي ــ في باب طلب الرئاسة ــ عن أبي حمزة الثمالي قال، قال أبو عبد الله (عليه السلام): إياك والرئاسة! وإياك أن تطأ أعقاب الرجال! قال قلت: جعلت فداك! أما الرئاسة فقد عرفتها، وأما أن أطأ أعقاب الرجال، فما ثلثا ما في يدي إلا مما وطئت أعقاب الرجال، فقال لي: ليس حيث تذهب، إياك أن تنصب رجلا دون الحجة فتصدّقه في كلِّ ما قال.

و. بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 2 ــ ص 234: (وما لم تجدوه في شئ من هذه الوجوه فردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا)

ز. بصائر الدرجات: محمد بن الحسين، عن صفوان، عن داود بن فرقد، عن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتدري بما أمروا؟ أمروا بمعرفتنا، والرد إلينا، والتسليم لنا.

ح. عن بن الطيار أنه عرض على أبي عبد الله عليه السلام بعض خطب أبيه حتى إذا بلغ موضعاً منها قال له: كف واسكت ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكف عنه والتثبت والرد إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى، ويعرفوكم فيه الحق، قال الله تعالى: فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

فنسأل أهل التجديد: ما تفعلون بهذه الأحاديث وغيرها مما يملأ موسوعات الحديث والتي هي حتماً في جلّها صحيحة وفق أيّة طرائق؟!.

هل تنبذونها كما تنبذون مخاطكم في الكناسات؟!

نعم.. قد نبذتموها ظهرياً:

(وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (هود: من الآية92)

سادساً: [أما المعارِضة منها للقرآن صريحاً فتُضرب كما أخبر المعصوم (ص) عرض الحائط ولا ضير، بل هو الواجب، ومخالفتها أولى من مخالفة كلام الله سبحانه] ص122

إنَّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام كلها، طالبت لا بمخالفة ما تعارض مع القرآن الكريم، بل بردّه إليهم أو تركه جانباً.. وتعبير (تُضرب عرض الحائط) يشير إلى أنها (أي الأحاديث المخالفة) لا يمكن الاستناد إلى ما هو خلافها، بل تترك وتُدَع على حالها. وعليه فلا معنى لقولهم (ومخالفتها أولى من مخالفة كلام الله سبحانه). وكلامنا هذا هو على فرض صحة أحاديث (عرض الحائط) أو (عرض الجدار)، وألاّ فهي غير موجودة في المجاميع الحديثية عموماً، وإن وجدت في متون التفسير، بل وإن وجدنا بعض المؤلفات تنسبها لكتاب أصول الكافي، لكنها ليست موجودة فيه على الإطلاق.

وفي معنى ما قلناه أحاديث شريفة منها:

[الكافي ــ الشيخ الكليني ــ ج 1 ــ ص 69

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه.**]

فهنا يطالبنا الإمام بترك كلّ حديث لا يوافق كتاب الله، وليس بمخالفته.

[وسائل الشيعة (آل البيت) ــ الحر العاملي ــ ج 27 ــ ص 112

عنه عن أحمد، عن علي بن الحكم، عن عبد الله بن بكير، عن رجل، عن أبي جعفر (عليه السلام) ــ في حديث ــ قال : **إذا جاءكم عنا حديث فوجدتم عليه شاهدا، أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به، وإلا فقفوا عنده، ثم ردوه إلينا، حتى يستبين لكم.]**

وهنا يطالبنا بالتوقف ثمّ الرد إليهم ليبينوا لنا، ولم يطالبنا بمخالفة حديثه وإن خالف القرآن.

سابعاً: [فكلّ أحاديث عرض الحديث على القرآن تبيّن أن القرآن معياري، قياسي له نظام محكم، واحد، ثابت، لا أنه متعدّد ومحتمل وحمّال ذو وجوه، ومبهم وغير قطعي الدلالة (كما يقولون)، وألاّ لما أصبح ميزاناً للعرض والقياس!...الخ] ص122

هذا الكلام صحيحٌ، وهو ناظرٌ إلى ما جاء به النيلي رحمه الله في آخر كتابه النظام القرآني من أدلةٍ حديثيةٍ وغير حديثيةٍ على النظام المحكم للقرآن الكريم ما عدا أنه بالفعل حمّال ذو وجوه. فالحقّ أنه كذلك. كلّ ما في الأمر أن هذه الوجوه إذ تتعدّد فلا تتناقض ولا تتخالف بل سائرة في مصاديقَ متعاضدةٍ، وماضية إلى أعماقٍ ذاتِ بعدٍ تراكميٍّ متّصلٍ. المشكلة فقط هي في من جَعَلَ من تلك الوجوه جملةً من التناقضات لأهدافٍ ذاتيةٍ بعدما أعلن للناس أنه المسئول عن هذا الكتاب، وبعدما قدّمه هو بنفسه للناس بعد التصرّف فيه وإخفاء نظامه الجلي، ورفض أن يخرج هذا الكتاب بتنزيله وتأويله مِنْ عندِ مَنْ آمنه الرسول (ص) عليه وهو الوصي عليه السلام. ولأن الإقتداء بمن هو مثل هؤلاء الذاتيين الأوائل باعتبارهم من الصحابة الأكتعين الأبصعين هو أمرٌ واجبٌ ولازمٌ كما يقولُ أصحاب الملّة الأخرى فإنه من الطبيعي أن يمتد مثل هذا العمل إلى من تلاهم من (علماء المسلمين) فتكثر التناقضات حدّ ضياع الدلالات، وبالتالي اعتبرت ظنية الدلالة في النص القرآن حقيقةً لازمةً فتمّ بذلك إفراغه من مصدريته الإلهية ومن ثمّ إخراجه من الضمائر والصدور.

لكن هنا سؤال: ألا تلاحظون أن عبارتكم هذه تتناقض مع ما سبق وقلتموه في صفحة (14) من كتابكم هذا عن أنَّ الألفاظ المشتركة في القرآن تنزع إلى تعدّد الوجوه في المعنى بحكم دورها الفضفاض الحمال؟!!

ثامناً: [وهذا الحديث (أي حديث القرآن حمال ذو وجوه) هو بخلاف (لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة) ـ الزركشي، البرهان، ج2، ص208، فالوجوه الكثيرة هي التي يعمل بها القرآن في الأزمنة المتجددة، هي آيات تطوّر الإنسانية، آيات الاجتهاد والفقه في الحقول كلها] ص125

لدينا سؤال واحدٌ فقط: هو كيف علمتم أن الحديث الأول هو بخلاف الحديث الثاني؟ وما أدراكم أن الثاني هو حسبما وصفتم؟.. أنبأٌ جاءكمٌ من الغيب أم مجرّد كلامٍ يلقى على عواهنه؟!

الزركشي نفسه الذي جئتم بهذا الحديث من كتابه المذكور وفي نفس الصفحة يعطي تفسيراً آخر للحديث يقول فيه: (أي أن اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة، ولا يقتصر به على ذلك المعنى، بل يعلم أنه يصلح لهذا وذاك) ـ باب في اشتراك اللفظ بين حقيقتين أو بين حقيقة ومجاز.

نقول: بل الحديث بفرض صحّته جارٍ في مجرى الحديث الأول كما أوضحناه.. فلا هم أصابوا إذ لم يستدلوا بشيءٍ على كلامهم، ولا الزركشي أصابَ إذ جعل للفظ معاني متعدّدة على أنها حقائق أو حقائق ومجازات دون أن يحتمل في الحقائق المحمول عليها اللفظ أنها قد تتناقض.. بل تناقضها يحمل عنده على المجاز، فهكذا الحل!.

ومع ذلك فإننا عندما راجعنا مصدر هذا الحديث عن الوجوه الكثيرة، لم نجده مذكوراً في أيٍّ من المجاميع الحديثية الإسلامية كلها بصورته التي أوردها الزركشي!.. وأقدم مصدرٍ ذكره بهذه الصورة هو كتاب (المحرر الوجيز في تفسير

الكتاب العزيز) في جزئه الأول صفحة (41) لابن عطية الاندلسي المتوفي عام عام 546 للهجرة. نعم هو موجودٌ في المؤلفات المتأخرة لبعض المسلمين بعباراتٍ مختلفةٍ ولكن من دون إسناد!، أي هو مرسلٌ ولكن لا في المجاميع الحديثية بل في بعض التفاسير لمؤلفين متأخرين.. والظاهر أنهم جميعاً نقلوه من صاحب كتاب المحرر الوجيز الذي لم يسنده ولا ذكر مصدره!.

غير أن للحديث صورة أخرى هي: **(لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة، ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله، ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتاً من الناس)**. وهذه الصورة وجدناها في كتاب المصنف الجزء (11) صفحة (255) لعبد الرزاق الصنعاني المتوفي عام 211 للهجرة من طريق أبي الدرادء. ولم ينقله عنه أحد من أصحاب المجاميع الحديثية للمسلمين.

وقصدنا من هذا التفصيل هو أن نبيّن أن أهل التجديد يأتون للاستدلال في أقوالهم بأحاديث غير متفق عليها أصلاً. وكان عليهم أن يستدلوا بأحاديث مشهورة ولا خلاف فيها لا سنداً ولا متناً ولو عند إحدى الطائفتين.

تاسعاً: [بهذا، إذن، بعد عرض المرويات الصحيحة على القرآن لتُصدَّقَ به أو ألاَّ تعارضه، نوجّهها وجهاتها اللائقة بها وننزلها في مقامها المنضوي تحت لواء كلام الله المهيمن على كل شيء،..] ص125

وهنا نسأل: إذا كانت الأحاديث صحيحةً ابتداءً فما الحاجة لعرضها على كتاب الله؟!!..

وقد يستشكل القاريء علينا فيقول هم يقصدون بالصحيحة ما صحّ عند من سواهم من الرجاليين وأصحاب الجرح والتعديل.. أي ما صحّ سنداً!.

فنقول: فهذا يعني أنَّ الأحاديث الأخرى التي لم تصحّ سنداً لا حاجة لعرضها مهما كانت، فهذا يعني أن مستندهم الأول فيما هو صحيح أو غير صحيح هو الرجال، فهذا يعني أنهم يخالفون روايات العرض على كتاب الله، فهذا يعني أنهم

يناقضون أنفسهم بأنفسهم، فهذا يعني·· كفانا الله خوضاً في الهراء!· على أنهم لم يذكروا في قاعدتهم هذه أن الصحيح من الحديث هو ما صحّ سنده، وإنما ادّعوا أن الصحيح هو ما يتم عرضه على كتاب الله·· ولم يذكروا كيف يتمُّ العرض؟ وما الآليات المتبعة· فانظر بنفسك إلى لسانهم كيف يفضح حقيقة قلوبهم، وهذا طبيعي فالمرء مخبوء تحت طيات لسانه·

إنما لا بدّ لهم من آليةٍ محددةٍ لفرز الصحيح من غير الصحيح، فمن أين يأتون بها إذا كانت الأمور عندهم بهذا الخلط العجيب؟!

ثمَّ ما الحاجة للتوجيه (اللائق!) للأحاديث الشريفة من قبلهم بعد صحتها وتصديق القرآن لها؟!· أهو بابٌ خفيٌّ للتدخّل في الحديث الشريف حتى بعد تمام صحته والتصديق به لغرض التحكّم به وإقصاء ما لا يعجبهم منه بحجة أنه لا ينضوي تحت كلام الله؟!·

عاشراً: [إن الرواية كانت مزاوجة اجتهادية من المعصوم بين نوع "النص الالهي المفتوح" والواقع المعاش لالتماس تطبيق دوائي مناسب، أي تفعيل النص في الواقع المتاح وفق الأرضية المتوفرة (كما ضربنا أمثلة سابقاً في مسألة "الأهلة"] ص125

مزاوجة اجتهادية للمعصوم؟!!

فالمعصوم يجتهد؟!

المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وكلامه هو وحي يوحى، المعصوم الذي حذّر بنفسه من الاجتهاد إلاّ اجتهاد العبادة والطاعة· المعصوم الذي كلامه كله حقّ وصدقّ والذي لولا السماء لنفد ما عنده·· هذا المعصوم يجتهد؟!!

كذبتم وكذب كلُّ من ادّعى الاجتهاد منسوباً للمعصوم عليه السلام·· بل ما سمعنا من قال بأن النبي نفسه مجتهد فيما قال ويقول·· بل سمعنا قولاً زوراً أنه أقرّ بالاجتهاد لبعض صحابته، وعليه فلنا أن نجتهد نحن أيضاً طبقاً لهذا الإقرار!

ومع ذلك فلنفرض أن المعصوم يزاوج ويجتهد ويصدر من اجتهاده، فهل يكون لنا أن نقلّده في هذا· هل نحن في عصمةٍ كعصمته فيصدق اجتهادنا كما صدق اجتهاده؟· إنَّ فرضنا هذا هو بالطبع من باب المجادلة وألاَّ فلن ولن تجتمع العصمة مع الاجتهاد أبداً·· لأن العصمة تفترض علماً محيطاً تكون المقدمة والبرهان والنتيجة فيه تحت اطارٍ واحدٍ· عقل المعصوم لا يحتاج إلى أن تبرهن فيه النتائج، فكلُّ شيء فيه شاخصٌ، وبالتالي فهو لا يجتهد أبداً وألاَّ فما كان معصوماً· والغريب أنهم قد قالوا بأنَّ المعصوم لديه الحقيقة كاملة وعلمه مطلق كما في آخر موضوعهم هذا، ولكنه يحدّث الناس على قدر عقولهم· وهذا صحيح، لكن من الاجتراء الادعاء انطلاقاً من هذه المقدمة أن المرويات لا يمكن أن تتطاول على الزمن المتجددة حقائقه وعلومه وحاجاته، وأنَّ كثيرُ هذه المرويات ذات حقيقة زمانية نسبية، بحسب مصالح وعقول تلك الأزمنة، لأن معنى هذا هو عدم الحاجة لتلك المرويات مطلقاً على رغم صحتها بحجَّة نسبيتها·

إن الهدف من هذا الكلام هو من الخطورة بمكان وقد نوّهنا عنه، ألا وهو ضرب السنة في تنظيرنا لمشاكل عصرنا فلا يبقى لها أيُّ دورٍ· وإذا كان هناك دورٌ لها فمن خلال فلاتر عقولنا نحن· بمعنى أنَّ لنا أن نتصرّف بالسنة الشريفة بحجَّة مزاوجتها مع واقعنا المختلف عن واقع المعصومين عليهم السلام·

إنَّ هذه المرحلة من مصادرة كلام المعصوم (ع) لهي أخطر بكثير من تلك المرحلة التي تمّ فيها مصادرة مراد الله تحت ركام الاعتباط اللغوي، ومن تلك التي تمّ فيها التشريع مع الله تحت حجة القياس والرأي،· وهو هدفٌ تمَّ التنظير له من زمانٍ من قبل أحفاد السلف المناهض لأهل البيت (ع)·

ومكمن الخطورة هو في أنها تهدف إلى إحلال ذواتنا بعقولها الناقصة وتحت مظلة التجديد محل الإمام المعصوم (ع)· ومهمَّة هؤلاء هي في التأسيس لهذا التنظير داخل البيت الموالي تحت ستارٍ من دعوى التجديد الفارغة·· فلينتبه من له قلب أو ضمير·

حادي عشر: [أن تكون الآية أفادت مباحاً باطلاقها وعمومها، فقيّد المعصوم هذا الحلال حسب واقعه الظرفي أو حسب الواقع العلمي أو على خواص المؤمنين به طلباً لكمالهم أو بعضهم، فأفاد منعاً، أي "تحريماً" ظرفياً لا مطلقاً وعاماً حتى وإن امتدّت وجرت العادة الحسنة به، ..... وهذا الأمر يفهم أكثر بمطالعة بحث "الهجرة إلى القرآن"] ص126

يا هؤلاء!

أأنتم تعون ما تكتبون أم تهرفون بما لا تعرفون؟

بل تعون وعن سابقِ تصوّرٍ وتصميم!

ولكن تخفون!..

فمثل كلامكم هذا مع حسن الظنّ بكم يحتاج إلى أمثلةٍ ودلائل من واقع السنّة. وإحالتكم إلى بحث "الهجرة إلى القرآن" مجرّد كلامٍ فارغٍ يدلُّ على الضعف لا أكثر ولا أقلّ.

فهذا البحث المزعوم كما ألمحنا سابقاً غير موجود لا في سلسلة سراتكم ولا في موقعكم، ولا رأيناكم تحدّثتم عنه خارج أسواركم. فإن كانت لكم مثل هذه الهمّة في الانتحال والتدليس فليكن لكم شيٌ من شجاعةٍ في البيان. فأين هو هذا البيان عن الهجرة إلى القرآن؟!.. أحكرٌ على ثقاتكم ناقصي العقل والدين، أم تغريرٌ لناشئةٍ تريدونها في خدمة الشياطين؟!..

وهنا فإني أتحدّاكم أن تظهروا بحثكم هذا...

فأظهروه!.. أو فقد كان أجدر بكم صمتاً لا يريم!

ثاني عشر: [أن تكون الرواية جاءت وليدة تاريخيتها اللسانية (لغة محمد (ص)) لكن بلغة مرموزة ذات مكوّنٍ صحيحٍ لو تأوّلت، فلا تؤخذ على ظاهرها اللفظي المتبادر، مثل روايات الدجال والدابة والدخان ويأجوج ومأجوج، وكما ورد في الخبر القدسي المروي عنه (ص): (من أنَّ الملائكة سألوا ربّ العزة سبحانه: ربّنا، وسيدنا وخالقنا، سبحانك تنزّهت

أسمائك، وتقدّست صفاتك، قلت للسماوات والأرض: (ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين) (فصلت: 11)، فماذا لو لم تأتيا طائعتين؟ قال سبحانه: كنتُ أمرتُ دابةً من دوابي تلتقمهما معاً لقمةً واحدةً) ـ القرطبي، التفسير، ج15، ص344 (قريباً منه).]
ص(126_127)

من بديع تناقضاتكم أنّكم تتحدّثون عن الروايات وصحتها·· وبدون سابق إنذار تأتون بها حتى قبل الحكم عليها!، بل نقاشكم عنها يعني تسليمكم بصحّتها من رأس!

والأبدع أنها روايات لا توجد في صحاح المسلمين السنّة ولا في مرويات الشيعة، ولا في مستدركاتها، بل تأتون بها من متون قلةٍ من المفسرين السنّة تحديداً· الأمر الذي يعني أنها رواياتٌ مختلفٌ عليها أصلاً· فكيف تصحّ عندكم حتى تحملوها تلك المحامل المتتالية ومنها تأريخيتها اللسانية التي هي فكرة يروّج لها التجديد الأكاديمي الأركوني منذ الثمانينات؟· الحديث السابق عن الوجوه الكثيرة المتعدّدة أردتم توظيفه ليكون هو من هذا النمط ذي التأريخية اللسانية، والحديث الحالي عن الدابة اللاقمة للسماوات والأرض أيضاً من هذا النمط الذي لا ندري مصدره أيضاً وتمّ توظيفه من قبل التجديد بغرض الترويج لفكرة التاريخية اللسانية، والحديث التالي عن الذر والنسمة من هذا النمط أيضاً، بحثنا عنه فلم نجده أيضاً بصيغته هذه في أي مصدرٍ حديثيٍّ على الإطلاق· فهل لم تجدوا أحاديث غير هذه تنوّه عن ما تريدون التمثيل له من كلامكم في صحاح القوم ومتّفَقِ حديثهم كي لا نؤاخذكم بهكذا تناقضات؟

لنأت الآن إلى ما تقولوه عن منع الأخذ بالأحاديث على ظاهرها اللفظي المتبادر، فهذا صحيح· لكن المطلوب هو الآليات المطلوبة لفهم الحديث بعيداً عن هذا التبادر·· أينها عندكم؟!·· وكيف حكمتم أننا اليوم نفهم بسهولة أن الدابة هي ثقب أسود، وأن السماوات والأرض تشكل في أقصاها مجموعتنا الشمسية؟ ·· على أيّ أساسٍ فهمتم هذا؟!·

أيها السادة القراء: ·

هذا الحديث لن تجدوه إلاَّ في تفسير القرطبي المذكور، وهذا نقله عن الثعلبي المتوفي قبل القرطبي بحوالي مائتي سنة والذي لم يذكر من أين جاء بالحديث، بل قال (وبلغنا أن بعض الأنبياء قال يا ربّ لو أن السماوات والأرض لو قلتَ لهما أئتيا طوعاً أو كرهاً... إلى آخر الحديث) تفسير الثعلبي/ج8/ص288.. أما كيف بلغه فلا ندري!. توفي القرطبي في سنة 671 للهجرة.

صيغة الحديث الأصلية في تفسير القرطبي تختلف عن الصيغة التي جاء بها هؤلاء، ولا يشفع لهم قولهم (قريباً منه!)، فهذا نوعٌ من التصرّف المرفوض، وتفسير القرطبي موجودٌ ومشهود، ولا يعجزكم الوصول إليه والنقل عنه!. وهذه هي صيغته هناك:

[تفسير القرطبي ــ القرطبي ــ ج 15 ــ ص 344

وفي حديث: إن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب لو أن السماوات والأرض حين قلت لهما "ائتيا طوعا أو كرها" عصياك ما كنت صانعا بهما؟ قال كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما. قال: يا رب وأين تلك الدابة؟ قال: في مرج من مروجي. قال: يا رب وأين ذلك المرج؟ قال علم من علمي . ذكره الثعلبي]

فهل رأيتم أيها السادة كيف أن بضاعتهم خلت إلاَّ من حديثٍ ادّعوا هم روايته عن النبي (ص) مع أن المفسرين لم ينسبوه له؟.. ثمَّ يغيِّرون فيه عن سابق عمدٍ، إذ مثلاً أن السائل في نص الحديث هو موسى (ع)، لا الملائكة، وهذا فضلاً عن باقي التغييرات، ثمَّ بعد كلّ هذا يأتون للنقاش عنه ويستمدون منه أفكاراً هي من رائع حلم كاهنهم الكبير؟.

على أنَّ الشرح التجديدي يريد أن يقول لنا أنَّ من الممكن أن لا تأتي السماوات والأرض طائعتين، وعندها فسيعاقبهما الله بالدابة التي هي الثقب الأسود عندهم. وهذا بخلاف ما نقله الله تعالى عنهما. إذ بشهادته تعالى قالتا أنهما أتيتا طائعين. ومن شهد الله له فلا رادّ لشهادته سوى من هو مثل هؤلاء!.

وهنا لا بدَّ أن نسجّل الموقف القصدي من بعض الآيات القرآنيـــة والمرويـــات التي تتحدث عن الظواهر الكونية بالصورة التي نعاينها الآن· فمثلاً آية الرواسي فهم النيلي منها أنها تشير إلى الفيض المغناطيسي الأرضي، والروايات التي تتحدّث عن جبل قاف فهم منها أيضاً هذا ولكن كيف؟·· هل هكذا جزافاً أم باســتخدام الآليــات القصدية في تحليل النصوص وبكلِّ ما وسعه من دقةٍ، وبمنطقيةٍ قلَّ لمثلها نظيــر؟· فإن يشأ القاريء الكريم فليراجع النظام القرآني ففيه فصلٌ بكامله عن آية الرواســي مع الشروح والمخططات التوضيحية التي تثبت ما يذهب إليه النيلــي رحمــه الله· وكذلك فليذهب إلى كتاب ملحمة جلجامش والنص القرآني حيث فيه شرحٌ قــصديٌّ مستفيضٌ لحديث جبل قاف المروي عن أمير المؤمنين والذي حــاول المعاصــرون نبذه والسخرية منه·· ولسوف يدرك كم هو الفرق كبيرٌ بين قصديةٍ رائدةٍ لها آلياتها ووسائلها وبين قصدية منتحلةٍ ومفتراة مقصودٌ بها أكل الطين!·

لنتكلم الآن عن حديث الذرّ·· فقد قالوا:

[وكذلك يروى حديث عنه (ص) غير معروف المصدر، ناصحاً للوقاية من الأمراض: (اتقوا الذر فإنَّ فيه النسمة)، والذر هو الغبار؟ فما هو النسمة؟....الخ] ص127

هذا الحديث أيضاً لا يرد بهذه الصيغة، بل بصيغةٍ أخرى هي: (تنكبوا الغبــار، فإنه منه تكون النسمة) وأقدم مصدر ورد فيه هذا الحديث هو كتاب غريب الحــديث لابن قتيبة المتوفي سنة 276 للهجرة في الجزء الثاني ص(359)· ولم يــذكر ابــن قتيبة من أين أتى بهذا الحديث!، ومنه انتقل إلى باقي المؤلفات·

ومع هذا فإنهم قد قاموا بتحليل هذا الحديث، ربما نقلاً عن كتــاب (الإعجــاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية) لمؤلفه المعاصر محمد كامل عبد الــصمد الــذي أحالوا إليه في الهامش· وهذا يعني أنهم يؤمنون بصحة الحديث من رأسٍ ومن دون المرور بأي آليةٍ تبرّرُ لهم هذا الإيمان بصحته، الأمر الذي هو بخلاف أدعائهم مــن أنه يجب عرض الأحاديث (الصحيحة!) على كتاب الله قبل الأخذ بها!·

وفي آخر التحليل جاؤوا بنتيجةٍ من ضمن نتائجٍ عـدّةٍ تقـول: **(وهـذه التـسمية للميكروب بالنسمة هي أصح تسمية، و"النسمة" تطلق على أصغر كائن حي)!.**

فأولاً: من أطلق مصطلح النسمة على أصغر كائنٍ حيّ؟.. لا أحد سوى هؤلاء!

ثانياً: كيف صارت هذه التسمية أصحّ تسمية؟

ثالثاً: وكيف تبنى هذه النتائج على حديثٍ لا أصل له إلاّ في كيس ابن قتيبة؟

رابعاً: كيف يكون معنى الذرّ هو الغبار إذا كنتم ترفضون القـول بـالترادف؟، بل من قال أن الذرّ هو الغبار سواكم؟ من قال بذلك مِنْ مَنْ تـصفونهم بأصـحاب العلوم العربية الصحيحة؟.. لا أحد!. وليراجع من يشأ المعاجم ليتأكـد أن لا أحـد سوى ما في معجم تاج العروس لمحب الدين الواسطي الزبيدي في جزئه الـسادس الذي قال عند حديثه عن مادة (ذرر): [وقيل الذرة ليس لها وزن ويراد بها ما يـرى في شعاع الشمس، الداخل في النافذة] ولم يذكر من قال بذلك.. بل هكذا: قيل وقيل! علماً بأن الزبيدي متوفٍ في عام 1205 للهجرة، أي هو من المتأخرين، والمتأخرون دوماً يضعون من المعاني والألفاظ ما تولّد لاحقاً، أي عقب التسلّط الاعتباطي!

ثالث عشر: [إن الروايـة المفسّرة مـا هـي إلاّ انطبـاق أولـي وقـراءة أولى، أو تمثيـل تقريبي لتفسير الآية، سيما إن كانت من الآيات الـتي لا تتفسّر إلاّ بتقـدّم العـصر والعلـوم (الظرف الموصوف في القرآن بعبارة "يـوم يـأتي تأويلـه"، أو أنهـا انطبـاق لغـوي (محـاكي لغـوي) أي تمثيـل لتفـسير العبـارة وتقريبهـا، كالتفـسير الروائـي المتـضارب في "الـشفع والوتر".....الخ] ص128

نلفت القاريء الكريم إلى أمرٍ هامٍّ: فهؤلاء قد جاءوا بسبع نقاط لكيفية التعامـل مع الأحاديث الشريفة الصحيحة سلفاً، بعد عرضها على كتاب الله لتصديقها، وهـذه النقاط كلها هي احتمالات من عندهم بعدما جاء منهم التسليم بصحّتها نهائياً، حيـثُ قالوا: (فنحتمل بعد هذا التسليم:) ثمّ قاموا بتعداد احتمالاتهم.

فمن حقّنا أن نتسائل عن أصالة هذه الاحتمالات أزاء الأحاديث المفروغ من صحتها، ذلك أنّ الحديث إنْ صحَّ عن المعصوم (ص) فهو جارٍ في طول النصّ الإلهي، ومن كنهه.. فلا يجوز مطلقاً أن نحتمل منه كذا وكذا، علينا أن نتّخذَ الموقف منه طبقاً لتوجيه النصّ الإلهي نفسه، وطبقاً لتوجيه المعصوم عليه السلام.

والتفسير الروائي حينذاك لا يكون متضارباً، بل محمولاً على المصاديق التي يجمعها أمرٌ واحدٌ. وألاّ فهم عند حديثهم عن هذا التفسير الروائي المتضارب هل قاموا بتصحيح رواياته ابتداءً؟ هل عرضوها على كتاب الله؟ هل فهموا معاني الفاظها على الأصل حتى يسعهم البحث عن الأمر الجامع لكلِّ مصداقٍ منها؟..

لا شيء من هذا قد فعلوه.

لكننا حين البحث في التفاسير وجدنا أمراً: إن هذه المرويات بتلك المعاني ليست عن المعصومين (ع) بشكلٍ جازمٍ. فمثلاً ينسب الطبرسي القول بكون الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة إلى أبي جعفر والى أبي عبد الله عليهما السلام دون ذكر المصدر الروائي أو ذكر الرواية، بل قال: (وروي..).. كما أن القول بأنّ الشفع والوتر هما الأعداد الزوجية والفردية لا توجد رواية بمضمونه على الإطلاق لا من السنة ولا من الشيعة، وإنما هو قول المفسّرين المندرج تحت لفظ (قيل!)!!.. وهنا نقدّم لمحةً من تفسير الميزان تتراقصُ فيها (قيل) في جلِّ الأسطر:

[تفسير الميزان ــ السيد الطباطبائي ــ ج 20 ــ ص 286

في المجمع (يقصد مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي) في قوله تعالى: "والشفع والوتر"، وقيل: الشفع الخلق لأنه قال: "وخلقناكم أزواجا" والوتر الله تعالى، عن عطية العوفي وأبي صالح وابن عباس ومجاهد وهي رواية أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل: الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر وهي رواية عن ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة عن ابن عباس وعكرمة والضحاك، وهي رواية جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوجه فيه أن يوم النحر يشفع بيوم نفر بعده

ويتفرد يوم عرفة بالموقف، وقيل: الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

أقول (والقول لصاحب الميزان): الروايات الثلاث المشار إليها مروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طرق أهل السنة ويمكن الجمع بينها بأن المراد مطلق الشفع والوتر والروايات من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق.]

وهكذا فالمثال الذي جاء به هؤلاء للتدليل على احتمالهم هذا، هو مثالٌ غير موفّق.. لأنه لا يتحدّث عن مرويات صحيحةٍ تفسِّر بالتمثيل والمصداق، بل عن أقوالٍ للمفسّرين لا غير!.

بل أنَّ رواية ابن الحصين قد ضعفها بعض أهل السنة المعاصرين:

[ضعيف سنن الترمذي ــ محمد ناصر الألباني ــ ص 434

حدثنا أبو حفص عمرو بن علي. أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي، وأبو داود، قالا: أخبرنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن رجل من أهل البصرة، عن عمران بن حصين: أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر، قال: "هي الصلاة بعضها شفع، وبعضها وتر". (ضعيف الاسناد). هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة. وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة.]

فكيف نفسّر إذن هذه التناقضات العجيبة يا أهل التجديد:

تصحِّحون الرواية أولاً، ثمَّ تعرضونها على كتاب الله ثانياً، ثمَّ تسلمون لها ثالثاً، ثمَّ تحتملون لها وجوهاً رابعاً، وفي شرحكم للوجوه نجد الروايات: لا هي موجودةً أصلاً، ولا هي صحيحة أصلاً حتى عند طوائف العلماء الذين جاءوا بها، بل وتحرفونها عن صيغتها التي في الأصل!!.. فيا هلا!.

وليس هذا وحسب: بل هناك شيءٌ أخر في احتمالكم هذا: فأنتم تعتبرون أن تقدّم العصر والعلوم هو الظرف الموصوف في القرآن بعبارة "يوم يأتي تأويله"!

هيهات هيهات.. وأحمقٌ من يقول من عنده في كلام الله بلا دليل!

فهذا هو نصّ الآية التي اجتزئها هؤلاء لينطقوا عنها بكلِّ جرأةٍ ما لا تقول به!:

(وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأعراف: 52_53)

فهل ترون حسب الآية أن يوم تأويله متعلّقٌ بتقدّم العلوم أم متعلّقٌ بيوم آخر لا علاقة له بهذا التقدّم؟

نسأل أهل التجديد: ها نحن في عصر التقدّم.. فهل وجدنا فيه من الناسين من يطلب شفعاء؟، وما معنى طلبهم أن يردّوا ليعملوا غير الذي كانوا يعملوه؟، وما معنى كونهم قد خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون؟

وما بالكم لم ترجعوا للتفسير هذه المرّة ليشرح لكم كما في كلِّ مرّة؟!

لأنّ التفسير كله يقول أن هذا اليوم هو يوم البعث والنشور أو يوم القيامة.. وما يقول هذا إلاّ لأن الآية نفسها تصرّح به، فلا يحتاج الأمر حتى إلى المرويات!

طيب .. طيب.. فلنسلّم لما تقولوه: فما بالكم لم تأتونا بمصداقكم وتأويلكم لآيات الشفع والوتر؟ فها أنتم في خضمٍ من تقدّم وعلومٍ متقدّمة!.. وسنضمن لكم أننا سوف لن نصادر الآية بتفسيركم كما طلبتم!.

فما هذا الكلام؟ ما لكم لا تستندون إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام التي تشير إلى أن يوم التأويل هو يوم القائم (ع) حتى لو كانت هذه الأحاديث محتملة للضعف، بل حتى لو لم تكن موجودة في المجاميع الروائية للشيعة.. مثلما تحشون كتابكم بروايات من هذا القبيل تأتون بها من أوراق المخالفين، بمن فيهم النواصب الآثمين؟!

أما والله لقد أنبأ الله تعالى عن هو مثلكم فقال:

(وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(الأنعام:136)

وسيكون من أمركم ما لم تتوبوا هو ما قاله الله تعالى في أمثالكم:

(لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) (النحل:25)

رابع عشر: [إن الرواية المفسّرة جاءت بغرض استثارة العقول، تنحو بالناس للتفكير في كلام الله ومحاولة فكّ رموزه بمحاولات حسب أرضيتهم ومداركهم "تثير في الناس دفائن عقولهم" أي رواية تدريبية تفكيرية تُري الناس أن من واجبهم فهم كلام الله والاستفادة منه لا بالهوى ولكن رقياً علمياً، كتفسيرهم للكلمات التي تلقاها آدم فتاب عليه بروايات كثيرة منها "اللهم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين" وتفسيرهم إياها بغير ذلك، وهو أقرب للتفعيل الموعظي، وليس بتفسير.] ص129

ومرّةً أخرى يؤكّدون تناقضاتهم وبكلّ إصرار!

فلا توجد أي رواية منسوبة لأيٍّ معصوم بمن فيهم النبي (ص) تفسّر للكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام بما ذكروه.. لا توجد على الإطلاق.. لا في صحاح السنة ولا في مسانيدهم ولا في مرويات الشيعة.

فهذا الدعاء الذي ذكروه منسوبٌ لمجاهد عند أهل السنة. وهناك تفاسير جاءت بنفس مضمون هذا الدعاء مع اختلاف الصيغة منسوبةً لقتادة أو ابن زيد وليس منها واحداً مرفوعاً أو منسوباً للنبي (ص)، فهو ليس من المرويات أبداً.. وأول تفسيرٍ ذكرها هو تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري المتوفي عام 310 للهجرة. واعتقد

أن مفسري الشيعة قد نقلوها عنه من مثل الطبرسي الذي جاء بعده وتوفي عام 548 للهجرة.

الطبرسي وحده في مجمع البيان من جاء بهذا التفسير قائلاً بأنه مروي عن أبي جعفر الباقر دون ذكر الرواية ولا مصدرها!.

وهكذا بان أن هؤلاء التجديديين من النوع الذي قال الله تعالى فيهم: يقولون ما لا يفعلون!.. وذلك لأنهم يمثلون لأقوالهم بروايات لا أصل لها وهو الأمر الذي بخلاف ادعائهم بأن لا بدّ من عرض الأحاديث الصحيحة على كتاب الله قبل العمل بها، وخاصةً إن كانت ذات مضامين عقائدية!

و.. سؤال: لماذا لم يورد هؤلاء التفسير الآخر المروي من طرق أهل السنة مرفوعاً إلى النبي (ص) من طريق ابن عباس وغيره والذي يشير إلى أن الكلمات المعنية هي أسماء مكرمة معظمة؟!.. وهو حديث مذكور في بعضٍ من الكتب السنية المهمة ومنها: شواهد التنزيل للحسكاني ج1 ص101، وأيضاً الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج1 ص61. ولم يضعّفه سوى من هو مثل ابن القيم الجوزي الناصبي المعروف الذي ظهر أنه أحد أستاذتكم يا عصبة التجديد.

وهذا الحديث هو كما في كتاب الدر المنثور:

[الدر المنثور ــ جلال الدين السيوطي ــ ج 1 ــ ص60 ــ 61

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال سأل بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليَّ فتاب عليه]

ومن يشأ التوسع فهناك الكثير من الأحاديث الأخرى التي تشير إلى هذا المعنى وخاصةً في كتب الشيعة مثل معاني الأخبار للشيخ الصدوق رحمه الله.

لذا فلنا الحقّ خالصاً بأن نصمكم بكلّ داهيةٍ، يا دعاة التجديد من طريق الـزور والترديد!

خامس عشر: [أن تكون الرواية توظيفاً للآية لا تفسيرية، توظّف الآية في إرشاد الناس إلى معنى عبادياً شعائري أو سلوكي أو عرفاني، لوجود محاكاة لفظية قريبة تحتمل هذا الحمل، مثلما وظّفوا "المغضوب عليهم ولا الضالين".... ففسّروا الآية حيناً باليهود والنصارى، لغرض مرحلي يرسى به قواعد الإيمان والعزة لا لتكون هي تفسير الآية.] ص129

من بين أبسط لوازم البحث العلمي: بسطُ الأدلّةِ واضحةً!.. وقد كان على جماعة التجديد المجيء بالأحاديث الشريفة التي توظّف هذه الآية، وذكر مصادرها.

فقد رأينا مثلاً أن الشيخ الطوسي رحمه الله (توفي عام460 هـ) قال إنّ جميع المفسرين من العام والخاص قالوا أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى. ولسنا ندري ما يقصد بالعام والخاص، فإن قصد أن العام ما هو عليه المخالفون ممن كان قبله، فإن جميع صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، ومستدركات صحاحهم لم تشرْ إلى هذا التوظيف مطلقاً، ولكن نعم.. وجدنا من المفسّرين ممن تقدّم على الشيخ الطوسي كالطبراني قد أورد رواية أو روايتين بهذا التوظيف مرويتين عن الزهري من طريق أبي ابن كعب. فراجع المعجم الأوسط الجزء السادس ص280، والطبراني توفي عام 360 للهجرة.

ونعم.. هناك رواية واحدة وقعنا عليها في مسند ابي داود الطيالسي المتوفي عام 204 للهجرة، وهي مذكورة في جامع الترمذي على ما يقول المفسر القرطبي، وهذا هو نصّها:

لمسند أبي داود الطيالسي ــ سليمان بن داود الطيالسي ــ ص 140

(حدثنا) أبو داود قال: حدثنا عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عمن سمع عدى بن حاتم يقول لما قدمت المدينة وقد كان يبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لأرجو ان يجعل الله يده في يدي قال: فانطلق بي إلى رحله وألقت لنا الجارية وسادة أو قال: بساطا فجلسنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتنكر ان يقال لا إله إلا الله فهل من إله غير الله قال: قلت لا قال: فتنكر ان يقال الله أكبر فهل من شيء أكبر من الله قال: قلت لا قال: فإن اليهود مغضوب عليهم والنصارى الضالين قال: قلت فإني مسلم قال: فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم استبشر واستنار لذلك]

لكن صاحب بحار الأنوار الشيخ المجلسي رحمه الله اعتبر أن روايتين من تلك التي تتحدّث عن هذا التوظيف من طرق الشيعة هما من شواذ الأخبار معللاً ذلك بما يلي:

[بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 24 ــ ص 20

تفسير علي بن إبراهيم: أبي عن حماد عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قرأ: (اهدنا الصراط المستقيم· صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين قال: المغضوب عليهم النصاب ، والضالين اليهود والنصارى·

تفسير علي بن إبراهيم: أبي عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: (غير المغضوب عليهم وغير الضالين) قال: المغضوب عليهم النصاب ، والضالين الشكاك الذين لا يعرفون الامام]

حيث ذكر في الهامش تعليقاً على الرواية الأولى ما يلي:

[هذه الرواية والتي بعدها من شواذ الأخبار، حيث تدلان على خلاف ما أجمع عليه الشيعة الإمامية من عدم تحريف في القرآن، وعلى ما في المصحف الشريف والروايات الكثيرة التي توافق المصحف، وما يقوى في نظري ان الإمام عليه السلام لم يرد ان الآية وردت بهذه الألفاظ بل أراد نقل المعنى فظن الراوي انه عليه السلام أراد اللفظ]·

وبعد فما الهدف من هذا التفصيل الذي جئنا به:

أولاً: لبيان الأسلوب الانتقائي لجماعة التجديد في اختيار الأحاديث الدالة على مرادها..

ثانياً: استنادهم إلى أحاديث غير متفق عليها لدى الفريقين.. ما يعني أنها فاقدة لشروط الصحّة عندهم.

ثالثاً: إظهار أن ما جاؤوا به من أحاديث هو بخلاف ما يفترض بهم أن يقوموا به طبقاً لقانونهم المذكور آنفاً عن عرض الروايات الصحيحة على القرآن الكريم لتصديقها أو معارضتها.. فلم نرهم فعلوا شيئاً من هذا.

رابعاً: كان على هؤلاء التفضل علينا بكيفية توظيف الآية في زماننا هذا، ماداموا قد جعلوا لأنفسهم حقّاً في فهم كتاب الله، بعيداً عن المعصوم عليه السلام. لكنهم لم يفعلوا!

خامساً: فلأنّ ما تحدّثَ به هؤلاء عن هذه الآية وتوظيفها يكاد يكون صورةً أخرى لما سبق وذكره المرحوم النيلي في كتابه طور الاستخلاف!.. مع الفارق الواضح في أن النيلي يرفض هذا النوع من التوظيف حتى لو كان مرحلياً، إذ في اليهود من كان مغضوباً عليه وضالاً، وفي النصارى، وكذلك في المسلمين. فليقرأ المنصف، وليحكم بنفسه إن كان هؤلاء يصدرون عن نفسٍ عالمةٍ أم نفسٍ منتحلةٍ تشوّه المقاصد؟:

[وزعم الاعتباط قائلاً: "والمغضوب عليهم هم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام" – التبيان للطوسي/45/1 ولم يردّ عليهم شيء ولا خالفهم بقول مع أن اللفظ واضح في العموم. فلم يقل (الذين غضب) عليهم بالماضي، بل (المغضوب عليهم) وهي صفة ملازمة، فما دام هناك دين فهناك أعداء له يحاربونه ويكونون من المغضوب عليهم. فلماذا يقتصر الأمر على اليهود وحدهم؟. ألا تشم رائحة النصرانية في هذا التفسير كما يشمها أنفي؟ ألا تشم رائحة النفاق في هذا التفسير كما أشمها؟. وقال بعضهم ان (الضالين) هم النصارى. فمن أين يأتون بمثل هذا التقسيم؟ ألم يلاحظوا أن في اليهود والنصارى من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً حسب النص القرآني:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:62)

يريد الاعتباط وهُوَ يكفر بيوم الدين ويقلب الأشياء، يُريد إخراج نفسه من الحدّين: حدّ المغضوب عليهم، وحدّ الضالين.

إن المجموعات في القرآن مقسمّة بخلاف ما يزعمه الاعتباط. فالمغضوب عليهم والضالين مجموعتان: قادة واتباع وهم في كلّ الملل. والذين آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحاً مجموعة أخرى، وهي مجموعة في كلّ الملل.

لقد فصلنا القول في المجموعات القرآنية في كتاب آخر من أجزاء النظام القرآني قد يأتي إذا شاء الله تعالى[1]. على أنك لو تتبعت لفظ الغضب لوجدت القرآن لا يقصر هذا اللفظ على اليهود، بل خاطب به المجموعة التي هي تحت اسم (المسلمين): قال تعالى:

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) (النساء:93)

أم يريد الاعتباط إخراج الذين قتلوا الصحابة في وقعة (الحرة) وفي (صفين) وفي (الجمل) وفي (كربلاء) من مجموعة المغضوب عليهم؟؟ فيخرج بذلك كلّ من قتل مؤمناً متعمداً إلى يوم الدّين!.

لم يكتف الاعتباط بذلك فقد اخرج بهذا التفسير مجموعة كانت مع النبي (ص) وكانت تؤذيه وأكدّ النص الله غضب عليها:

(وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)

(الفتح:6)

وبصفة عامة فان منهجنا لا يلتقي مع الاعتباط اللغوي في أي شيء يذكر.] نقلاً من آخر صفحة من كتاب الطور للمرحوم النيلي.

---

[1] هو كتاب (نظام المجموعات) الذي لمّا يطبع بعد رسمياً، وإن كان منشوراً عبر وسائل أخرى.

سادس عشر: [فالنتيجة، أن ما بين أيدينا من مرويات لا يُمكن لها أن تتطاول على الزمن المتجدّدة حقائقه وأوضاعه وعلومه وحاجاته، كثيرُها إذن ذو حقيقة زمانيةٍ نسبيةٍ، بحسب مصالح وعقول تلك الأزمنة لا بحسب عقولنا،..] ص130

نقلتُ هذه الفقرة لأريكم أيّةَ نفسيّةٍ تجديدية هذه التي تتعامل مع الحديث الشريف، وإنها لنفسيةُ كرهٍ وبغض!

وألاَّ فهل وجدنا محبّاً للمعصومين عليهم السلام، وهو يصف حديثهم بالتطاول؟!

إنَّ الأحاديث الشريفة لا تتطاول·· بل هي قد جرت وتجري وستبقى تجري مع الزمان كما هو القرآن من حيثُ أنهما قرينان لا يفترقان!· ولا أحد قال أو ادّعى بتطاول الحديث على الظروف المتجددة إلاَّ أن يكون عدوّاً له· بل المعلوم أن الأحاديث لها مفاهيمها العامة التي يتجدد مصداقها عبر الزمان إلاَّ ما كان صريحاً في قضيةٍ موضوعيةٍ بعينها تتطلّبُ فهمها في ظروفها· كما وأنَّ عقولنا وعقول الأولين واحدة لا فرق بينها·· إنما الفرق في ما لدينا من معارف تختلف عنهم· والمفروض أن نستغلّ هذه المعارف في فهم الحديث الشريف والبحث عن مغزاه العام، تماماً مثلما علينا أن نوظفها لفهم أكبرٍ للنص القرآني·

فنسأل: لماذا لا تؤلفون كتاباً آخر بعنوان مفاتح الحديث والعقل؟ ذلك لأن الحديث بعد فرض صحته ابتداءً وتصديق القرآن له من ثمّ ينبغي أن يكون جارٍ ضمن حقائق القرآن أو مفتاحاً من مفاتيح التفسير، وبالتالي فهو ذو نظامٍ متسّقٍ مع نظام القرآن·

لكنّكم لا تفعلون!

ونعلمُ لماذا؟

لأنكم تريدون فهماً آخر لهذا القرآن عبر فهمٍ ذاتي انتقائي مسقّطٍ عليه وعلى الحديث الشريف، وبحجة المعاصرة والتجديد·· فهذا هو غرضكم الحقيقي، وهو مكشوفٌ لكلِّ من لم يُعْمِ الله قلبه بكم·

سابع عشر: [أما الثوابت من قيم وأخلاق وعبادات وأصول عقائد ظاهرة أو النبوءات الصحيحة، فعقل الأجيال مذ لدن الخاتم محمد (ص) حتى يومنا هذا فيه سواء، والمصلحة فيها ثابتة على نسقها وأصولها] ص130

هذا كلامٌ هراءٌ، وعكس الواقع تماماً.. ولو كان الأمر كما تقولون لما رأينا من نكد الدنيا كلّ هذا البلاء على المسلمين!

إذ متى ثبت عقل الاجيال على قيمةٍ واحدةٍ من تلك القيم أو تلك الاخلاق أو تلك العبادات أو تلك العقائد..؟

فها هم المسلمون مختلفون في كلِّ شيء إلاَّ في اللمم القليل. وها هي المصالح بينهم تتضارب حدّ إزهاق ملايين النفوس التي تقوم الليل والنهار!، بل ها أنتم تشتكون من أمتكم اللاغية فوق القرآن.. وأقول: ما كان لكم ذلك لو كنتم وإياها على عقلٍ واحدٍ في كلِّ ما ذكرتم.. ولكن...!

ثمَّ ما تلك النبوءات الصحيحة التي في الأحاديث الشريفة؟

وكيف تكون صحيحة قبل تحقّقها؟

بل كيف تضمنون لنا كونها صحيحة أصلاً، وأنتم خلوٌّ من آليةٍ معتمدةٍ لضبط الصحيح من السقيم كما بيّنا فيما سلف؟

أسئلة وأسئلة وأسئلة.. تتجمّع لتشكّل في الأخير فضيحةً فكريةً تظهرُ أنه انتحالٌ وتشويه وتخريف كلُّه موجّهٌ لأهدافٍ كبرىً مبيّتةٍ.. لا غير!

حول الفصل الثاني

نزهة سريعة عبر أشواك التجديد

معطيات ضياع لا معطيات ارشاد

في المطلق والنسبي:

[فهمنا نسبي، والقرآن مطلق، ولكن فيما تتناوله مداركنا ويفي بحاجاتنا. كلام الله يدور مدار الحق المطلق من أجل تعريف الإنسان وبلوغه في الدنيا، فما كان من علم خارج مدركاتنا ولا يمكن للبشرية الوصول إليه فلا ينبغي الزعم بوجوده في كتاب الله تعالى المنزّه عن العبث، لأنه بيان أولاً ومنزّل إلينا ثانياً، فحيثما أحال مفسّر ما على الغيب والجهل باقتناص المعنى (كالساعة، والدابة، والدخان، ويأجوج، وذي القرنين، والحروف المقطعة في أوائل السور)، فإن ذلك لا لأجل غيبة العلم ومكنونيته واحتجابه، بل لقصر باع الباحث وتخلف عصره المفضي لقصورنا المعرفي الزماني وعوز الأداة ـ أو المرشد الرباني ـ في فهم النظام القرآني...الخ] ص(132_133)

تعليق: إذا كان الأمر كما يقولون، فليس لأحد أن يزعم بوجود ما يجري في يوم القيامة في كتاب الله، ولا ما جرى في الملأ الأعلى من حوارات، ولا ما جرى من وقائع ذكرها القرآن الكريم عن الأنبياء والرسل وحال أقوامهم معهم،.. لأنَّ هذا كلّه خارج مدركاتنا!.. وإذن فهذا حديثٌ هراءٌ تكذّبه عشرات الآيات!.

ولا ندري بعد ذلك هل القرآن الكريم هو بيانٌ منزّلٌ إلينا فعلاً؟.. بيانٌ لأيِّ شيءٍ؟.. لأمورٍ يزعمون عدم وجودها، بحجّة عدم إدراكها؟!.. إذن كيف يصحُّ أن يبيّن ما لا وجود له؟!.. أم الصحيح أن عدم إدراكنا هو الذي تطلّب نزول البيان إلينا؟!

فبربّكم أيها القرّاء.. هل تتحمّلُ عقولكم هذا الشقاق البعيد؟!

وتحن نؤمن أنَّ النصَّ الشريف في خفاءٍ بسبب تعدّي من ليس من أهله عليه· وإذا افترضنا وجود أداة لكشف نظامه ووقعنا على شيءٍ منها، وقمنا باستخدامها فهي لا تكشف لنا عن كلّ حقائقه: أولاً: لأن حقائقه تتصل بمعطياتٍ كثيرة تتعلّق بها كونه نصاً مطلقاً، وثانياً: أن الأداة وطريقة استخدامها تتطلّب احاطةً مطلقةً بها ليست عندنا· ولهذا فاستنادنا إلى جزءٍ من الكشف الصحيح كافٍ فقط للتدليل على صحة النظام القرآني وإحكامه ودقته اللامتناهية، وهذا بدوره يحيلنا إلى الايمان بأن هناك من يمتلك احاطةً مطلقةً بهذا النظام وكيفية التعامل معه، وهو المرشد الرباني الذي لن يكون سوى المعصوم عليه السلام·

فالحق أن الأصل في الموضوع هو أن النص محتجبٌ بسبب هجره ومنع قرينه من إظهار حقائقه·· وهي حقيقة أشار إليها القرآن نفسه:

(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) (الفرقان:30)

ومن هنا تظهر أهمية السؤال الذي طرحه هؤلاء عن علم المعصوم (ع) عندما قالوا في ص129:

[قطعاً للنزاع من أوله، هل أن المعصوم يتكلّم بعلم مطلق ام بحقيقة نسبية؟ أو هل انه يعرف الحقيقة في نفسه كاملةً أو يعرفها منقوصة؟ فلا يهمّ..!!!] ص129

فالحقّ أنه يهمّ جداً، لأن المعصوم (ع) إن لم يعرف الحقيقة كاملةً في كلام الله، فلن يكون معصوماً· العصمة تتطلّب أن لا ينقصه شيء، والله سبحانه قد فتح له الباب لكلّ ما قد ينقصه من علم· فمتى ما احتاج فإنه يزاد، ما يعني أن الحقيقة نصب عينيه متى شاء·· وفي هذا أحاديث شريفة منها:

1· بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 17 ــ ص 151

بصائر الدرجات: أحمد بن موسى، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن يوسف الابزاري، عن المفضل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ذات يوم: إن لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً قلت: زادك الله وما ذاك؟ قال: إنه إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش، ووافى الأئمة عليهم السلام معه، ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلمٍ مستفادٍ ولولا ذلك لنفد ما عندنا·

2. بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 17 ــ ص 152

بصائر الدرجات: محمد بن سعد، عن الحسن بن عبد الله بن جريش، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أرواحنا وأرواح النبيين توافي العرش كل ليلة جمعة، فتصبح الأوصياء وقد زيد في علمهم مثل جم الغفير من العلم.

3. بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 18 ــ ص 270

بصائر الدرجات: أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم الجوهري، عن علي عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إنا لنزاد في الليل والنهار ولو لم نزد لنفد ما عندنا: قال أبو بصير: جعلت فداك من يأتيكم به؟ قال: إنّ منّا من يعاين، وإنّ منّا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت، ومنّا من يسمع بإذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطشت، فقلت له من الذي يأتيكم بذلك؟ قال: خَلْقٌ لله أعظم من جبرئيل وميكائيل.

4. بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 22 ــ ص 552

الاختصاص، بصائر الدرجات: ابن عيسى، عن البزنطي، عن ثعلبة عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: لولا نزاد لأنفدنا، قال: قلت: تزادون شيئا لا يعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: إنه إذا كان ذلك عرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم على الأئمة ثم انتهى إلينا.

5. بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 26 ــ ص 91

بصائر الدرجات: عبد الله بن محمد عن محمد بن إبراهيم بن عمر عن بشر بن إبراهيم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كنت جالسا عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فقال: ما عندي فيها شئ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا الامام المفترض الطاعة سألتُهُ مسألةً فزعم أنه ليس عنده فيها شئ. فأصغى أبو عبد الله (عليه السلام) أذنه إلى الحائط كأن إنساناً يكلّمه فقال: أين السائل عن مسألة كذا وكذا؟ وكان الرجل قد جاور اسكُفَّة الباب قال: ها أنا ذا، فقال: القول فيها هكذا، ثم التفت إلي فقال: لولا نزاد لنفد ما عندنا.

بيان: الأسكُفَّة بالضم وتشديد الفاء: خشبة الباب التي يوطأ عليها .

6. بحار الأنوار ــ العلامة المجلسي ــ ج 26 ــ ص 91 ــ 92

بصائر الدرجات: عباد بن سليمان عن سعد بن سعد عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): لولا أنّا نزاد لنفد ما عندنا.

7- الاختصاص، بصائر الدرجات: موسى بن جعفر قال: وجدت بخط أبي يعني جعفر بن محمد بن عبد الله يرويه عن محمد بن عيسى الأشعري عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقلت: جعلت فداك سمعتك وأنت تقول غير مرَّةٍ: لولا أنَّا نزاد لأنفدنا، قال: أما الحلال والحرام فقد والله أنزله الله على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بكماله، وما يزاد الامام في حلالٍ ولا حرامٍ. قال: فقلت: فما هذه الزيادة؟ قال: في سائر الأشياء، سوى الحلال والحرام. قال: قلت: فتزادون شيئاً يخفى على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال: لا إنما يخرج الامر من عند الله فيأتي به الملك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول: يا محمد ربُّك يأمرك بكذا وكذا، فيقول: انطلق به إلى عليٍّ (عليه السلام) فيأتي علياً فيقول: انطلق به إلى الحسن فيقول: انطلق به إلى الحسين، فلم يزل هكذا ينطلق إلى واحدٍ بعد واحدٍ حتى يخرج إلينا. قلت: فتزادون شيئا لا يعلمه رسول الله؟ فقال: ويحك يجوز أن يعلم الامام شيئاً لم يعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والامام من قبله؟!!.

وهناك أحاديث غيرها تجري بهذا المعنى، ومنها ما يتعلَّق بما يُنزَّل إليهم عليهم السلام في ليالي القدر.. ومن يشأ النظر فيها فليراجعها في مظانِّها من كتب الحديث.

وإذن فلا علاقة للباحث ولا لقصر باعه أصلاً بقضية تفسير النص وتأويله، لأن التفسير ليس من وظيفته إلاَّ أن يكون معصوماً.

نعم العلاقة بين الباحث وبين قضية تفسير النصِّ هي من زاويةٍ أخرى، وهي أنَّه فقط يتلقَّى عن المفسِّر المعصوم للنصِّ وبقدرِ ما يسعه، ذلك لأنَّ القلوب أوعية وخيرها أوعاها كما قال أمير المؤمنين (ع).. وعلى هذا يتفاوت الباحثون في التلقي، وعلى هذا يحدِّد الإمام مقدار ما يكشفه من علمٍ مُكتنفٍ في كتاب الله تعالى، ولهذا أُمِرَت الناسُ بسؤال المعصوم عليه السلام دون أن يكون ملزماً بالجواب، لأنه يعلم من حالِ السائل أنه قد لا يتحمّل الجواب، وقد لا يتحمّل العلم.

[عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: سمعته يقول: قال علي بن الحسين (عليه السلام): على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا ما ليس علينا، أمرهم الله عز وجل أن يسألوا قال: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فأمرهم أن يسألونا، وليس علينا الجواب، إن شئنا أجبنا وإن شئنا أمسكنا.]

وقد ذكر الإمام علي (ع) الأسباب التي تحول دون البيان في كلِّ حالٍ في هـذا الحديث الشريف:

[من حديث عليٍّ عليه السلام لكميل بن زياد رحمه الله تعالى:

قال: آه آه إن ههنا علماً جمّاً لو أصبت له حملةً. وأشار بيده إلى صدره، ثم قال: اللهـم بلى قد أصبت لقناً غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بنعم الله على عبـاده، وبحججه على كتابه، أو معتد لأهل الحقِّ ينقدح الشك في قلبه بأوَّل عارضٍ من شـبهة، لاذا ولا ذاك، بل منهوماً باللذات، سلس القياد للشهوات، مغري بجمع الأموال والادخار، ليس مـن الدين في شئ، أقرب شبهاً بالبهائم السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلـى لـن تخلو الأرض من قائم لله بحجَّةٍ لكيلا تبطل حجج الله على عباده أولئـك هـم الأقلّـون عـدداً الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله دينه حتى يؤدونه إلى نظرائهم، ويزرعونه في قلـوب أشباههم (وفي رواية بهم يحفظ الله حججه) هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاسـتلانوا مـا استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبـدانٍ أرواحهـا معلَّقة بالمحل الاعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، ودعاته إلى دينه آه ثم آه وأشـوقاه إلـى رؤيتهم، واستغفر الله لي ولك إذا شئت فقم].

وهناك رواياتٌ تتحدّثُ عن هذه الأسباب في عدم البيان كاملاً اخترنا منها بعضاً من كثيرٍ استللناه من كتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الـصفار رحمـه الله المتوفي عام 290 للهجرة:

[حدثنا إبراهيم بن هاشم عن أبي عبد الله البرقي عن أبي سنان أو غيره يرفعه إلى أبـي عبد الله عليه السلام قال إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله الا صدور منيرة أو قلوب سليمة وأخلاق حسنة ان الله اخذ من شيعتنا الميثاق كما اخذ على بني آدم حيـث يقـول عز وجل وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفـسهم الـست بربكم قالوا بلى فمن وفا لنا وفا الله له بالجنة ومن أبغضنا ولم يؤد إلينا حقنا ففي النـار خالد مخلد]

[حدثنا عبد الله بن عامر عن البرقي عن الحسين بن عثمان عن محمد بن الفضيل عـن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال إن حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به الا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه للايمان فما عرفت قلـوبكم فخـذوه وما أنكرت قلوبكم فردوه إلينا.]

[بصائر الدرجات ــ محمد بن الحسن الصفار ــ ص 45

حدثنا عمران بن موسى عن محمد بن علي وغيره عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقه عن جعفر عن أبيه قال ذكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين عليه السلام فقال والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنُّكم بساير الخلق؟· إنَّ علْمَ العالم صَعْبٌ مستصعَبٌ لا يحتمله إلاَّ نبيٌّ مُرسَلٌ أو ملكٌ مقرَّبٌ أو عبدٌ مؤمنٌ امتحن اللهُ قلبه للايمان· قال وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت عليهم السلام فلذلك نسبه إلينا]

وهكذا فالأمر هو بخلاف ما يقوله هؤلاء تماماً!· وكلُّ غرضهم من كلامهم هذا هو مصادرة النصّ ليعمل طبقاً لعقولهم هم· فهي سرقة للنصّ الشريف لا تختلف بشيء عن سرقة كتاب الله من قبل المتأولين والمحرّفين·

وأخيراً·· انظر إلى قولهم:

[وسيأتي حينٌ ينكشفُ فيه القرآن بكلِّ مراده بحقائقه الدامغة الكاملة (يوم يأتي تأويله) (الأعراف: 53)، وإن محاولات الإنسان العلمية والتفسيرية والتأويلية المخلصة المتجردة توطيء بتراكمها لذلك البعيد المأمول] ص133

هل ترى بقولهم هذا أنهم يشيرون إلى يوم المهدي (ع)؟!

لا أبداً·· فمسألة كشف القرآن معلّقة على محاولات الإنسان المخلصة المتجرّدة لا غير!

وبالطبع فلا ندري متى ستبدأ هكذا محاولات بعدما رأينا كل هذا التوظيف المتعسّف للنص المقدّس من قبل الذوات التي اختلفت وتصارعت وتصارع أتباعها بما طبّق الخافقين··

أمّا أنها بدأت عبر جمعية التجديد·· فنصدّق!

الدهريون بعين الله:

[القصص القرآني ليس وصفاً وسرداً للحدث، بل حامل زمني مطلق لغايات. المبثوث من كلام الله سبحانه المضمَّن ألسنة البشر الماضين، أنبياء أو أعداء أو غير ذلك، فليس هو عينه نص كلامهم، لكنّه الوصف الحق كما لو كان المشهد ينطق لغةً، فقول الدهريين "إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع" صاغها الحق بأدلّ العبارات وأجزلها (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (الجاثية: 24)، لتعبّر بذلك عن كامل اعتقادهم بأبلغ بيان، وخلّد سبحانه قولهم وضمّنه كتابه المقدّس اعترافاً بالرأي الآخر وصيانةً لوجوده، وتعالياً منه عن الدحض إذ يقدّم حجة الخصم بأقوى بيانها، ثمّ ليعمَ ـ بصياغته البليغة هذه ـ كامل أصول العقيدة مهما نُظِّرَ لها زيد فيها على مر العصور، لئلا تتقزّم الآية فتعالج فقط عقيدة منقرضة لا شأن لنا بها...] ص(133_134)

هذا يعني أن الحوارات التي جرت في الملأ الأعلى لم يأت بها الله كما هي!.. فحواره تعالى مع آدم أو إبليس أو موسى عليه السلام هو مجرّد وصفٍ وليس حواراً حقيقياً!

لا أقلَّ من أن نعتقدهم قد شهدوا هذه الحورات بأنفسهم حتى نصدّقهم!

وألاَّ فعلى أي أساس جاء هذا القول منهم؟، وما المعطيات التي استندوا إليها لإثباته؟. ولقد كان خيراً لهم لو سكتوا عن ما لا علم لهم به بدلاً من أن يخرّصوا بآراءهم من تحت رداء الادعاء بالقصدية والنظام القرآني.

ثمَّ من الغريب أن يأتوا بمقولةٍ للدهريين لم تكن سوى من بنات زنادقة العصر الإسلامي، فيجعلوها من مقول الماضين. فهذه المقولة عن الأرحام التي تدفع والأرض التي تبلع لا وجود لها في ما كان قاله البشر الماضون، نعم هي من معتقدات الدهريين منهم جرت بصيغ وصور وعبارات مختلفة عبر الأزمنة والملل.. ولكنها بهذه الصيغة لن تجدها الا في بعض مؤلفات الاسلاميين المتأخرين مثل تكملة حاشية رد المختار ج2 لابن عابدين المتوفي حوالي 1306 للهجرة، والمنهاج الاسيوطي المتوفي في القران التاسع للهجرة في كتابه جواهر العقود.

فما على هؤلاء لو أتونا بمثالٍ مما قاله الأنبياء أو سواهم وصاغه الله على أنه وصفٌ لا حقيقةُ قولٍ منهم؟

ثمَّ انظر للتحكّم في كلام كتاب الله واجتزاء آياته عندما ادّعوا أن الله جاء بمقولة أهل الكفر صيانةً لرأيهم وعقيدتهم.. وهو تدليسٌ سيدفعون ثمنه باهضاً بعون الله. فالآية التي جاءوا بها ناقصةً تقول:

(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (الجاثية:24)

فهل ترى الله سبحانه قد خلّد قولهم اعترافاً منه برأيهم وصيانةً لوجوده؟!

فلماذا قال في ذيل الآية الذي لم يأت به التجديديون (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)؟!

أقول: لا عجب فهكذا يفعل التجديد.. عفواً التدليس.. عفواً التشويه.. والثمن مدفوع!

حكايات (قيل) عن القسم الإلهي:

[القسم الإلهي خطابٌ اتصالي مرتبطٌ بنا ولغاية لنا، متجانسٌ والسياق. لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه ـ كما قيل ـ وليس لخلقه أن يقسما إلاَّ به،..] ص135

من الذي قال بأنَّ لله أن يقسم بما شاء من خلقه؟

هل هذا من روايات المعصومين عليهم السلام؟!!

لكنَّ الله تعالى قد نفى القسم بما سواه في كلِّ الآيات التي ورد فيها لفظ (أقسم)؟!

فلماذا لم تعرضوا حكايات (قيل) على كتاب الله ما دام هو نظاماً محكماً وقوله الفصل؟!

وإذا كنتم تؤمنون أن لا ترادف في كتاب الله، فما هذا الخلط بين لفظ (القسم) والواو التي هي للقسم عندكم أيضاً؟

فراجع أخي القاريء كامل موضوعهم هذا ليتبين لك الحال واضحاً.

ظاهرٌ أنّكم وجدتم في ما كان قاله النيلي رحمه الله ما لا يشفي الغليل، فانتهزتموها فرصةً لإظهار تطبيقكم الذي هو بخلاف فكرة النظام تماماً، وكلُّ الذي جئتم به مجرّد إنشاءٍ معلومٍ عن علاقة المقسَم به بالمقسَم له الذي هو الإنسان في ثلاث فقرات طويلة وثقيلة ومتكرّرة المضمون!.

فلنترك القاريء مع هذه الفقرة من كتاب الطور المهدوي، وليقارنها بكلام هؤلاء حتى يرى التشويه في التطبيق:

[... ويبدأ ذلك بنفي القسم: "فلا اقسم بالخنسّ"، والذي يُسمّيه الاعتباط اللغوي بالقسم. ونحن سمّيناه (نفي القسم) لأن الله تعالى لا يجوز بحقه أن يقسم بشيء من خلقه، لأن القسم (براءة) من الأشياء واعتمادٌ على المقسم به بينما (الحلف) الذي يتحقق بالواو هُوَ ارتباط مع المحلوف به فيجوز بحقهِ تعالى.

أما المخلوق فيجوز له الحلف ولا يجوز القسم بغير الله لأنه لا يمكن أن يعتمد على غيره تعالى، وهو تفريق نفيس ذكرناه في كتاب (اللغة الموحّدة) وكتاب (النظام القرآني).

وتسمّي الواو عند الاعتباط بواو القسم بينما هي واو الحلف لأنها تخلو من لفظ (اقسم).

لذلك لم يرد في القرآن إلاّ نفي القسم من قبلهِ تعالى وهو اثنا عشر مورداً نفي فيها القسم جميعاً.

واليوم ونحن نكتب هذهِ السطور وجدنا من المأثور ما يؤيد ذلك في حديث عن الإمام علي (ع) هذا نصّه:

(محمد بن العباس قال حدثنا عبد الله بن العلا عن محمد بن الحسن بن شمون عن عثمان بن ابي شيبه عن الحسن بن عبد الله الارجاني عن سعد بن ظريف عن الأصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال سأل ابن الكواء عن قوله عز وجل فلا أقسم بالخنسّ الجوار الكنسّ قال (ع): ان الله لا يُقسم بشيء من خلقه...)[1].

أقول ذهل المؤلف لغلبة الاعتباط عليه فقال قبل الوصول إلى الحديث: (فلا أقسم أي أقسم) – تم ذكر الحديث بعد ذلك ولم يصحح ما ذكره آنفاً.

وقد تقول لماذا ينفي القسم؟ وما الغاية من ذلك؟

والجواب انه تعالى حينما يقول لا أقسم فأنه يريد منا أن نعلم انه لا يقسم بهذا الشيء. ومعنى ذلك انه لو كان يجوز بحقه أن يقسم شيء لأقسَم به لعظمته عنده لذلك قال في الواقعة:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (الواقعة: 75_76)

فإذا قلت: إذا كان القسم لا يجوز بحقه تعالى ولا يجوز للعبد أن يُقسم بغير الله فلمن هو قسَمٌ عظيم إذن؟

والجواب: ان تعظيم القسم لا علاقة له بوقوعه وجوازه أو عدمه؟

فهذا القسم لو كان يجوز فهو عظيم.. بيد انه لا يجوز. ألا ترى كيف تظهر هنا معادلة عجيبة غاية العجب، فانه يعظم لقسم بالشيء فمن جهة تظهر لك عظمته عند الله ومن جهة أخرى ان هذه العظمة لا قيمة لها أمام المطلق مهما بلغت! وإذن فتعظيمك للقسم والمقسم به على الفرض هو لتعظيم الله له فقط.

---

[1] البرهان في تفسير القرآن للمحدث الخبير السيد هاشم البحراني التوبلي ج4/التكوير – فلا اقسم – ج4.

فانه بهذا النفي وبهذا الاستعمال اللغوي حافظ على تعظيم الشيء مع عدم المساس بعظمة المطلق· أو حافظ على التعظيم المطلق لله مع تعظيم الشيء·

فانظر إذن إلى عظمة (الخنسّ الجوار الكُنّس) عند الله·]

وكذلك فقد جاء في كتاب الحل القصدي ما نصّه:

[إن الإجابة تضمنت الخلط الاعتباطي بين عبارة (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) وعبارة (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)· أما نحن فنفرق بين العبارتين: فالأولى في الحل القصدي (نفي القسم)، والثانية (إثبات الحلف)· وفي هذا الحلّ نفرّقُ بين القسم الذي يعني البراءة من الموجودات والاعتماد على المقسم به في مجابهة الفناء، وبين الحلف الذي يعني التحالف مع المحلوف به· فالأول لا يجوز بحق الخالق الموجد للأشياء، ولا يجوز للمخلوق القسم إلاّ بالخالق، بينما الثاني يجوز في حقّ الخالق والمخلوق، إذ يجوز لهما التحالف مع أيّ موجودٍ· وهو تفريقٌ نفيسٌ ومبحثٌ ظريفٌ لم يذكره أحدٌ قبل اليوم تجد تفصيله في كتاب اللغة الموحدة في بابي اللام والواو· وقد برهنا فيه أن القسم (براءة) و(اعتماد) على المقسَم به (براءة من الموجودات)، لذلك لم يجز القسم بغير الله· ولذلك أيضاً لا يجوز في حقّه تعالى أن يقسم، فقال (لا أقسم) في جميع الموارد القرآنية· فهو نفي حقيقي لا كما زعم الاعتباط أنه يفيد توكيد القسم!!] انظر: النموذج الرابع/(آيات القسم)/ كتاب الحل القصدي في مواجهة الاعتباطية·

تعتعة التجديد!:

[وحين يقسم سبحانه (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) (الطارق: 1)، فبين السماء والطارق وشيجة واقتران، تمتد لا بتكلّف وتعتعة بل بانسياب إلى المقسَم به مباشرةً وهو (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) (الطارق: 4)، "فالسماء والطارق والحافظ" أثافي لحن واحد هو "بيان الختام" ختام التجربة الإنسانية بطارق يطرق "السماء" فتتوقف دورة "الحافظ"] ص136

وفي الهامش من نفس الصفحة بخصوص بيان الختام يقولون:

[هذه لها اعتناء خاص في بحث آخر عن "الساعة"، تركناها للقاريء اللبيب يتدبرها في كتاب ربّه بما يفتح الله له وفق هذه القواعد]!!

السؤال هنا: بما أن البحث عن الساعة موجودٌ فلماذا إتعاب القاريء ليتدبّر وفق هذه القواعد؟!!

واضحٌ أنهم لو أظهروا هذا البحث للناس ونشروه لبان أنه نسخة طبقة الأصل، وهذه المرّة من كتاب طور الاستخلاف للمرحوم النيلي!..

فيا لقسوة أهل التجديد.. إذ لم يخافوا يوماً لهم فيه سوء الحساب!

أخي الكريم راجع الملاحق فستجد مزيد كلامٍ عن هذه النقطة: نقطة انتحال كتاب طور الاستخلاف، وسوف تجد هناك أن النيلي هو من انتحل منهم لا العكس!

حتى كلام الأنبياء بخلاف كلام الله!:

ادّعى التجديدُ أنّ النقل القرآني للخطاب غير الإلهي قد يكشف نسبية المعرفة وتطورها، لا الحقيقة المحضة. حتى لو كان هذا الخطاب للأنبياء. وضربوا مثلاً بقول نبي الله إبراهيم (ع) في ما أسموه بالتراتب (كوكباً، القمر، الشمس). وبعد التي واللتيا من المحتملات غير المنطقية خرجوا علينا بأن الترتيب الذي جاء به إبراهيم (ع) من الكوكب إلى القمر إلى الشمس هو ترتيب حقيقي وصحيح بظنّه طبقاً للمعرفة السائدة في زمانه. بينما الترتيب الصحيح علمياً هو (القمر، كوكباً، الشمس) سواء كان الترتيب حسب الحجم أو مسافة بُعْدٍ!!

هذا يعني أن النبي إبراهيم عليه السلام يقول بخلاف الواقع!

لكن هل الأمر كذلك حقّاً في الآيات التي جاءوا بها للوصول إلى هذه النتيجة؟

فإنّ إبراهيم (ع) لم يأت بهذا الترتيب استناداً إلى حقيقة الحجم أو المسافة، وإنما استناداً إلى ما رأى (من حيث توقيت الظهور ومن حيث الحجم الظاهري). فقد رأى الكوكب أولاً ثم القمر ثم الشمس.. رأى الكوكب صغيراً، ثم القمر أكبر منه فالشمس أكبر من كليهما. فهذا هو الاحتمال الوحيد الحقّ، وقد أقروا هم بذلك ابتداءً. فلا حاجة لتكلّف غيره من أجل إثبات نسبية المعرفة عند الأنبياء عليهم السلام.. تلك المعرفة التي قد تخالف واقع الحال كما يقولون.

وأكثر من ذلك وتحت ستار هذه النسبية يقرِّر جهابذة التجديد:

[إن قول البشر التاريخيين ذوي المعرفة النسبية مهما سموا، هو بخلاف قول العليم عزّ وجل الذي لا يمكن أن يطرأ عليه هذا الاحتمال بنسبية المعرفة وزيادتها وتطورها..] ص(139_140)

إذن فحتى قول الأنبياء الذين هم الأسمى، هو بخلاف قول الله؟!

والحجَّةُ في ذلك هو نسبية المعرفة عندهم وأنها معرفة السائد في زمانهم!

وهكذا فلنتوقّع أن محمّداً (ص) لا بدّ أن يكون كلامه بخلاف كلام الله..

إذن.. فعلى التجديد إنكار أن تكون هناك آية في كتاب الله هي هذه:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم:4)

أو هذه:

(قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (الأحقاف:9)

وألاَّ كيف يجوز للرسول قول ما يخالف كلام الله إن كان يتبع ما يوحى إليه منه تعالى؟

إن الغرض من هذا التنظير التجديدي ليس سوى الحلول محل السنة الشريفة لفهم القرآن بحجَّة أن معارفنا تفوق معارف الوسط السائد الذي ظهرت فيه.. وسبق ونوّهنا عن هذا قبلاً.

طيرٌ أعلمُ من النبي!:

[إن عدم اعتراض نبي الله سليمان ـ مثلاً ـ على تولي امرأة (بلقيس) مقاليد حكم بلادها، قد يغدوا معتمداً قوياً، لكنه ربما يُعبّر أيضاً عن فهمٍ نسبيٍّ أو عرف ظرفي، أو مجرّد تقبّل

خاصٍّ منه (ع) لا أنه يعبّر عن كشفٍ مرادٍ إلهي في مسألة تولي المرأة للولايات والمناصب على الذكور، هذا بخلاف عدم اعتراض الهدهد على هذا المشهد، هو أقوى في الكشف عن "الوقف الرباني"، إذ ليس للهداهد (إن كان الهدهد المقصود طيراً) ـ عدا فطرة التوحيد ـ مزاج خاص أو تحيّز عقيدي أو جنسي، أو تراكم معارف ونسبية حقائق وتطور أفهام!!]
ص141

صراحةً فإني مع هذه المقارنة العجيبة بين النبي الكريم سليمان وهذا الطير الذي هو من جنوده المسخرات له أراني محتاراً ماذا أقول؟

لكن يا دعاة التجديد إن كلامكم هذا يعني أنّ النبي سليمان عليه السلام ينطلقُ من مزاجٍ خاصٍّ يتقلّبُ بأحكامه يساراً ويميناً، ويعني أنه متحيّز عقائدي لا أنه صاحب رسالة ونبي معصوم، ويعني أنه عنصري يفرّق بين المرأة والرجل، وكلُّ هذا لأن مواقفه وأحكامه (قد) تغدوا مُعتمداً، لكنّها (ربما) تعبر عن فهم نسبي أو مرحلي؟!!

ألا بؤساً ثمَّ بؤساً لهذا التنظير الذي فاق تنظير كل طواغيت الفكر الكافر في آخر الزمان· ألا بؤساً لـ (قد) و(ربما) التجديديتين، فكم ارتكبتا من آثامٍ زينتها لهما الأحلام!

ومع ذلك فهنيئاً لنساء أمتنا فقد جاءهن الفتح وليتولين القيادة في بلادهنّ بتوقيع هذا الهدهد النبي (ع)· ولكن قبل هذا فعليهن بالمطالبة بمنصب سفيرات الإمام (ع) أسوة بكبير التجديد وأمثاله من الكشكول السفاري العجيب في بلاد الإسلام قاطبةً· ولتكن لأحلامهن قدر الاعتبار والمرجعية كما له!!

ختام الانتحالات:

[ثمَّ حين انفتحت العلوم ورأى البعض التناقُض صريحاً وكبيراً، أخذنا اللهاث وراء ما يكتشفه الغرب لنعيد اكتشافه وإمضاءه من القران العظيم، ما أدى مرة ثانية إلى كارثة أخرى، أولاً: خلط القرآن بالنظريات التي في مهبّ الإبطال في أية لحظة بأخرى أقوى

منها، وثانياً: تكريس نفس القواعد السابقة الموروثة في تأويل الآيات، فأصبح لها الآن داعماً علمياً وبرهاناً من الخارج، فكأنَّ المكتشفات التي حاولنا بعسرٍ تركيبها على آيات الله القرآنية لننطقها بها هي في الحقيقة ليست شهادة على أن القرآن كتاب الله، بمقدار ما هي شهادة على أن النظام المتبع والقواعد الحاكمة للقرآن ثبُت سلامتها! فلا غرو سنبقى وراء النظريات في أحسن حالاتنا، وسيظل القرآن دائماً ظهرياً، ولا نكارة بعد هذا من عزوف أجيال الأمة عن قرآنها ومصادرته عن وجدانها.

لقد التفت بعضُ عقلاء المسلمين إلى هذه الحالة المتخلفة، وتندروا بها قائلين لمَ لا نكتشف الحقيقة من القرآن قبل أن يكشفها العلم النظري والتجريبي؟ فهل القرآن هو "كتاب بصمة" يصادق على ما اكتشف فقط؟ أم هو هداية إلى هذه الكشوف؟ أليس من طريقة نعكس بها المسألة؟] ص153

هذا الكلام منتحلٌ من كتاب النظام القرآني.. فتفضل أخي القاريء واقرأ ما يلي من كتاب النظام لتقارن وتحكم بنفسك:

[ومع ذلك بقيَ رجال المشرق يركضون إلى القرآن كلَّما سمعوا بنظريةٍ علميةٍ حديثةٍ ليفتّشوا فيه عن تلك النظرية، وليكتبوا للقرآن (سبقاً علمياً). وقد نسوا أنَّهم يكتبون بذلك لأنفسهم (تأخّراً كشفياً) بشأن القرآن والعلم سويةً، حتى بات الأمر مثيراً للسخرية كقول القائل: لماذا لا يحدث ولا مرّة واحدة أن يكون اكتشاف العلماء للنظرية العلمية من القرآن سابقاً لعلماء الغرب باكتشافهم لها من الطبيعة؟ ولماذا يكتشفها علماؤنا دوماً من القرآن بعدما يكتشفها الغربيون من الطبيعة؟.]

مسك الختام:

لقد تبيّن بجلاءٍ تامٍّ أنَّ جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في البحرين قد انتحلت القصدية بعد تحويرها وتشويهها بمقاصد مسبقةٍ. وهذا وحدُه كافٍ للتشكيك بكافة النتائج التي انتهت إليها في كافة تطبيقاتها. وهي نتائجٌ مستلّةٌ أساساً من مؤلفاتٍ معلومةٍ أحدثت هزّةً في الأوساط الفكرية حال صدورها كمؤلفات كمال صليبي،

ومؤلفات د. عبد الصبور شاهين. وكلُّ ما في الأمر هو أنَّ تلك النتائج قد مـــرّرت عبر المنهجية القصدية لتأكيدها. فهذا هو كلُّ ما قامت به هذه الجمعية: انتحالٌ مـــن الجهتين: جهة المنهجية، وجهة التطبيقات وما تمخّضت عنه من نتائج.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل تعدّاه إلى تناقضاتٍ عديدة تتعلّقُ بالتطبيقـــات المستجدة لهذه الجمعية، فقد تبيّن تناقضها مع نفس المنهجية القصدية التـــي تـــزعم الرجوع إليها حتى مع تحويرها عن الأصل، وكذلك تبيّن اعتمادها على أمثلةٍ غيـــر علميةٍ بالمرَّة كما في إيرادها لأحاديث مشكوكةٍ أو غير موجودة أصلاً في المجاميع الحديثية.. وهو عملٌ بالضدِّ تماماً من القصدية القائمة على المنهجية العلمية اللازمة لكلِّ بحثٍ.

ويبقى سؤالٌ أخيرٌ:

لماذا هذا العمل من قبل هذه الجمعية؟

جوابه لا يعنينا على الإطلاق، لأنّه يتّصل بحقيقة التوجّه الفكري لهذه الجمعية. فواضحٌ لمن له خبرة بالواقع السياسي والاجتماعي لمملكة البحرين أنَّ هذه الجمعيـــة تعمل وفق أجندةٍ معيّنةٍ تتغيّر طبقاً لطبيعة الظروف المتاحة. إذ من المعلوم أنَّ جميع أقطاب هذه الجمعية وما يتصل بها من مؤسساتٍ أخرى كانوا منضوين فـــي إطـــار تنظيمٍ سرّيٍّ عُرِفَ في البحرين بجماعة السفارة التي يتزعمها المدعو عبد الوهـــاب البصري.

فهل أن هذه الجماعة قد وجدت في القصدية فرصتها الفكرية للتحوّل من العمل السري إلى العمل تحت واجهةٍ رسميةٍ؟!. في الملاحق سيجد القارىء الكريم إجابـــةً تحليليةً لهذا السؤال من قبل كاتبةٍ نذرت نفسها لفضح خفايا هـــذا التنظـــيم وحقيقـــة أهدافه وغاياته باعتباره جزئيةً ضمن اللعبـــة الكبـــرى للـــدول المتحكّمـــة بالعـــالم الإسلامي.

ونأملُ أننا قد أوضحنا في كتابنا هذا حقيقة الانتحال التجديدي بصورةٍ منطقيةٍ، وألقينا الحجّةَ واضحةً على كلِّ من انخدع بشعارات التجديد، فيكون الحذر منها ومن أمثالها واجباً على كلِّ مسلمٍ حرٍّ.

والحمد لله ربّ العالمين

الملاحق

الملحق (1)

نص المقال المنشور في جريدة الوقت البحرينية

الحلقة الأولى[1]

أهو مشروعكم المنتحل أم مشروعنا المنحول يا مولانا الشارقي؟

«الرابطة القصدية العراقية» تتهم «التجديد» بانتحال مشروع «عندما نطق السراة»

تمهيد من إدارة تحرير الجريدة:

ظهرت القصديةُ في تسعينات القرن الماضي في سلسلةٍ من المؤلفات الفكرية للباحث العراقي (عالم سبيط النيلي) الذي رحل العام 2000 عن ثلاثة وأربعين عاماً مخلِّفاً وراءه مشروعاً يحمل بعداً تنظيرياً وتطبيقياً عرف بـ (الفكر القصدي)، وقد جذب هذا المشروع له مجموعة من المريدين الذين كوّنوا فيما بعد (الرابطة القصدية).

يرتكز الفكر القصدي على نظرة جديدة لطبيعة اللغة وماهيتها. وقد بلورها في منتصف التسعينات في صورة نظرية متماسكة وصفها بأنها مفتاح الحل، وأسماها (نظرية اللغة الموحدة) والتي تقوم على قصدية الإشارة اللغوية وتضمنها الذاتي لمعناها الخاص بها، بمعنى أن لكلِّ صوت (حرف أولي) معنى محدَّداً يكتنفه ويسري معه عبر الألفاظ ومن ثم الجمل والعبارات. وفي كتابه (اللغة الموحدة) بأجزائه الثلاثة قام بعملٍ تأسيسيٍّ من أجل إثبات قصدية اللغة بعدما فنّد الطرح الذي ينظر إليها على أنها ذات جوهرٍ اعتباطيٍّ كيفيٍّ لا ضابط له من حيثُ ان الإشارة الصوتية لا معنى لها بحدِّ ذاتها.

---

[1] نشرت في العدد 96 - السبت 29 ربيع الثاني هـ - 27 مايو 2006م.

هذا الطرح الاعتباطي قد تركّز أساساً في مقولات، الأب الروحي للبنيوية ومؤسس ما يسمى بعلم الإشارات اللغوي السويسري الشهير فرديناند دي سوسير. هذا المقال الذي ننشره على حلقتين، ورد (الوقت) عبر أحد تلاميذ النيلي، وفيها يزعم أن مشروع ('عندما نطق السراة) مشروع منتحل من مشروع النيلي، ومشروع (عندما نطق السراة) أطلقته جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في سبتمبر/ أيلول، 2005 في عشرة كتب تقريباً، من دون أن يتضمن أي منها اسم أي مؤلف، فجميعها يحمل اسم الجمعية فقط.

نحن ننشر ما وردنا، ولجمعية التجديد الحقّ في أن ترد على ما يرد في هاتين الحلقتين:

نص المقال:

نشرت صحيفتكم الموقرة في العدد (79) الصادر يوم الثلثاء 9 مايو/ ايار 2006 لقاءً صحافياً مع رئيس جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية عيسى الشارقي في مملكة البحرين النبيلة كما هو مثبتٌ في موقعهم على شبكة الانترنت. ولما كان ردُّ هذه الجمعية المنشور في العدد (84) الصادر في تاريخ الاثنين 15 مايو/ ايار 2006 لم يشر إلى أيّما تصرّفٍ من قبل الصحيفة بمضمون اللقاء عدا الاعتراض على توقيت نشره، وأخذاً بحقنا في التعقيب الذي لا نشكُّ في حرص صحيفتكم المتزنة عليه نقول:

لم يكن مفاجئاً لنا ما جاء في هذا اللقاء من دعاوىً كبيرةٍ غير ذات أساسٍ ندّت عن لسان الشارقي بخصوص المنهجية الفكرية الجديدة التي ترتكز عليها جمعية التجديد.. ذلك أننا علمنا ومنذ مدّةٍ يسيرةٍ بالمشروع الذي تبنته هذه الجمعية والمسمى (عندما نطق السراة). وهو الآن عندنا بكل إصداراته تحت مجهر الفحص الذي أظهر تواً ما لا يمكن وصفه إلاّ بالعمل المؤسف الذي لا يكون.. عملٌ لم نجد له مثيلاً في عالم الفكر.. ونصرّح بهذا من دون مبالغةٍ. لقد قال الشارقي في اللقاء المذكور ما هذا نصه:

(في أحد الكتب التي صدرت ضمن مشروعنا للتجديد (مفاتح العقل والكتاب) وضعنا منطلقاتنا في فهمنا هذا للقرآن والقواعد التي وضعناها ليست كلها من ابتكارنا، ففيها ابداعات

ومفاهيم علماء مسلمين كبار· تلك الطريقة متعبة في البحث لكنها مثرية ومحفزة للعقل وتعتبر طريقة احترافية بمعنى الكلمة· ليس معنى هذا أننا استبعدنا تماماً كل تفسيرات ونظرات الآخرين إلى التراث الديني، ولكننا نفعل العقل في تناوله للبحث المذكور)·

الحقُّ نقول للشارقي ولجماعته، مع احترامنا الشخصي المسبق لهم: إنها ليست منطلقاتكم أبداً، فما هي من وضعكم أبداً·· والقواعد كلها ليست من ابتكاركم أبداً· بل مشروعكم في صيغته التأسيسية ليس مشروعكم أبداً· فعذراً الشارقي، لقد قمتم بالتي لا تكون وما لها مثيلٌ·· ذلك أننا ــ ومعنا كلُّ القراء ــ قد وصل إلى علمنا كثير من إشكالات السرقات الفكرية على مستوى المقالات أو البحوث أو في أقصى الأحوال المؤلفات·· فهذا أمرٌ معلومٌ وعاديٌّ جداً·· لكن أن يتجرأ أحدهم ويقوم بانتحال منهجيةٍ كاملةٍ فهذا هو المستحيل العاشر الذي ما كان ولن يكون· ولكنه قد تحقق للأسف الشديد·· ومن قِبَلِ من؟ من قبل جماعة الشارقي نفسه الذي يقول:

(اكتشف الجميع أننا لسنا أولئك الذين يدّعون علم الغيب والاتصال بالإمام الغائب، كما أشيع عنا في كل مكان، ولسنا ملائكة منزهين، نحن مثلكم يا قوم وما يهمنا يهمكم، وقولنا صواب وخطأ، ويمكن أن يكون متطرفاً أو معتدلاً، خذونا بأقوالنا وأفعالنا وليس بكلام الناس عنا)·

نعم·· فلستم ملائكةً يا أخانا، وقد لا تكونون تدّعون الغيب ولا الاتصال بالإمام الغائب كما اشتهر عنكم منذ سنوات· فنحن نصدّقُ هذا، ولكننا نأبى (كقصديين) أن نصدّق أنّكم مثل باقي الناس، وأنّكم ممن يهتمَّ لهم لوجه الله بعدما تبيّن لنا انتحالكم غير المبرّر للقصدية التي ظهرت في العراق منذ سنوات، وهو انتحالٌ لا نرى فيه سوى محاولة مقصود بها إضفاء صفة الابتكار التجديدي الذي لا ينكر على جمعيتكم ولأهدافٍ ليست هي التي تروجون لها، ولها تهتفون·· ونقول هذا بكلِّ تأكيدٍ·

وفوق هذا، فإن (قولكم) ليس في محكمةٍ تصوّبه أو تخطِّئه لتحكم عليه من ثمَّ بالأجر واحداً أو مضاعفاً من حيث إن قد نَزُهَت نياتكم، إنه في محكمة ضميرٍ تَعصفُ بكم غاضبةً'' انتحالٌ يا سادة·· أنتم منتحلون، وقولكم هو قولٌ منتحلٌ ليس سوى·

إعلانٌ ونداء:

أعلن لكم – وأتحمل مسؤوليتها من دون أدنى تـردّدٍ – أنَّ مـشروع جماعـة جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية الذي أعلن عنه من مدةٍ قصيرةٍ والمسمى (عنـدما نطق السراة) ليس هو سوى المشروع القصدي شاخصاً، وعلى جميع مستوياته سواء منها ما تعلّق بالأصول أم بالفروع بصرف النظر عن التطبيقات المختلفة والتوسّعات المخالفة فـي كثيـرٍ منهـا للمبـادئ القـصدية فـي تحليـل الـنصّ القرآنـي· وهذا المشروع قد ظهر في العراق نهاية التسعينات من القرن الماضـي علـى يـد المفكر العراقي الكبير عالم سبيط النيلي (رحمه الله) عبر كثير مـن المؤلفـات ذات الطابع الإثاري والرزين في الوقت ذاته· كما أعلنُ أن كتاب (مفاتح القرآن والعقـل) الصادر من جمعية التجديد في أسسه ليس سوى نسخة مشوهة تشويهاً يؤسف له من كتاب (النظام القرآني ــ مقدمة في المنهج اللفظي)، وهو أحـد الكتـب التأسيـسية للمشروع القصدي، والذي قمت شخصياً بإعداد طبعته الجديدة المصحَّحة الـصادرة عن دار المحجة البيضاء في بيروت العام 2005 متلافيا فيها أخطاء الطبعة الأولـى التي صدرت بشقٍّ الأنفس العام 1999 من عمان (الأردن) بجهدٍ مشكورٍ مـن أحـد الإخوة ممَّن كان وقتها هناك·· وقد احتوى كتاب (مفاتح القرآن والعقل) علـى كـلِّ القواعد التأسيسية للمنهج اللفظي القصدي المختص بكيفية التعامل مـع كتـاب الله أساساً، وكذلك احتوى ــ ومعه معظم المؤلفات المحسوبة على جمعيـة التجديـد ــ على كثيرٍ من التطبيقات المستجدة والناقدة المستلَّة من عموم مؤلفات المنهج القصدي التي يعلم عنها ــ ومنذ بضع سنواتٍ ــ كثيرٌ من أهل البحرين، ولا شكّ لنـا بعلـم الكوادر في جمعية التجديد بهذه المؤلفات التي أثارت الضمائر إلى تلمس دين الله من خلالِ تنظيرٍ مفارقٍ ومتميزٍ عن كلِّ تنظيرٍ آخر مهما كانـت مرجعيتـه المعرفيـة· وعليه، فقد كان لا بد مما ليس منه بدّ، كان علينا أن نتحمل مسؤوليتنا كقصديين من أجل كشف هذا العمل غير المسؤول لمنظري جمعية التجديد الذين تلبّسوا القـصدية على أنها من ابتكارهم ومن وافر تعبهم وتوظيفهم المحترف، ولم يقوموا ولو بمحاولةٍ واحدةٍ لنسبتها إلى صاحبها الأصلي أو الإشارة إليه ولو بشكلٍ عرضيٍّ في أيٍّ مـن مؤلفاتهم، ولا في أيٍّ من أنشطتهم الفكرية الأخرى·· فها نحن نعلنُ أن بحثاً موسـعاً قيد التأليف حالياً نثبتُ فيه إدعاءنا هذا بما لا يقبل مريةً ولا لبساً·· نثبتُ فيه أنه مـا من تخاطرٍ قد يكون فعل فعله فجاء هنا بما كان جاء به هناك، ولا من اجترارٍ مـن

التجديديين وافقَ القصدية على غير شعورٍ منهم، ولا من تناصٍ نَقَلَ الفكرة بصياغةٍ مختلفةٍ من قلم القصدية إلى أقلامهم· نثبتُ فيه أن التفسير الوحيد الممكن لهذا الانتحال هو التفسير المستحيل عند كل ما عداهم وهو فضلُ الإمام الغائب الذي كما وهب النيلي علماً فقد وهب أقطاب جماعة جمعية التجديد علماً ونصفاً!· نثبت فيه أن التفسير الممكن الوحيد هو التفسير المنطقي عند كلِّ الضمائر النزيهة التي ليس منها ضمائر (الملائكة غير النزيهين)، وهو أنه لم يكن سوى انتحالٍ لمنهجيةٍ معرفيةٍ قائمةٍ أصلاً، ولكن في بلدٍ آخر هو العراق·

فهنا نوجه نداءنا للفعاليات الثقافية والدينية كافة وكل المفكرين وعموم مثقفي البحرين الأباة ببذل قليلٍ من الجهد عبر قراءةٍ مركزةٍ لكلٍّ من كتابي (مفاتح القرآن والعقل) لجمعية التجديد و(النظام القرآني) للمرحوم النيلي للمقارنة بينهما وليحكموا ضمائرهم من ثمّ في صدق دعوانا هذه· فلا والله ما ثمة من فرقٍ إلاَّ التشويه وإلاَّ التخريب· بل نطالبهم بقراءةٍ مقارنةٍ وإن مجملةٍ بين منهجية التجديد الطارئة والمنهجية القصدية الأصيلة كي يروا بأمّ أعينهم حقيقة ما نقول·· ونحن إذا نطالبهم بهذا فكلنا ثقة بأن التضاد الفكري مع المنهجية القصدية لا يمنع الشرفاء من مساندتنا إن ثبت لهم حقّنا بما ندعيه· ثقةً منّا أنهم جميعاً يؤمنون بحقّ التعبير وإبداء الرأي للآخر، ويمنعون من مصادرة هكذا حقٍّ وخاصةً من خلال وسائل غير مقبولةٍ أخلاقياً كالاختلاس الفكري· وفي مقالنا هذا سنقدّمُ أمثلة واضحة على هذا الانتحال·

مثالٌ من الانتحال في الأسس:

إنَّ القصدية الأصيلة قامت على أسسٍ محدّدةٍ منها قصدية اللغة من خلال رفض الترادف والاشتراك وما يتبعهما من مجازٍ بأنواعه وكذلك رفض التقدير والحذف والتكرار والإبهام والإيهام في كتاب الله خصوصاً· وكذلك تتبدى هذه القصدية من خلال وضع آليةٍ لعائدية الضمائر التي تأخذ حيزاً واسعاً في فهم هذا الكتاب الشريف بهدف التحديد الدقيق لمراد المتكلّم عزَّ وجل· وأما في ما يخص اللغة جوهراً وأصلاً، فالقصدية تنظر إليها على أن جوهرها قصدٌ في قصدٍ سواء على مستوى التركيبات أم البنى التحتية الممثلة بالأصوات، وترفض النظرة الاعتباطية لهذا الجوهر، النظرة التي تقول كما جاء على لسان اللغوي السويسري الشهير دي

سوسير حيث قال: (لا يختلف اثنان إذن في الطبيعة الاعتباطية للإشارة) علم اللغة العام – ص87، ومعلومٌ أنَّ الصفة الاعتباطية للإشارة اللغوية هي المبدأ الأهم للدراسات اللغوية قبل دي سوسير وبعده. وفي هذا المعنى تمَّ تأليف كتاب (اللغة الموحدة) للنيلي والذي لمَّا يصدر رسمياً بعد وإن كان متداولاً عبر الإنترنت وعبر ثقافة الاستنساخ.

ومن أسس القصدية أيضاً هو: قصدية التاريخ والأساطير التي يمكن للقارئ بيان تنظيرها في كتابي (ملحمة جلجامش والنص القرآني) و(أصل الخلق بين الأنا وبين الولاية والتوحيد) للنيلي، رحمه الله.

وعلى ضوء هذا، فبإمكان القارئ أن يقارن بين هذه الأسس كما هي لدى القصدية وبينها كما هي لدى جماعة جمعية التجديد في مؤلفاتها ليجد أنها هي نفسها بلا مراء. وقد كان ليسأل عن الأسس المعرفية التي توصل على ضوئها التجديديون للقصدية، فلن يجد جواباً أبداً سوى الادعاء بأنهم قد صدروا عن أعمالٍ سابقةٍ لغيرهم دون الإشارة إلى هذه الأعمال ومدى صلتها بالقصدية التي نسبوها لهم. ولكن بعد اطلاعه على قصدية النيلي يدرك أن هذه من هذه بلا أدنى ريب.

مثالٌ عن الانتحال في القواعد:

فمثلاً: الترادف، لا شكَّ في أنَّ هناك من رفض وجوده لا في كتاب الله بل وفي اللغة بشكلٍ عام. ونعلم أن هناك التفسير البياني الذي من ضمن الداعين إليه عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، وهو التفسير القائم على إنكاره، ونعلم أن كاتباً مثل محمد شحرور قد ألف كتابه (الكتاب والقرآن ــ قراءة معاصرة) على أساسٍ من رفض الترادف في كتاب الله. ولكن أن يكون الترادف استناداً إلى قصدية اللغة فهذا ما لم نسمع به إلاَّ من خلال الفكر القصدي الذي جاء حديثاً. علماً أن هذا الفكر قد بنى أساس رفضه للترادف وأدوات البحث كافة عن قصد المتكلم انطلاقاً من إيمانه الجازم بقصدية الإشارة اللغوية، وتمكَّن من إعطاء تفسيرٍ مستجدٍّ لسبب حصول ظاهرة الترادف في اللغة وعلاقة هذه الظاهرة بالتطور أو التقهقر اللغويين وبنشوء

اللغات كافةً. وللمتخصصين أن يقيِّموا هذا التفسير ولو من خلال مناهجهم المغـــايرة للقصدية.

وهنا لنسأل جماعة جمعية التجديد: على أي أساسٍ بنيـــتم رفـــضكم للتـــرادف وربطتموه بقصدية اللسان العربي؟ ومَن مِنَ المنظرين من ربط بين القصدية اللغوية وبين إنكار الترادف سواكم وسوى النيلي رحمه الله؟ وإذن فمن أخذ مِنْ مَن؟ بل من منكما المنتحل؟ فهذا مثالٌ عن الانتحال في القواعد ويمكن للقارئ أن يقـــيس عليـــه باقي القواعد.

الحلقة الثانية[1]

في رد «القصدية» على مشروع «عندما نطق السراة»

أُبارِكُ لـ «التجديد» هدم المأثور.. إنما أسفي أن أُبارِكَ لمنتحلين!

الانتحال في التطبيقات:

الانتحال في التطبيقات هو ما سنبدأ به هذا الجزء، فقد لا يتضح بشكلٍ جليّ، لأننا لاحظنا أن جماعة جمعية التجديد في كتابهم (مفاتح القرآن والعقل) تحديداً يتجنبون التطبيق القصدي إلى تطبيقات أخرى. وربما جاءوا بالتطبيقات نفسها الموجودة في كتاب (النظام القرآني) مع إعطاء رؤية مختلفة لها، رؤية وجدناها لا تستقيم بحالٍ من الأحوال مع التأمل القصدي الصحيح. وهنا أمثلةٌ ثلاثةٌ، أحدها مستلٌ من البحث الذي نعمل عليه حالياً لكشف الانتحال:

مثال النبي نوح:

إذ بخصوص المجاز كتبنا ما يلي:

[لكننا لم نجد التجديديين قد وفقوا حتى في نقدهم للمجاز عبر بعض الأمثلة التي ساقوها. فمثلاً في آية (ولا يلِدوا إلَّا فَاجِراً كَفَّاراً) قالوا كما في ص22: (ولا يلِدوا إلَّا فَاجِراً كَفَّاراً) (نوح: 28)، أي سيؤول كافراً. التعليق: فكأنه نظر (أي مفسر الآية) إلى الولادة أنها انفصال الولد جنيناً أي الوضع، القرآن لم يقل "يضعوا كافراً" بل يلدوا التي تعني بروز الجيل الآخر، بدليل أننا نسأل الكبير من الذي ولدك؟ وقال نوح مستغفراً (ولوالدي)، بل إن القضية أعمق بكثير فإن الجيل الفاجر الذي عاصر نوحاً سيورث وعلى المستوى الجيني قبل التربوي قابلية الفجور في الجيل التالي، وهذا أمر ميدانه الكشف العلمي القابع في تخوم هذا اللفظ.

هنا.. أشك أن أي أحدٍ يقولُ لكم: (فهمتكم جداً يا سادة البيان، وإنَّكم لعلى حقٍّ)، ذلك لأنَّ:

1. كيف خمّنتم أنه ينظر للولادة على أنها الوضع لمجرد قوله أنه سيؤول كافراً؟

---

[1] نشرت في العدد 97 - الأحد 30 ربيع الثاني هـ - 28 مايو 2006م.

2. من أين لكم أن (يلدوا) تعني: بروز الجيل الآخر؟ وما علاقة سؤالنا للكبير (من الذي ولدك؟) وكذلك استغفار نوح والديه بقضية أن الولادة تعني بروز الجيل الآخر حتى يصبح السؤال وقول نوح دليلاً عليها؟

3. لكن الجيل الذي عاصر نوحاً فيه من آمن بنوحٍ، وعليه فلا يشمله التوريث الجيني ولا التربوي للفجور، فما تقولون؟

4. هلاَّ تفضلتم ببسط الميدان العلمي القابع في تخوم هذا اللفظ بدلاً من هذه الإحالة الخطابية التي تفصح عن عجز جليٍّ لهذا التحليل؟

فهذه أسئلة تقطع الطريق عليكم، وعلى تحليلكم العقلي الذي يسقط على الآية ما لا تشير إليه في عملٍ تلومون غيركم عليه بالادعاءات الفارغة التي لم تحسنوا دبجها بعد إذ لم تحسنوا فهم القصدية الحقّ التي تأبى إلاَّ أن تكون في عقولٍ خاضعةٍ وقلوبٍ زاهرةٍ... وأينكم منها؟

أيها القارئ... هذا نصٌ مما كتبناه رداً على أحد الحوزويين ممن طالبنا ببيان الموقف من هذه الآية التي ادّعى جرياً على مقولات الاعتباطيين أن فيها مجازاً، فقد قلنا:

(وأما بشأن المجاز في آية (ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفاراً) حيث تقول أن المولود حين يولد لا يكون فاجراً ولا كافراً ولكن قد يكون كذلك بعد الطفولة فلن أقول إلاّ أنها ما دأب عليها القوم في التدبّر الكيفي لكتاب الله.. يا أخي لقد فاتك أن الله تعالى قد قال ــ كما صرّح الأمام الصادق(ع) في إجابةٍ له عن هذه الآية ــ بشأن قوم نوح وفي مورد آخر (وأوحي إلى نوحٍ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون).

فهذا حكمٌ إلهي علِم نوحٌ (ع) على ضوئه حقيقة أولاد هؤلاء القوم وهي أنهم يولدون كفّاراً فجاراً مثلهم، ولذا فقد دعا عليهم بالفناء (وقال نوحٌ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا).

وما يلي جواب الأمام الصادق مستلاً من كتاب علل الشرائع في باب العلة التي من أجلها قال نوح (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا إلا فاجرا كفارا):

(حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال حدثنا محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن إسماعيل عن حنان بن سدير عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر (ع) ''أرأيت نوحا (ع) حين دعا على قومه فقال: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً'' قال (ع): علم أنه لا ينجب من بينهم أحد، قال: قلت، وكيف علم ذلك؟ قال: أوحى الله إليه أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء).]

وعلى ضوء هذا الفهم ينتفي المجاز في الآية المعنية من دون الحاجة إلى التعسّف التجديدي.

مثال التطابق والاستقلال:

وأما المثال الثاني في التطبيقات فهو إتيانهم لفقرتين هما مما جاء في كتاب (النظام القرآني) ثم قاموا بوضعهما في رأس كتابهم (مفاتح القرآن والعقل) في المقدمة، وسنثبتهما هنا لغرض المقارنة:

في أول مقدمة كتاب (مفاتح القرآن والعقل) تجد:

(بعد الإيمان بأن أي قيامة غالبة لا بد تنطلق من بطن ''كتاب الله'' بالسمع له، وأنها لن تكون إلاّ مع تجرّد الداعي لله، أي داعي النزاهة والإخلاص، ذلك أنّ الله قد صاغ كتابه وضمّنه جميع أسباب القوّة والغلبة والتمكن، فمن تمكّن من هذا الكتاب وكشف علومه تمكن من العالم، وتحاشياً أن يقع ''علم الكتاب'' في يد من ليس أهله، صاغه الله تعالى مقفلاً عن القلوب المريضة ومفتوحاً على القلوب الواعية فقط (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً)(فصلت: 44) لماذا؟ لأنه كتب فيه قوانين العلم وإكسير الحضارات، ونظم الكون ومناهج الحياة وأسباب الغلبة وتسخير القوى، ليكون الصالحون فقط قادرين على استنباطه والانتفاع بذلك فيكون التمكين الإلهي

لهم، فأسباب الرقي وكيفية وراثة الأرض والتمكن كتبت فيه وسُطرت في ثناياه وحُتِمَ التمكن لهم (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (الأنبياء:105).

قارن الفقرة السابقة ــ أخي القارئ ــ بما يلي مستلاً من كتاب (النظام القرآني):

[... وخلاصة هذا المبدأ هي في: أن أمرَ البحث في القرآن باعتباره نظاماً محكماً منوطٌ بقلب الباحث علاوةً على عقله. فمعارفُهُ محفوظةٌ ومحروسةٌ ذاتياً من داخله ولا يحصل عليها إلاّ من سلِمتْ سريرتهُ وصفا قلبُهُ وكتمَ علمُهُ عن غير مستحقّه. ويدلّ على المسألتين (أي النظام المُحكمُ يعملُ هادياً ومضلاً في آن واحد) قوله تعالى: (أأعجميٌّ وعربيٌّ قلْ هوَ للذين آمنوا هُدىً وشِفاءٌ والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقرٌ وهو عليهمْ عَمى) فصلت: 44] والنص مستلٌ من ص 36/ مبدأ العلو والشمول والحاكمية والامتناع/ ب. حكمه على العقائد.

وأيضاً قارن ــ أخي القارئ ــ مع هذا النص:

[ويرى المنهج أنَّ الخلاص من النظام الطبيعي ومساوئه وتغييره إلى نظامٍ أحسن يتمُّ عن طريق معرفة هذه الأطوار، والإيمان بها، والعمل في الطريق الموصل إليها من خلال فهم السنن والنواميس الكونية وهتك أسرار وثوابت النظام الطبيعي بعلمٍ يقينيٍّ حقيقيٍّ يتجاوز الظواهر الطبيعية واستغلال خصائصها لمعرفة القوى الفاعلة في هذه الظواهر والسيطرة عليها. إنَّ العلمَ الوحيدَ القادرَ على كشف ذلك وتنفيذ هذه المهمّة هو علم الكتاب، والطريق الوحيد الموصل إلى حقائق علم الكتاب هو اكتشاف نظامه الداخلي. والعقل الوحيد القادر على كشف هذا النظام هو عقل من (آتاه الله علم الكتاب)]. النظام القرآني ص(375 ــ 376)

فها هم أولاء أصحاب كتاب (مفاتح القرآن والعقل) ينتحلون فكرتين متباعدتين إحداهما في أول كتاب (النظام القرآني)، والأخرى في آخره، جامعين إيَّاهما في فقرةٍ واحدةٍ. ولا أحسبك ــ أخي القارئ ــ تجد اختلافاً بين الكتابين في عرض مضمون الفكرتين.. ثمَّ لتنصف مرّةً أخرى وتحكّم ضميرك: إن لم يكن هو انتحال فما يكون؟

مثال خلق آدم:

أما المثال الثالث من انتحال التطبيقات فهو ممّا جاء على لسان عيسى الشارقي نفسه بخصوص خلق آدم. فقد كان قال:

(انظر إلى كتابنا (خلق آدم) ستجد أننا نظرنا إلى هذا الموضوع بخلاف ما فهمه الآخرون عن هذا الخلق، والذي تبين حقيقة أنهم لم يفهموها وإنما نقلوا فهم التوراة للإسلام، تصور انهم نقلوا ما ذكرته التوراة نفسها دون تغيير . ومن هنا جاء اللبس في فهم خلق آدم عند كل الطوائف الإسلامية، بأنه جبل من طين، وهذا المعنى الظاهري لفهم خلق آدم، وأن الروح التي نفخت في آدم الطيني بعد ذلك هي التي جعلت منه إنساناً حياً، وظل هذا المفهوم للخلق البشري سارياً، بينما نحن نقول إن الحياة كروح موجودة كانت في كل الحيوانات قبل آدم، فإذن آدم كان حياً مثله مثل بقية المخلوقات التي نشأت قبله على الأرض، إنما نفخ الروح فيه المقصود بها أن الله جعله عاقلاً وليس بهيمياً. إذن آدم بهذا المعنى التجديدي للفهم السابق نقل نقلة عقلانية أي من حال إلى حال أخرى أكثر مدنية وإنسانية وحضارية وإبداعا).

الحقُّ أقولُ لكم: إنَّ هذا التصوّر الذي يتباهى به الشارقي عن خلق آدم صورة طبق الأصل تماماً عن التصوّر القصدي كما هو في كلٍّ من كتابي (طور الاستخلاف أو الطور المهدوي) و(أصل الخلق وأمر السجود بين الأنا وبين الولاية والتوحيد) للنيلي رحمه الله... هذه الفكرة منتحلةٌ بتمامها من هذين الكتابين، ويمكن للقارئ مراجعة هذين الكتابين ليتبين له ذلك جلياً.. لكننا لن نتركه هنا دون اقتباسٍ: فهذه فقرة كافية للمقارنة من كتاب طور الاستخلاف تقول:

(إن النظام اللفظي للقرآن يأبى أي ترتيب آخر، فإن نشوء النسل والذرية سبق وجود آدم (ع) وسبق قصة السجود وهذا يدّل على انه كائن ترقّى من أفراد من جنسه سبقوه في الخلق ومن ذلك قوله تعالى:

(الذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين، ثم سواهُ ونفخ فيه من روحه) السجدة/18..

إذن فالنسل والسلالة ومادة التناسل كانت موجودة كلها قبل التسوية وقبل النفخ، إذ فصلت أداة التراخي (ثم) بين تلك المراحل في الآية أما مزاعم الاعتباط إن آدم كان تمثالاً من طينٍ جامدٍ فلما نفخ فيه الروح قام حَيّاً على رجليه وأصبح كائناً فهو هُراءٌ وفهم قاصر جداً للمرويات وللقرآن تكذبّه جميع التفاصيل الأخرى. فماذا يفعل الاعتباط في مثل هذه الآية؟).

والتفاصيل الأخرى التي يتحدث عنها النيلي تجدها في كتابه الآخر (أصل الخلق وأمر السجود بين الأنا وبين الولاية والتوحيد) فراجع أخي القارئ.

الانتحال في عموم مؤلفات التجديد:

على أن الانتحال في المؤلفات الأخرى لجماعة جمعية التجديد مما لم يتسع المجال لنا بعد لدراسته، ولكن حسبك أن ترى عناوين بعض هذه المؤلفات لتجد من خلالها أنها طبق الأصل من عناوين وأفكار المؤلفات القصدية: مفاتح القرآن والعقل..... انتحالٌ معمّقٌ لكتاب النظام القرآني ــ مقدمة في المنهج اللفظي للسيد عالم سبيط النيلي، رحمه الله. وعصى آدم.. الحقيقة دون قناع... انتحال مع التوسع لما ورد في كلٍّ من كتابيْ طور الاستخلاف وأصل الخلق وأمر السجود بين الأنا وبيان الولاية والتوحيد للمؤلف نفسه. طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام..... انتحالٌ مع التوسع أيضاً لكتابي (ملحمة جلجامش والنص القرآني) و(وأصل الخلق وأمر السجود بين الأنا وبين الولاية والتوحيد) للمؤلف نفسه. التوحيد عقيدة الأمة منذ آدم.. فكرة الكتاب منتحلة من (ملحمة جلجامش والنص القرآني). ولا زلنا في قراءة لباقي المؤلفات التجديدية التي ما تفتأ تنهال علينا بحمّى الانتحال.

حقيقة المصادر المعرفية للتجديد:

واستباقاً منّا لما قد يدّعيه هؤلاء عن مصادرهم المعرفية التي أقاموا عليها صرح تجديدهم فإننا نقول إنه مهما اتصلت تلك المصادر بمؤلفاتٍ لقدامى أو معاصرين فإنها تبقى في مجملها صورة طبق الأصل للقصدية غير أنها ثقيلة التشويه.. فلا يشفع لهم أن يقولوا مثلاً إننا استللنا تجديدنا من مقولات محمد شحرور او كامل صليبي أو خزعل الماجدي أو غيرهم من المعاصرين ذلك لأنه استلالٌ في التطبيقات التي يمكن البحث فيها لمن يتمكّن من أدوات القصدية ومنهجها، ليتوصل من خلالها إلى نتائج تقترب أو تبتعد عن الواقع حسب درجة تمكنه وحسب ما لديه

من معطيات.. ونحن إنما نتهم هؤلاء بسرقة هذه الادوات نفسها بما فيها من أسسٍ وقواعد، مثلما نتهمهم بسرقة عدد غير يسيرٍ من التطبيقات الفرعية.

يقول الشارقي:

(المشروع بدأه علماء متخصصون قبلنا، ولكنه كان مبعثراً ومهملاً، وما دورنا إلا إحياء تلك الأفكار الجرينة والتنويرية والفكر المجدد، وهي إعادة تركيب قطع "الليغو" البحثية).

لكننا نسأل: هل ذكرتم من هم هؤلاء العلماء المتخصصون الذين بدأوا بالمشروع؟ أحقاً أن دوركم هو إحياء ما كان مبعثراً ومهملاً من فكرٍ جريء وتنويري ومجدّد؟ هل تقولون مثلاً إنَّ كتاباً مثل (الكتاب والقرآن) للسوري محمد شحرور ينطبق عليه هذا الكلام عن الإهمال والبعثرة؟ لكنكم احتفلتم بالكتاب وصاحبه بما تضجُّ الأسماع منه.. فلينظر ناظرٌ لموقعكم على شبكة الانترنت وليرَ وليسمع.

نعودُ فنسأل: هلاَّ أشرتم إلى هذا الحديث عن الإهمال والبعثرة والإحياء في كتابكم التأسيسي المفاتح؟ هلاَّ وجدنا أسماء هؤلاء العلماء المتخصصين في ثبت مصادركم في هذا الكتاب وقد أشرتم إلى جهودهم البناءة بالخط العريض وقلتم إننا سائرون على خطاهم؟ هلاَّ ذكرتموهم في مقدمة كتابكم هذا؟ تلك المقدمة التي اتهمت أصوات أمتنا من أول سطرٍ بكونها لاغية فوق صوت الله فلا رجاء لغلبةٍ لها على الأمم.. ولم نجد لكم استثناءً لمجدّدين ومنورين من هذه الأمة.. وكل هذا من أجل أن يقرّ في وعينا أنكم وحدكم الذين تحت صوت القرآن وصوت الله. بل هلاَّ ذكرتم شيئاً من أقوال هؤلاء العلماء المجددين في هوامش صفحات كتابكم الثقيل الذي ــ مثل كل بقية كتبكم ــ خلا من اسم مؤلفٍ كأنما التأليف لها عملٌ جماعيٌّ شارك فيه كل عقولٌ جماعتكم الإيثارية التي كلُّ همها هو قول الحق والبقية على الله؟ نحن نجزمُ أنَّ كلَّ قارئ سيجد أن معظم هذه الهوامش تحيل على مؤلفاتكم الأخرى، وقليلٌ منها يحيل على مصادر أخرى لم تأتِ بجديدٍ، بل بما صار معلوماً لإنصاف المثقفين فضلاً عن المثقفين فضلاً عن المتخصصين.

فهذا كله ينهضُ دليلاً على ما نبهتكم به من أنكم قد انتحلتم منهجاً بكامله من دون وجه حقٍّ ولا مسوغٍ.. فهذا عملٌ هو بالضدّ تماماً من التنوير ولا يمكن أن يتم

من خلاله ما تدعون إليه من تجديد... لذا فليس لكم أن تمدوا بأيديكم إلى تلك "الليغو البحثية"! فهي منكم براء.. بل هي قصدية المرحوم النيلي التي أسسها عبر جهدٍ جهيدٍ من البحث المستديم الممتد عبر سنواتٍ زادت على العشرين عاماً فارقت روحه جسده الشريف بعدها دون أن ينال منها سمعة ولا شهرة ولا تطبيل ولا تهويل ولا محافل ولا تكريم كالذي نلتم وتنالون اليوم.. أنتم يا من دورهم الوحيد هو الانتحال، ثم التوسّع على أساسٍ من هذا الانتحال الذي ننوّه عنه للعالمين.. وما علمنا لكم دوراً غير هذا.

وإذن.. فهل علينا أن نصدّق ما تقول يا أخانا الشارقي؟

لا.. فللأسف لا نستطيع أن نصدقكم فيما قلتم قيد أنملةٍ.. بل نصدّقُ أن في كلامكم تمويهاً للقارئ واستغفالاً له القصد منهما التغطية على العمل المؤسف الذي ما له من مثيلٍ.. الانتحال في رائعة النهار.

لكنني أقولها لكم من باب الإنصاف ليس إلاَّ.. أقولها ابتداءً والى حينٍ: نعم .. لقد أحسنتم دبج الكثير من التطبيقات التي تصبُّ في الإطار القصدي وخصوصا ما تعلّق منها بعملية هدم المأثور.. فأبارك لكم في هذا.. إنما أسفي أن أبارك لمنتحلين.

ولكن حتى لا تهللوا كعادتكم بهذا الثناء غير المقصود، فلا بد من الإشارة إلى أنكم حتى في تطبيقاتكم للقصدية سقطتم في سلسلة من التناقضات بسبب انتهاجكم للكيفية في تطبيق المنهج المنتحل الذي لم تستوعبوه جيدا قبل انتحاله. وختاماً.. أرجو أنني قد التزمتُ بنصيحة الشارقي عندما قال: (خذونا بأقوالنا وأفعالنا وليس بكلام الناس عنا). فكلُّ الذي أقدمتُ عليه في مقالي هذا هو لا أكثر من مجرّد أخذهم بما قاموا به من انتحالٍ مكشوفٍ، فلا يلومني إذا كنتُ قاسياً.. على الأقل كنتم لتستحقون الأخذ من الأذنين.. لكننا تساهلنا حتى نرى إن كانت لكم أوبة تدحضون بها ما قلنا، أو إن شئتم تعتذرون بالحسنى.. وعندها فيا مرحباً بكم في الحالين .

أقولُ: بل لكم أوبة.. فما اعتذرَ سارقٌ يوماً.

الملحق (2)

نص المقال المنشور في جريدة الوطن البحرينية رداً على مقالنا السابق

جمعية التجديد الثقافية ترد على حرب الفتاوى والمذكرات

صمتنا لن يطول

(الحلقة الأخيرة)[1]

تمهيد إدراة الصحيفة:

ما أكثر ما تعج به الساحة البحرينية من ظواهر وإشكالات تفجرت في السنوات الأخيرة على خلفية التحولات التي صاحبت ظهور تيار (الإسلام الحركي) في الشارع البحريني منذ أوائل الثمانينات الميلادية من القرن العشرين حتى يومنا الحاضر. وإذا كانت "الوطن" قد آثرت الالتفاف على هذا الملف الهام يوم أن فتحت حلقات ملف "قصة الإسلام الحركي في البحرين"، فإنها عاقدة العزم على مواصلة النبش في هذه الذاكرة، التي لم تنل حظها من عناية الباحثين، علّ تراكم الإدلاءات أن يسهم في توثيق مادة تسجيلية حية، تطرح (الإسلام الحركي)، بمختلف تجلياته، أمام النقد والنقد الذاتي، بما شابه من جموح وعثرات وأخطاء، وبما أنبنى عليه من متغيرات مجتمعية، وما ترتب على الاجتهادات فيه من إيجابيات وسلبيات، طوال ربع قرن أو يزيد.

وبفتح ملف شهادة جمعية التجديد الثقافية على ما تعرض له أعضاءها، من عنف رمزي (ومادي) خلال هذه السنوات، بوصفهم (جماعة) اتصلت بهذا الجو، نكون قد شرعنا في محاولة إضافة جانب تسجيلي جديد لهذا الملف، الذي لم يغلق بعد، والذي نعد القارئ بمفاجآت جديدة فيه.

---

[1] نشرت هذه الحلقة في ختام سلسلة من الحلقات التي لا علاقة لها بقضية الانتحال وذلك بتاريخ السبت، 24 يونيو 2006 - العدد (0196).

هنا يجد القارئ شهادة، في حلقات متصلة، تقدمها جمعية التجديد الثقافية عن نفسها، وقد آثرنا أن نفسح لها في الصفحات حتى تستوفي الحلقات، بناء على اتفاق خاص، على أن لا ننشر ما قد يرد علينا من تعليقات أو ملاحظات إلا بعد نهاية نشر الشهادة المتكاملة التي تقدمها الجمعية.

نص المقال:

اعتصار الحليب من البيضة في (مشروع السراة) وكتاب النيلي:

قلنا منذ البداية أنّ مشروعنا التجديدي (عندما نطق السراة) سيعمل هزّة، وقد فعل، فرحنا لأنّ إشادات بالغة وصلتنا، وعقلاء قرأتنا ونقدتنا، ولأنّ غباراً أُثير علينا أيضاً!

آخر الغبار ادّعاءٌ بارد بسرقة المشروع كلّه من مفكّر عراقي (المرحوم النيلي)!

فنقول: بحساب رياضيّ كيف تُسرق أربعة عشر بحثاً يحتاج إعداد بعضها فوق خمس سنوات، ويتزامن انتشارها مع خروج كتب النيلي في أسواقنا؟!! أيّ منطقٍ هذا؟

إمّا أنّه جهلٌ بالحساب أو ضغائن لا تعرف الله ولا احترام الآخر، لكنْ متى عُرفت النفسُ حاملةً لواء الادّعاء بطل العجب! فهو كادّعاء أنّ الحليب وكلّ مشتقّاته مأخوذٌ من البيض، لتشابه بياضهما!

نحن نتشرّف بتبنّينا أيّ منهج علميّ ينفع ضالّتنا، ونأسف لعدم عثورنا على كتب مطبوعة للسيّد (النيلي) إلاّ بعد فراغنا، وإلاّ لأدرجنا في بحوثنا ما يستحقّ إدراجه، ودليل هذا أنّ بعض من ناقَشنا في أفكارنا وقواعدنا القرآنيّة، بعد وصول كتاب المرحوم لأيدينا، ننصحهم أحياناً بقراءة (نظامه القرآني) لأنّ فيه من شواهد النقض ما يُغنينا احتجاجه، فتلقُّف الحكمة ديدننا وشعارُنا، والاستزادة بآراء الحكماء ومناهجهم زينتُنا، ويُفرحنا ظهور تجديديّين مُبدعين في أمّتنا كالمرحوم.

ولو كنّا بصدد الإشادة لقلنا، فنحن لا نبخس الناس أشياءهم كالمدّعين علينا، لكنّنا في مجال تبيين الأمور، لنتعارف، فنتّقي سوء الفهم:

- (جغرافيا الأنبياء)، الذي جاب المصادر التراثية عالميّاً، وتكلّم عن مركزيّة (جبال السراة)، ما علاقته بفكر المرحوم؟ ولم يتطرّق له بالمرّة، بل أوحت كلماته عن (قصر فرعون)، ومسافة حمل عرش بلقيس، وغيرها، أنّه يعتقد بالجغرافيا السائدة كغيره، ونحن رفضنا جميع ذلك وأثبتنا أنّ إبراهيم ويوسف وبني إسرائيل وموسى والأنبياء (ع) قد تواجدوا في شبه الجزيرة العربية، وأنّ فرعون شيخ عربيّ لا علاقة له بمصر النيل، وبنو إسرائيل لم تطأ أقدامهم مصر!
- ما علاقة بحث (الأسطورة) بمؤلّف المرحوم عن (جلجامش)، وهو قراءة لأسطورة واحدة خالفنا المرحوم فيها كلّيةً لغةً ومعنى؟ بل وتعرّضنا في سلسلة بحوثنا لأساطير سومر وبابل، وأوقريت، ومصر، والإغريق والنورديين وفكّكناها! والمرحوم جعل رحلة (جلجامش) وهو (ذو القرنين) لديه، إلى كوكبٍ يلي الزهرة مُخالفاً بيان القرآن عنه (إنّا مكّنّا له في الأرض) لا في السماء، وأثبتنا أنّها أنفاق وقرى جبال السراة الخفيّة حيث مقرّ الملائكة (الأرباب)، وأنّ الملك البابليّ (جلجامش ابن لوجال بندا) شخصيّة أخرى غير ذي القرنين الإسكندر اليمنيّ؟ فبحثُه مخالفٌ لبحوثنا في الأساطير، ولا تشابُه إلاّ اسم (جلجامش) فقط! الذي فسّرنا معناه أيضاً دونه، ولو كان لدينا بحثه آنذاك لأشرنا إليه ضمن مراجعنا ولو بسرده كفكرٍ موجود! بل لنا تعليقات ونقدٌ كثيرٌ كان سيُفيد القارئ تضمينُها!
- بحث (طوفان نوح) الذي يُقارن نصوصه في التوراة وأساطير أمّتنا البابليّة والأكديّة (أتراحاسس، وأوتونفشتيم، زيوسدرا) ويتتبّعها قرآنيّاً، مُفسّراً آيات نوح (ع) بخلاف المتداول، وانتهى أنّ الطوفان محلّي، لا عالميّ، وحدّدنا جغرافيّته بدرْع الجزيرة العربيّة، وأنّ رسالة نوح (ع) لقومه فقط، وسبب الطوفان قطْع دابر الهمجيّة والعدوان، والمرحوم لم يذكر (الطوفان) إلاّ بنحوٍ عابر مخالف لنا كلّية، بأنّه وقع في (تل عفر) العراق! فاختلافنا عنه مائة وثمانون درجة، ومن يقرأ يُدرك غباء ادّعاء التشابه!

- بحث (مسخ الصورة) الذي تعرّض لتشويه صورة أمتنا الحضارية في الغرب خلال التاريخ، عبر منافذ الإعلام والتعليم، وإعادة كتابة تاريخ المنطقة، وأثر دسّ الإسرائيليّات، وسيادة مفاهيم توراة الكهنة على العقول الغربية والعربية أيضاً، ما علاقته بخطاب المرحوم الذي خلا من هذا الشيء تماماً؟
- بحثنا (الخلق الأوّل) العالميّ، نَقض بحث المرحوم (أصل الخلق بين الأنا وبين الولاية) المذهبيّ، النازل أسواقنا عام 2005 بمقلوب نتائجنا، ومقلوب تفسيرنا للآيات، لقد كتب مُنشئ (القصديّة) نفسها (ره) كتابَه عن الخلق، وكان (البشر) و(الإنسان) بأثرٍ من فهمٍ روائي، لا وفق نظامٍ قرآنيّ استقرائيّ، قد انقلبا لديه عنّا، وهما ركيزة البحث، بحثُنا علميٌّ رصينٌ شرحَ آيات الخلق وإشكالاتها بلا سابقة، ورسم خارطة (خلق الإنسان) عبر فكّ طلاسم الأساطير، ونصوص التوراة، ونظام القرآن، ودلائل العلم، وكشفَ فساد التصوّر التوراتيّ، منذ وُجد الإنسان في صورته البشريّة حتّى ظهور آدميّته بنفخ الروح، وأنّ بشراً أوائل سبقوا آدم الإنسان، خرجوا من بيوض طين الأرض ونبتوا كالحشيش وهكذا سيعودون بالبعث، بينما لم يكن بحث المرحوم إلاّ تنظيراً للآيات بمنظار روائيّ للبرهنة على اعتقادات خاصّة بالمذهب وبالإمامة (الولاية)!
- ما علاقة بحثنا (وعصى آدم) الذي استنطق آيات المعصية، وفق نظام القرآن الذي رسمنا بعض ملامحه، وتتبّعنا مسلسل المعصية حتى هبوط آدم ثمّ حوّاء، وردّنا الخرافات والإسرائيليّات المُهينة للمرأة، بينّا أنّ الشجرة المُحرّمة على آدم كانت شجرة (سلالة الهمج)، وأنّ المعصية بمقاربة (معاشرة) تلك الشجرة/السلالة، فتسلّلت الهمجيّة مرّة ثانية إلى مكوّننا الإنساني، تابعنا قصّة المعصيّة في كلّ اللغات والأساطير، بالسريانية و(العبريّة!) والغربيّة، وحلّلنا رمزيّة كلماتها، بينما المرحوم كان تفسيره للشجرة بأهل البيت (ع)! والمعصية بحسدهم! متأثّراً برواية واحدة خاصّة بالمذهب! لا نراه حسب قواعدنا خضع لنظام قرآنيّ، ما أفضى بنتائج مخالفة مائة بالمائة معنا؟ فعدا أنّ طباعة بحثنا قد تمّت قبل وجود بحث المرحوم في الأسواق، فأين (الانتحال) وبحثنا كلّه بركائزه ونتائجه، مناقضٌ لبحثه منذ بسملته لنهايته، في كلّ محطّاته! ولا يُشبه صفحة من هذا ذاك؟!

- بحثنا (التوحيد) بدأ بآدم، مستقرئاً كتاب الله، وأساطير الأمّة لدى السومريّين والمصريين وحضارات الشام والمندائيّين، وتكلّم عن أرباب التدبير الإلهيّ، ونقض ادّعاءات التوراة أنّ التوحيد بدأ بموسى (ع)، وأنّ حضارات العرب (لا قريش) كانوا مشركين يعبدون الآلهة المتعدّدة، وزعْم المفسّرين أنّ النبوّات بدأت بنوح (ع)، ما علاقته بالمرحوم، ولا نظنّه يعتقد هذا؟
- ما علاقة بحث (بين آدمين آدم الرسول وآدم الإنسان) وتتبّعه لخارطة التواجد الإنساني على هذا الكوكب، في أطواره، حتى بعثات أنبيائه ورسله، وتتبّع مفردات اللغات العالميّة في تكوين الأسرة، وفي هدفيّة الوجود ومحطّاته الثلاث: البشريّة، الإنسانيّة، الرسوليّة، ومسلسل الاصطفاء للتحلّل من الهمجيّة، وكيف شوّه اليهود خطّ الفطرة، ولوّثوا الأنبياء، وخسروا الاصطفاء، وتبيان الآيات التي غبّش تفسيرها وجُزّئت، بحثٌ يلتئم معه مكتشفات الإنسان الأركيولوجيّة والجينيّة في التفريق بين آدم العلمي والآخر الديني، والمرحوم يخلو من هذا بالمرّة!! بل لو أردنا رأيه في آية البحث المفصليّة (إنّ الله اصطفى آدم) لقال هذا آدم الأول اصطُفي من سلالة بشريّة سبقته، وهذا يُشبه قول (د. شحرور)، سبقه بكتابته بعشرين سنة ولم يُشِر إليه! بينما رأينا أنّها تعني آدم الرسول المُصطفى (ع) أبا الأنبياء بعده، لا (آدم) بكر الخليقة وأبا الإنسانيّة؟!
- وبحوثنا الباقية، عن (ليلة القدر) وتحديدها، وارتباطها بمولد نور الإنسانية لدى الشعوب والملل، وعن (توراة الكهنة) وتحليله ونقد مرجعيّته ومفاهيمه وإسقاطاته وزيف (عبريّة) لغته، أجنبيّةٌ تماماً عن تراث المرحوم، وبالإمكان مراجعة موقع الجمعيّة للاستزادة معرفياً، ولكشف هشاشة الجاهلين!

رفضنا أن نبثّ علماً بلا فضيلة ونُبل، لذلك ضمّنّا بحوثنا مناشدات إنساننا، وعقدْنا بحثاً ضمن السلسلة سمّيناه (الإنسان الإنسان)، فالعلمُ وحده فضلاً عن التناحر والتسابق للادّعاء بسبقه، لا ينفع في معركة الإنسان مع وحشِ نفسه، التي كانت طوال الزمان وتشتدّ في آخره، حتى قال مولانا عليّ (ع) (ربّ عالمٍ قد قتله جهلُه وعلمُه معه لا ينفعه)، فلسنا نُفاخر بعلم، ولا نُسابق به أحداً، ولا هو ببراءة اختراع نرجو التكسّب منه والاشتهار!

هناك عقبة طرحها أهل البيت (ع) تقينا من تقديس الرجال وتصنيمهم مهما بلغوا: (إيّاك أن تنصب رجلا دون الحجّة فتصدقه في كل ما قال) فالحجّة، أكانت رجلاً أم برهاناً، هي التي ينبغي متابعتها، لذلك نحن نتلقف الحكمة من كل أحد، ويُشرّفنا هذا، فآفة العلم الجمود على رجل، ثمّ آفة الرجال المُلهَمين جمودُ أتباعهم عليهم ليكونوا نسخًا من إرثهم بدلاً من احتذائهم في الإبداع والتطوير، لذلك تجد غيرة الأتباع أحياناً تفوق غيرة صاحبها الحرّ، لا سيّما إذا تُوفّي، لأنّ الأستاذ قادرٌ على تجديد رأيه -لو قرأ ما كتب غيرُه وكتبنا- أمّا الأتباع فاستلموه إرثاً فقد يرون الجمودَ عليه موالاة وحميّة، وتشابه بياضه انتحالاً، وابتداعَ غيرِه تشويهاً!

ميزة المرحوم خروجه على مدرسة الجمود (الاعتباط)، فنُؤيّد مشروعه النقدي، ومدرسته ينبغي ألاّ تسقط رايتها، ولسنا معه في كلّ أصوله ونتائجه، لذا اختلفت النتيجة نهائياً بين ما لدينا ولديه فيما تقاطعنا فيه من مسائل كونية وإلهيّة وإنسانية وتاريخية، كرحلة جلجامش وتفسير آيات ذي القرنين، والشجرة المحرّمة، وسجود آدم، ومعصيته، والفرق بين البشر والإنسان، وجغرافيا الطوفان، ومعنى الرواسي، الخ.

الجميل أنّه أعطى للآيات منطقها بعيداً عن العبثيّة، بثقافة إيمانية ناهضت السائد المتخلّف بما يُحرّك الماء الراكد للإرث الثقافي، لكنّ المؤسف أنّها مع تجدّدها وحلاوتها فقد تكون بعض نتائجها غير صائبة هي الأخرى، إن أردنا الحقيقة كحقيقة، لا أقلّ من وجهة اجتهادنا.

نأخذ عليه أنّه حكّم الروايات الخاصّة أحياناً ووجّه السياق القرآني عليها!

ونأخذ عليه أكثر، توجّهه الخاصّ والمذهبيّ والقاذع، بدل فسحة الإسلام والعالميّة وتوحيد الكلمة!

ومراعاةً لذكرى المرحوم وخلوص عمله، نُحذّر من تسييل تراثه إلى تجارة مال أو صيت، يغزونا هذا الهاجس حين نسمع بخس جهودنا، وتثريبنا بألفاظ (السرقة) وكأنّ الفكر (مال)؟ فإذا كان ما توصّل إليه المرحوم من كشفه لنظام قرآني، حقًّا، وهو أمرٌ مسبوق، فمجرّد الادّعاء بانتحاله ينقض كونه حقّاً ويجعله اختراعاً، فالحقّ

كأيّ شيء طبيعيّ هو واحدٌ، وقد يكتشفه اثنان وثلاثة لا رابط بينهم، لأنّه (كشف)، وهذا أمرٌ بديهي، أمّا (الاختراع) وهو أمرٌ ذهنيّ فلا يُمكن اتّفاق اثنين لا رابط بينهما إلاّ إذا رضينا بالصدفة، ومع ذلك فقد دلّت العلوم التطبيقيّة والتجارب بأنّ توصّل أناس إلى شيء في بلد، يُسهّل إمكان اكتشافه لدى آخرين لا رابط معهم، وفسّروه بأنّ الوعي البشري كمجموع له نوع اتّصال ووحدة!!

فيا عجبنا، فتّش البعضُ عن (فضيحتنا) و(سرقتنا) بحسب لغة تُجار المال الناضبة من إيمان العارفين والاحترام، فلم يجدوا إلاّ سطراً من أربعة عشر بحثاً!

كلّ مفكّر يُعظّم القرآن، يستطيع قوله، لوجوده في كتاب الله وفي حديث النبيّ (ص) وأهل بيته (ع) يقول بحاكمية القرآن واشتماله على أسرار علم الأوّلين والآخرين، ادّعوا تشابه هذا السطر الوحيد من بحوث تحوي بإحصائيّة تقريبية مائة ألف سطر، مع سطرٍ قاله المرحوم! فيالفضيحتنا! (إنّما يُفتضح الفاجر) كما أخبرت زينب (ع)!

1ــ فهل نحن أوّل من قال بوجود نظام وهندسة قرآنية تعتمد اللسان العربي المبين وقاعدة اللاترادف ونسف كثير من قواعد سيبويه التحكّمية؟ لا، فقد سبقنا كثيرون، منذ ثعلب وابن فارس، واللاترادف له مدرستُه، وحتّى المرحوم محمّد محمود طه سبق الدكتور شحرور ورفيقه المرحوم (جعفر دكّ الباب) إلى هذا، وذكره الداعية أحمد الكبيسي، والمهندس عدنان الرفاعي الذي له موسوعته الخاصّة في بنائيّة النظام القرآني ونصوصه، وكثير من المفكّرين قبل الثمانينات وبعدها كانت لهم دراسات في نحو القرآن وقواعده ولاترادفه، ولم يسمع أحدٌ في بلدنا بالسيّد النيلي إلاّ عام 2004, ومع هذا فنحن من أسّس قواعدنا في كتابنا (مفاتح القرآن والعقل) بناء على الاستفادة المتراكمة من بناء من سبقونا، بزيادة مجهودنا لمدّة سنين، ومعظم قواعده المستلّة من كتاب الله لم يقلها أحدٌ من قبل ولا تُوجد في كتب أحد حسب اطّلاعنا، وإلاّ فليتفضّل أحدٌ بتعريفنا بها ويدلّنا على مصدرها النقليّ (ليأتِ لنا بكتبٍ وُجدت قبل كتابنا، فيها قاعدة الضمائر كما وضّحناها، وقاعدة اللامذكور، ومعنى القسَم الإلهي، وسيادة القرآن على المرويات، وقاعدة الوحدة الموضوعية،

ومعنى أسباب النزول، والنسخ، والقراءات، والتأويل، والمحكم والمتشابه، والتقييد والتخصيص، وفق نهجنا، وطبقات القراءة والإيحاءات في الآية، وتجاوز المدلول التاريخي للفظة!)، هذا الكتاب الصغير الذي يستطيع القارئ تلمّس الفرق الكبير في المضمون بينه وبين كتاب المرحوم القيّم، لم يكن إلاّ فصلاً واحداً مضغوطاً من كتاب موسوعيّ كبير سمّيناه (الهجرة إلى القرآن المهجور) أشرنا إليه وأخّرنا إبرازه!

والمتابع لإصداراتنا وكتبنا وموقعنا ومجلّة التجديد الدورية منذ العام 2002, سيُدرك أنّ النظام القرآني كان ركيزةً معمولاً بها في كلّ ما كتبناه سابقاً وجدّدنا فيه!

بل كانت لنا مسودّة بحث متكامل عن (الساعة الكونية–الأرضية) كنسخة إلكترونية، كان كتيّب (مفاتح القرآن) يُحيل في كثير من اختصاراته على إظهاره والتوسّع به مستقبلاً، أودعنا فيه الكثير من التفسيرات لآيات الساعة والقيامة وشرح أقسام السّور القصار وأسرارها واستجلاء المظاهر الكونيّة المرافقة، حتّى فاجأنا تقاربٌ خفيّ شبه نوعيّ مع ما بثّه المرحوم في كتابه (الطور المهدوي)! مع أنّا لم نكن نظنّ أنّه سبقنا إلى بعض هذه الأفكار أحدٌ! فما أحزننا هذا، ولا أحسسنا بضياع بعض مجهودنا الفكريّ والبحثي، ولا زعقنا بشبهة احتمال انتحال وسرقة!

2ـ نعتقد أنّ الآيات التي شُرحتْ في (النظام القرآني) للمرحوم كلها غير موجودة لدينا، والتي لدينا في (مفاتح الكتاب) غير موجودة هناك، وربّما لهذا لن يتيسّر لمدّعٍ وضع شيء متّفق إلاّ بالتلفيق، وكم كان أسهل علينا عمليّة النقل والإحالة لو كان كتاب المرحوم حاضراً! وربّما من هول مفاجأة البعض، أنْ رأوا تفسيراتنا منطقيّة مع عدم انتهالها من مفكّر كالنيليّ، وودّوا لو تُنسب إليه بدلاً منّا، أو يتمّ احتكار التفسير مرّةً أخرى لمدرسة واحدة، وهذه مشكلة فعلاً، أوحت لنا بوجودها وصفُ ما كتبناه بأنّه (النظريّة القصدية لكن مشوّهة!)! وكأنّه عَقُم الآخرون عن الإنتاج إلاّ بالسرقة! ما هذا الخبَل؟

عموماً ما أسهل عقد المقارنة بين كتبنا وكتب المرحوم، لرؤية التمايز التامّ لزيادة الوعي والنماء المعرفي، ولو ندر واتّفق تضمّن الكتابين لنفس الآية، فهي فرصة القارئ ليرى فهمنا يختلف عن فهم المرحوم!

3ــ للحقّ وخلاف ما زُعم فإنّ السيد المرحوم لم نرَ له للآن تطرّقاً لخاصية الضمائر في القرآن، ولا صيغ المفرد والجمع، بالمعنى التي بها يصيرُ كلام الله هو وحي الملائكة المدبّرين، هم المتكلّمون بالقرآن كلّه لقولهم (إنّا نحنُ نزّلنا الذكر)، فهذا كتابه ولم نجِد فيه شيئاً من هذا كقاعدة ثابتة أو كتطبيق، ولم نعثر عليه لدى أحد، وهذا عمدة أساسية في النظام يؤثّر جوهريا في كلّ النتائج التي توصّل لها المرحوم ومن سبقه ونحن، ولهذا عددنا أنّ نصف التفاسير تسقط فقط بتفعيل هذه القاعدة، وتنحلّ إشكالات كبرى في الخلق والوحي والقرآن والربوبية والإلوهية والتدبير وغيرها.

4ــ لقد قيل بحكمة المرحوم صمتاً ونُطقاً، وأنه على أدبٍ جم، ونحن ما رأيناه ولكن أحببنا أن نرى سمته في تلامذته تشرّف ذكراه وتُجسّد مُثله ونهجه، فإذا كانت القصدية نظاما لهدى العقل واللغة، فالأولى أن تكون انضباطاً روحيا يضبط السلوك واللسان بالمحامد، وإلاّ فأيُّ فائدة لإثبات (قصديّة) قرآنية ولُغويّة، والعبثية والاعتباط تستفزّ عقولنا لمعارك لا طائل وراءها لهتك إخوة لا نعرفهم ولا نرتجي أجراً بمحاربتهم، نسلقهم بألسنة حداد أشحّة على الخير فقط لأنّ (الناس أعداء ما جهلوا)! أالقصدية هي المحاربة بقصد، أم أنّ القصد الله، نعوذ به!

5ــ لقد اقتنينا ما ينوف ألفاً ومائتين كتاب لمراجعنا البحثية، ليس منها كتب المرحوم النيلي لعدم وجودها آنذاك في السوق ولعدم سماعنا به، ولو توفّرتْ لشكّلت ذخيرة لا يُمكننا التغاضي عنها، فإبداعاته لا يُمكن تقليلُ شأنها، وقد تعوّدنا الأمانة في النقل، وما نقلناه أشرنا إلى مراجعه ولا يهمّنا من أيّ كان، أكان من الغزالي، الطوسي، بوذا، التوراة، الشاهنامة، قصص ألف ليلة وليلة، أو كتب ومواقع أجنبيّة، وفعلاً نقلنا من كلّ تلك، واعتمدنا آراء باحثين اقتنعنا بحجّتهم وأشرنا إلى هذا، ولو كانت ضالّتنا موجودة حتّى لدى مجنون لنقلناها وأحلنا إليها، ويُؤسفنا عدم عثورنا

على نتاج المرحوم فلربّما أشرنا إليه كاستفادة أو كنقد، لا سيّما في منهجه الثريّ، أو في المسائل الكبرى التي تعاكسنا فيها، وهذا الأمر حدث أيضاً مع كتاب الدكتور عبد الصبور شاهين الذي اتّفقنا معه في جزئيّة في خلق الإنسان، لكنا لم نُشر إليه لعدم اطّلاعنا على كتابه إلاّ بعد طباعة بحثنا، وقد أعلمنا فضيلته بذلك حين زرناه وأهديناه كتبنا ففرح بها ولم يتّهمنا بشيء بل وصف بحوثنا بعد قراءتها بأنّها كتبُ نور! ودعا لنا بالخير والتوفيق!

6ـ البعضُ يحسبُ التاريخ يبدأ بزعيمه وينتهي به، ولشكّه أن يكون لدى الآخرين حكمة أو صواب أو قدرة على إبداع، فقد لا يرى إلاّ أنّ مَن يُقدّس هو المصدر الوحيد للحقّ والإبداع، وغاية ما ينبغي أنْ يُكتب! فكلّ ما سيق من ادّعاء جزئيّات أنّ المرحوم أوّل من ذكرها وخرجت عام 2004! سبق وذكرَها كثيرون، فالأفكار والعلوم والمناهج تُراكم، فوجود جنس بشري يسبق الوجود الإنساني مثلاً، صرّح به كثيرون منذ عقود قبلنا وقبل المرحوم، منهم د. مصطفى محمود، ومنهم العلاّمة الطباطبائي، ومنهم د. شحرور ومنهم د. حامد أبو زيد ومنهم د. عبد الصبور شاهين، وعلم الأنثروبولوجيا أثبته منذ قرن، وقد ذكرنا هذا في (كتاب الخلق) ووضعنا نصوصهم، فهل كان علينا أن نشقّ الغيب ونبحث عن كاتبٍ لم يكن أحدٌ سمع عنه حتّى تلك الساعة لنُضيف اسمه، فقط لنتوخّى الأمانة؟! لماذا لا نقول أنّ الأمانة هي بوضع قائمة أسماء هذه الأشخاص في كتاب السيّد النيلي نفسها كونهم سبقوه دهراً بهذا الرأي؟!

فهل كلّ من توصّل لفكرة عليه أن يجول البلدان وأزقّتها ويسأل إن كان أحدٌ ربّما قالها أو سيقولها مستقبلاً؟! ما هذا؟ أنحن طلاّب معرفة أم طلاّب جاه ومباهاة؟ أقيامنا لله أم لأنفسنا؟!

7ـ وأخيراً نقول: إنّ مجرّد محاولة التلميح بأنّ منهجنا واجتهاداتنا وإصداراتنا لابدّ مسروقة، منتحلة، من عظماء كالمرحوم النيلي أو غيره غداً، فهو وإن بدا أنّه للإساءة لنا من مُغرض ناقم، لكنّه فعل النقيض، وأرى الآخرين أنّ إصداراتنا تستحقّ أن تُنسب إلى فطنين شرفاء، لأنّه فكرٌ يستحقّ النسبة، لا يُمكن القيام به حتّى

في غضون خمس سنوات، ولابدّ أن يكون مأخوذاً من عظماء!! هذا التمجيد للفكر يُغرينا بالغضّ عن أشخاصنا بعد الإقرار به!

ومن المناسب نقل عبارة للمرحوم وجدناها بعد هذه الزوبعة الفنجانيّة في كتابه الحلّ الفلسفي (إنّ الفارق بين الفيلسوف والرسول هو كالفارق بين العدم والوجود، فالفيلسوف يقول للناس انظروا (ذاتي) والرسول يقول (انظروا ذواتكم)، الفيلسوف يقول (موتوا كي أحيا) والرسول يقول (أموت لتحيوا))!

لذا نُعلن هنا، لا يهمّنا نحن أن "ينتحل" كتبنا أحد، فهي مجّانية، ما كتبناها للتجارة والمال وشهرة الأسماء، ولا لنكسّد تجارة أحد! بل لله تعالى لنُفيد أمّتنا بها، فإن كان بها فسادٌ في المنهج أو النتائج فنشكر من يُعرّفنا به لنُزيله، كما نُوصي بقراءة كتب المرحوم وكلّ المجدّدين، لا ليُقارَن بها ويُعارك ويُماحك، فليست هذه بنصيحة هادٍ وهادف، بل ليستفيد القارئُ وعياً وخروجاً عن تقليد واستتباع واستلاب، لننضج لأمّتنا، والحمد لله الموفّق والضامن تسديد المُجدّين المتّقين منذ قوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

الملحق (3)

جوابنا على مقالهم السابق منشوراً في شبكة هجر الثقافية

مع بعض الحوارات

أولاً: نصُّ الجواب

محنة القصدية بين التشكيك والانتحال.

لماذا هذا المقال؟

أحرّرُ هذا المقال بأملٍ، وإن كان ضعيفاً في أن أجد تجاوباً بين أخوتي في مدرسة (هجر) الغراء التي قضيتُ فيها ردحاً من العناء الفكري كاتباً لمقالاتٍ، أو مشاركاً في حواراتٍ. لكن وبصرف النظر عن هذا الأمل الضعيف المستكنّ في قلبي فأنَّ المسؤولية الشرعية والأخلاقية تدفعني لتبرئة ذمتي فلا تكون الحجّة عليَّ اليوم أو غداً بأني قد تقاعستُ عن إداء تكليفي بتوضيح ما ينبغي توضيحه لأحرار العقيدة والفكر الذي يعيشون قلق المسير ويكابدون وصب الطريق، دون غيرهم من عبيد الدنيا وقناطيرها من المتزلفين والمتحذلقين والمتلفين أجسادهم وأرواحهم بباطلِ قولهم ودميم فعلهم. فهذا المقال لأولئك الأحرار دون هؤلاء العبيد.

إنَّ المسؤولية الشرعية المطالبة ببيان الحقِّ ودحض الباطل هي وحدها ما يدفعني للكتابة، وهي وحدها ما يحدّد مواقفي، بلا دافعٍ من تلك الدوافع الضيقة للانتهازيين. وأحتسبُ (على هوان نفسي وضآلة همتي) كلَّ ما جرى عليَّ وما سيجري لله الواحد القهّار مستغفراً إليه من كلِّ ما لا يرضاه لي، ومنيباً إليه تعالى ومسلّماً له قبل أن يأتي العذاب ثمَّ لا نصرَ ولا نجاة:

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) (الزمر:54)

تذكرة تشكيكات في غير هجر وفي هجر:

كنتُ قبل أن يدخل الأنترنت إلى بلدنا (العراق) أتجشّمُ مسؤولياتٍ جمّةً أخذت

مني الليل والنهار في نصبٍ وكلالةٍ، وعناءٍ ومشقّةٍ. وكانت هي محورَ ما وطّنت العزمَ على تحمّله منذُ وقع بصري على الفكر القصدي للمرحوم النيلي حوالي عام 1996 من طريقٍ لم أحسبُ له حساباً، ولا دارَ بخلدي أن سيفتحَ لي. وكان هذا الطريق من بركات الله تعالى عليّ التي يقصرُ دون فيضها كلُّ شكرٍ وكلُّ امتنانٍ لربّيَ العفوّ الغفور الرحيم.

آنذاك كنتُ أنضّدُ المخطوطات القصدية على حاسبةٍ مستهلكةٍ اكتريتها لهذا الغرض.. ثمَّ أصوّرها في جهازٍ مستهلكٍ مثلها كي أنشرها بين الناس على قدر استطاعتي مجازفاً بالسير في طريقٍ وعثاءٍ ملؤها العنت والمضايقات والمصير المجهول من لدن الأجهزة الأمنية والمخابراتية للنظام الدكتاتوري السابق. كنتُ من بعد وفاة النيلي أتلقى الاستفسارات والمسائل المستشكلة على هذا الفكر وأجيب عنها على قدر علمي وجهدي وبعونٍ من أخوةٍ كرامٍ لهم من الفهم للقصدية ما يفوق فهمي، وكنتُ استقبلُ المتحمّسين لهذا الفكر في محل عملي أو في بيتي محاولاً فتح صدري لهم على رغم حالي المجهد، وبالي المشغول. كنتُ أكتبُ المقالات المجيبة على إشكالات المناهضين وأسئلة المستفسرين في الصحافة الصفراء والبيضاء. كنتُ أدبج الكراسات الرادّة على كتيباتٍ ظالمةٍ يصدرها فلانٌ أو علاّنٌ من المتحذلقين ممّن تجلببب عمامة العلم دون استحقاق، أو حمل شهادات الثقافة وهو في معرّة الجهل.. وكنتُ.. وكنتُ.... وإلى آخره من المكابدات التي لا بدَّ أن يجابهها كلّ من يدخلُ في هكذا تجربةٍ فكريةٍ غنيةٍ جادّةٍ وصادقةٍ.

وباختصارٍ فقد جعلتُ من القصدية همّي الأوحد، ولكن لا بما هي مصير وغاية.. وإنّما بما هي حقٌّ يرادُ له إظهارٌ وتبليغٌ على قدر المستطاع، والأجر على الله مهما كانت الصعاب، وإنّهُ لفضلٌ من الله تعالى أن يجعل مني بحيثُ صدقٍ.. فله المنّةُ والحمدُ وله الشكر ومنه المزيد.

بعد انهيار النظام الظالم في العراق، وحالما هبّتْ نسائمُ الحرّيةِ الفكريةِ بعد عمرٍ طالَ في خضمٍ من الكبت والقمع والملاحقات والسجن والضغوط النفسية والمادية، وجدتُ في شبكة الأنترنت ضالّتي الفسيحة في الحوارات والنقاشات

المدهشة التي فتحت عيني على رؤىً كثيرةٍ ما كنتُ أحسبني أقعُ عليها يوماً حين كنتُ أعاني من عنت الأمن والمخابرات كشأن غيري من ملايين المقهورين في العراق.. هذه الحوارات كانت تجربةً جديدةً بحقٍ، ولكوني بلا خبرةٍ مع هذا المارد الانترنيتي العجيب فقد تصرّفت بطريقةٍ طفوليةٍ ساذجةٍ عمرها سلامة الطوية وحسن الظنّ بالآخرين من المحاورين. فشاركتُ أول ما شاركتُ في موقع (نور الإسلام) وباسمي الشخصي لا باسمٍ مستعارٍ، ودخلتُ هناك في حواراتٍ جميلةٍ مع آخرين طيبين لا زلتُ أذكرهم بخيرٍ. ثمَّ وجدتُ موقعاً آخر رأيتُ مواضيعه تنمُّ عن فكرٍ أكثر عمقاً، وكان هو موقع (يا حسين) الذي شاركتُ أيضاً فيه باسمي الصريح، وكتبتُ مواضيعَ تتعلّقُ بعلم الرجال وما عنّ لي من إشكالاتٍ عليه.. ولكنْ حيثُ أنني كنتُ غِراً كحال كلّ من يخوض في بحرٍ جديدٍ وعالمٍ مختلفٍ فلم أحسب حساباً إلى أنَّ حرية الفكر تتطلّبُ رفقاً بالقلوب لا طرقاً على الرؤوس!. وهكذا فكان أول مقالٍ لي في ذلك الموقع هو (أكذوبة علم الرجال)، وبدلاً من حوارٍ إيجابيٍّ هذه المرّة وجدتني في خضمٍ من كلامٍ ثقيلٍ، وشتائم لا تحصى، واتهاماتٍ صريحةٍ، وافتعالاتٍ لم استطع لها احتمالاً، ولا في جعبتي مثلها فتركتُ هذا الموقع إلى غير رجعةٍ.. وفي هذه الاثناء جاءتني رسالةٌ من أحد الأخوة الذين كانوا على معرفةٍ وثيقةٍ بي، وكان هذا الأخ قد غادر العراق حوالي عام 2001 هرباً من جحيمه آنذاك.. ولستُ أذكر كيف حصل على عنوان بريدي. تقولُ الرسالةُ معاتبةً: (ما لك يا أخي لا تشاركنا في هجر.. فهذا موقعٌ فيه نخبة من كتّابٍ كبارٍ ومواضيعٍ راقيةٍ ومحاورين جيدين.. الخ)، فأجبته إلى ما أراد شاكراً له دعوته التي فتحت لي أملاً بعد إملاقٍ يأسٍ من أفاضلَ يجمعون إلى سلامة النية رعاية العلم وصبر الحلم وانفتاح الرؤيا. وبعد محاولاتٍ مضنيةٍ للمشاركة في هجر واتصالات عدّةٍ أعلنت له عسرَ المشاركة فيه، لأنه يتطلب كما علمتُ فيما بعد تزكيةً من أحد الأعضاء. فكتبتُ إليه طالباً منه تزكيتي لدى هذه إدارة هذه الشبكة، لكنه اعتذر بأن قال أن عدد مشاركاتي في هجر لم تبلغ نصاب التزكية بعد. ومع ذلك فقد وجد لي سبيلاً عندما قال: [أخي الكريم.. أعلمك بأني كنتُ قد سجّلتُ ابتداءً في هذا الموقع باسم "القصدي"، لكني وجدتني أبعد من أن أمثّلَ القصدية، فشاركتُ باسمٍ آخر، وعليه فاعتبر نفسك مشاركاً في هجر

بهذا الاسم، وهذه هي كلمة المرور (.....)،]!. وهكذا وجدتني في (هجر) باسمٍ جديدٍ لم يكن من اختياري، ومع ذلك فأسأل الله أن أكون وفقت لأنْ أكون مستحقاً له.

ودخلتُ في هجر!.. ولكن لا على استحياء.. بل بكلّ ما أملك من قوّةٍ لقصديةٍ قرآنيةٍ استوعبتُ غيرَ قليلٍ من طروحاتها على مدى سنينٍ.

ومع ذلك.. فقد كانت ردّة الفعل على الطرح القصدي قد بلغت مدىً لم يدر بخلدي أبداً، وحتى أن قد وصلت إلى درجة الاتهام المعتاد والصريح بأننا (made USA in) لا لشيء سوى عدم التحمّل لما طرحناه من أسئلةٍ على المقولات المعتادة، والآراء المتكررة في المتون، والظنون التي لا يمكن أن ترقى إلى اليقين، وأيضاً عدم التحمّل لما قدّمناه من بدائل استفدناها من كتاب الله وسنّة المعصومين (ع) منظوراً إليهما من زاوية الفكر القصدي.. بل وصل الأمر درجة الادّعاء بأننا نريد التصدي للمرجعية، فطالب من طالب ببيانٍ عن أهليتنا لذلك!.

وبرغم هذا فيشهدُ الله تعالى أنني قد عففتُ لساني وقلمي من أن يخطّا كلمةً واحدةً تقدحُ بحقِّ أيّما أخٍ شريفٍ في هذه الواحة النبيلة أيّاً ما كان موقفه من الفكر القصدي، ولئن صرمني بعض الأخوة بوابلٍ من الكلام المؤسف، فلم أجد إلاّ التجاهل مطلقاً بعد إذ لم يفدِ العتاب. فما كان يعنيني في حواري مع كلّ أخوتي سوى أن أقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل متجاهلاً التشكيك وعبارات السوء ومحسناً الظنّ بهم كافةً، وأبداً ما أثّرت فيَّ هذه العبارات ولا هذه التشكيكات ولا شكوتُ أصحابها إلى المشرفين أو المراقبين، ولماذا أتأثّر؟!.. فواجبي أن أتقدَّمَ بفكرٍ رأيته صادقاً ومخلصاً إلى الناس، ولا شأن لي بأن يقبلوه أو يرفضوه، إذ كلُّ همّي وغاية أملي أن أقدّمه بأمثل طريقةٍ ممكنةٍ، وأوضح أسلوب، وأسلس عبارةٍ وأشف جملةٍ، فإن قبلوه فالحمد لله، وإن رفضوه فسيكون شكّي بطريقتي وأسلوبي معهم لا بهم هم، وحينها فرجائي هو العفو من الله العزيز.

ولن يفوتني أن أتقدَّمَ بالشكر الجزيل إلى كثيرٍ من الأخوة الذين فتحوا قلوبهم لي مؤمنين بكلّ قوّةٍ بمبدأ حرية القول وحقّ الرأي اختلفوا معي أم اتفقوا.. وعلى رأس هؤلاء الأخوة المشرفين الكرام الذين أشكُّ أن يكون لهم نظيرٌ في أيّ شبكةٍ ثقافيةٍ

نزيهةٍ.. فبارك الله فيهم وفي جهودهم التي هي شرفٌ يستحقون عليه جميل الشكر منّا جميعاً وكريم الدعاء بدوام التوفيق والسؤدد والنجاح.

وهكذا مرّت سنواتٌ ثلاثٌ أو تزيدُ، وكلُّ همي الفكري كان في هجر.. وجلُّ وقتي في رحابها. وقد رأيتُني فيها تلميذاً قارئاً أكثر مني ملقّناً كاتباً، مستفيداً من معارف أساتذتها أكثر مني مفيداً لطلبتها!.. ولا زلتُ وسأبقى هكذا إن شاء الله.

والآن وبعد محنة المطارحات مع الآخر بكلِّ أسئلته وتشكيكاته في شبكة هجر التي لم أستطع أن أجد تجاوباً في سواها من المواقع الأخرى اللهم إلاَّ ما كنتُ شاركتُ فيه لفترةٍ وجيزةٍ في موقع سفينة النجاة حيث دخلتُ في حواراتٍ بناءةٍ مع أحد مشرفيها في موضوعٍ عن قضية التحريف للنصّ الشريف، لكنه حيث اعتذر بمشاغله الدراسية، فقد اعتذرتُ عن متابعة هذا الموقع.

بعد هذه المحنة وجدتني في محنةٍ أشدّ إيلاماً وأسوأ وقعاً، بل هي آخر ما كنتُ أتوقعه من شرٍّ لم يعرض لي في عمري كلّه. وحقّاً فإني أشعرُ من قرارة نفسي بالعجز مطلقاً أزاء هذا الشرّ بكلِّ مكره العجيب، وبكلِّ هذا السكوت المريب الذي أخرس ألسنة من كنتُ أتوسّمُ فيهم جرأة القول العدل حين يتسلّطُ الجور والفساد.. إنما لا ناصر إلاَّ الله ولستُ سوى هباءة في مهبّ ريح، فلا قبل لي بقواصف الظلم إلاَّ أن يعين الله تعالى!.. ومع ذلك فقد عزمتُ أن لا استسلم لهذا الشرِّ مهما تجبّر وعتا، ومهما انصاعت له الدنيا حتى يخطّ عليّ الموت مخط القلادة على جيد الفتاة.. وما يلي قصّةُ هذه المحنة الشرّ.. وإنها لشرٌ بحقٍّ.

الشرُّ عندما ينتحلُ كرامة الحق:

قبل ما يقرب من عامٍ ونصفٍ، تعرّفتُ إلى سيدة فاضلةٍ من دولة البحرين، وبطريقةٍ كانت كرامتها ككرامة الطريقة التي تعرفت بها إلى الفكر القصدي!. وما كانت هذه السيدة بالغريبة عن (هجر)، وخاصةً عن مخضرميها، فقد كانت هي أحد أوائل كتابها ومشرفيها. كانت تكتب باسم (إيمان).. ثم أضحت مشرفةً باسم (الهجرية).. والآن فهي باسم (ضفاف)!.

هذه السيدة (جزاها الله خيراً) نبَّهتني إلى أمرٍ غاية في الخطورة يخصُّ القصدية التي سبقَ أنِ انبهرتْ بها بعدما قرأت مؤلفاتها واستوعبتها فهماً ثمّ طبقتها سلوكاً فكانت مصداقاً لما سمّته هي بالقصدية الموقفية التي هي الغاية من القصدية الفكرية.. وأقرُّ بأنها قد تفوّقت في هذا الأمر حدَّ أن اكتشف في نفسي اعتباطاً هائلاً لا زال يعجزني من كثيرٍ منه الخلاص.. والأمرُ لله والتوفيق من الله.

كان الأمر الخطير هو أنه قد وصل إلى علمها أنَّ هناك جماعةً في البحرين تقومُ بالترويج للقصدية بين أوساط المجتمع البحريني، وقالت أنها تعرف عن هذه الجماعة كونها أبعد ما تكون عن دين الله، وقالت أنها تُدعى جماعة السفارة. وعندها تذكّرتُ تنبيهاً لأحد الفضلاء في هجر هو الأخ (ملائكة الغيب) الذي قال بأن ما تدعو إليه القصدية بخصوص موضوعٍ ما هو نفسه الذي تدعوا إليه جماعة السفارة في البحرين،.. وأذكر (وإن ليس مؤكّداً) أنه شكّك بكوننا على علاقةٍ معها، وقد نفينا أي معرفةٍ لنا بها في ردٍّ لنا عليه. وقد حذَّرتني من أن هؤلاء سيشوهون القصدية ما لم نسارع إلى اتخاذ موقفٍ ما بخصوصهم. وبالطبع فما كنتُ لأستطيع اتخاذ أي موقفٍ، إذ ما لي وبمن يروّج للقصدية وإن لغير أهدافها ما دام هو أمرٌ يرادُ له دليلٌ، ولم يكن بوسعها تقديمه ابتداءً. غير أنها ما مرّت بضعة أشهرٍ، لم يحدث خلالها اتصال بيني وبين هذه السيدة إلاَّ وأخبرتني بأن السفاريين قد أصدروا عدّة مؤلفات هي صورة طبق الأصل من القصدية تنظيراً وتطبيقاً، ودلتني على موقعهم لأقرأ المؤلفات هناك.. وحالما وقعت عيني على الكتاب الأساسي الأول الذي عنوانه (مفاتح القرآن والعقل) فقد أدركتُ أنَّه نسخةٌ أخرى من كتاب النظام القرآني، ويشهد الله أنني قرأته ابتداءً من أوله إلى آخره بحثاً عن إشارة أو ذكرٍ للسيد النيلي رحمه الله ظنّاً مني أنَّ هؤلاء لا بدَّ أن يذكروه باعتباره الرائد القصدي الأول.. لكني لم أجد له ذكراً ولا إشارةً أبداً لا في هذا الكتاب ولا في غيره من باقي مؤلفاتهم.. وكان هذا وحده كافياً لأن يجعلني على يقينٍ من صدق هذه السيدة، وعلى يقينٍ من لا أخلاقية هؤلاء!.

وبعد التعمّقِ في قراءة مؤلفات هؤلاء الذين تلبسوا باسمٍ جديد هو (جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية) وجدتُ فضلاً عن الانتحال تشويهاً مرعباً كان القصد منه

الوصول إلى نتائج مسبقةٍ بعيدة كل البعد عن القصدية الشريفة.. وثبتَ لي حقاً أنهم انتحلوا القصدية انتحالاً بيّناً ولغاياتٍ هي غير التي تهدف إليها حتماً.. وقد تبيّنت لي تلك الغايات لاحقاً عبر معطياتٍ كثيرةٍ احتفظ بتفاصيلها لحين انتهائي من كتابٍ قيد التحرير يتعلق بهذا الانتحال.

وحين قدمتُ للبحرين أوائل هذا العام (2006) نشرتُ مقالاً مطولاً من حلقتين في جريدة الوقت البحرانية، أثبتُ من خلاله حقيقة الانتحال والتشويه السفاري للقصدية بأدلةٍ كثيرةٍ جداً. لكن الغريب أن المقال لم يحرّك من مثقفي البحرين، ولا علمائها ولا واحداً!.. وصدقاً فقد استغربتُ من هذا، ولم أجد له تفسيراً رغم انتشار المؤلفات القصدية هناك. ولكني من بعد تجربةٍ مريرةٍ في موقع (البحرين أون لاين) أدركتُ السبب واضحاً وجلياً، فقد أمكن للسفاريين أن يخترقوا المجتمع البحريني اختراقاً سافراً لم يخدعني معه الترويج القائل بأنهم قلّةٌ لا أثر لها. واللبيب يفهم مغزى هذا القول. ويكفي أن هذا الموقع قد قام في الأخير بنشر مقالاتٍ تسقيطيةٍ بحقّ الفئة النزيهة من علماء البحرين ورجاتها المخلصين تحت ستارٍ مخادعٍ من نقد الحكومة البحرينية.. وآخر ما تناوشته يد التسقيط هو العلامة البحريني المعروف الشيخ محمد السند حفظه الله، ولا أشكُّ لحظةً واحدةً أن التسقيطيين يعملون بأجندةٍ سفاريةٍ تمهيداً للصعود كبديلٍ قياديٍّ لشيعة البحرين في المستقبل القريب. وكذلك العلامة الشيخ عيسى قاسم حفظه الله. فليراجع من يشاء هذين الرابطين:

http://bahrainonline.org/showthread.php?t=156318
http://bahrainonline.org/showthread.php?t=156209

وقد ردَّ السفاريون على مقالنا بحلقةٍ خاتمةٍ من سلسلة حلقاتٍ أطلقوا عليها (صمتنا لن يطول) نشروها في الصحيفة البحرينية شبه الحكومية (الوطن). وكانت تلك الحلقات تهدف أصلاً للردّ على كاتبة بحرانيةٍ معروفةٍ خرجت من تنظيمهم السري وتمرّدت على أحلامهم الضغث، فنشرت مقالاً متعدّد الحلقات يزيّف الإطار المعرفي لهم القائم على حلمٍ (غريبٍ) لرأسهم المدعو عبد الوهاب البصري الذي استشرت بين طبقات المجتمع دعايات هائلة عن روحانيته وقدسيته!، مطالبةً إياهم بمراجعته وتغييره، وكان مقالها في غاية الحرفية وقمة من قمم المقالات الأدبية الرائعة التي أفصحت عن أخلاقيةٍ عاليةٍ ونفسٍ مهنيٍّ متزنٍ. وقد أفصح ردّهم علينا

وعلى هذه الكاتبة (التي أعتذر عن ذكر اسمها فقد لا ترغب بذلك) عن المستوى اللا أخلاقي والإرهابي الذي لم يتورع عن وصمنا بكلِّ الصفات المشينة، بل ولم يتورّعْ حتى عن قذف المحصنات من النساء المؤمنات!..

ولمتابعة حلقات السفاريين نقدّم هذا الرابط:

limit=0&http://www.alwatannews.net/default.a...rt=asc

وحينها فقد لزمني أن أكتب جواباً يفنّد ادعاءاتهم وتخرصاتهم، وكان مفترضاً أن ينشر في نفس الصحيفة التي نشرت مقالي الأول، وليس في صحيفة "الوطن" حيث نشروا مقالاتهم رغم إعلانها عن استعدادها لنشر أي ردٍّ، لأني أحمّل إدارة هذه الصحيفة سماحها بنشر عبارات القذف والشتائم بحقّ الأغيار، وهي بذلك تكون قد أخلّت بواجبها المهني والأخلاقي.. وعليه فلم أكن مستعداً للتعامل معها. لكنَّ صحيفة الوقت اعتذرت عن نشر جوابنا بسببٍ عجيبٍ ينوّه عن تعرضها لضغوطٍ من جهاتٍ ما!.. وبالطبع فإكراماً لهذه الصحيفة لن أذكر ما هو هذا السبب.

الغريب أن الردّ السفاري على مقالنا قد نُشرَ في صحيفة الوطن البحرينية مشفوعاً بمقالٍ تهريجي يصفّقُ بشكلٍ مشينٍ لهؤلاء السفاريين ويصفهم بما لا فخر بعده، والمقال يعود لكاتبٍ يعرف العديد من مخضرمي هجر وأعضائها المعاصرون انتهازيته الفكرية المقيتة وطروحاته سيئة الصيت.. وهو هو المدعو (أحمد الكاتب) صاحب كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي)!. وفي مقاله هذا وجّه نقداً عنيفاً للمرجعيات الشيعية كافةً متهماً إياها بأنها تحارب جمعيةً حرّة ذات فكرٍ متحرر و.. و.. الخ من العبارات المتملقة التي يدرك نفاقها كل حرٍّ حقٍّ.. إذ يكفي أنه (أي الكاتب) يعلم أن هذه الجمعية (جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية التي هي الواجهة الاعلامية للسفاريين) تروّجُ للسفارة البصرية التي ينكرها هو بنفسه أي إنكارٍ.. وسبق له أن شدّ يده على من حارب هذه الجمعية في كتاباتٍ نشرها على موقعه على شبكة النت. وتجدون مقال الكاتب على هذا الرابط:

id=24126&http://www.alwatannews.net/default.a...ticle

رجاءٌ بقراءة مقال:

فيا أحرار هجر.. يا أخوتنا في الله.. أياً ما كنتم ومهما كان موقفكم من القصدية وطروحاتها.. أدعوكم إلى أن تقرؤوا جوابنا على السفاريين الذي عزَّ عليَّ نشره في البحرين، فقرّرتُ نشره هنا في هذا الموقع الصادق الشريف، وكلّ ما أقصده هو درء الخطر الفادح الذي هوّنَ منه المروّجون للكذب السفاري على كافة المنتديات البحرانية. وشخصياً فقد أصبحت على يقينٍ من أن السفارة قد تغلغلَتْ بين أوساط المسلمين الشيعة في الخليج وغير الخليج بعد عملٍ دائبٍ استمر طيلة أكثر من عشرين عاماً وبدعمٍ مخابراتي دوليٍّ كاملٍ، وبغفلةٍ عن العلماء والفقهاء المخلصين.. وكانت أكثر استفادته من أجل بسط نفوذه الخفي هي من القصدية التي انتحلها ورتّب عليها نتائج غاية في الخطورة على المسلمين كافةً. وهنا أعلن براءة القصدية من هذا النتائج التي هي حصيلة انتحالٍ وتشويهٍ متعمّدٍ للقصدية القرآنية الشريفة.

فهل سيبقى أملي ضعيفاً بكم يا أحرار هجر وغير هجر؟

أقول: ليس لي من بعد الله تعالى إلاَّ أخوة كرام أتوسّم منهم عوناً في إنقاذ القصدية من براثن أناس لا ذمة عندهم ولا حياء ولا ذمار، ولا أشكُّ لحظةً واحدةً بعمالتهم للصهاينة والأميركان بدلائلٍ جليةٍ ترفض كلّ تبرير، وتأبى كلّ تهوين.. وعلى جميع أصحاب المروءة وخاصةً في دول الخليج ومنها البحرين توعية الناس بحقيقة الانتحال السفاري للقصدية وخطورة هذه الفئة الظالمة على الدين والأمة، وتفعيل كل ما من شأنه ردعها عن لا أخلاقياتها وقبيح دعواتها.. وألاَّ فإني قد أفضيتُ بحجتي وأديتُ واجبي غير منتظرٍ سوى رحمة ربي ومغفرته عن كل زلةٍ وسوء. فهي وحدها ما أصبوا إليه في دنياي وآخرتي.. ورحم الله من أعان مظلومٍ على ظالمٍ.

غداً سنخطُّ مقالنا المرفوض نشره في البحرين إن شاء الله، وعلى شكل حلقات.

بين قحط السراة وجنة النيلي!

في ردّهم على قضية الانتحال الذي اتهمناهم به عبر مقالٍ لنا سابقٍ، جاء السادة (جماعة التجديد) بما لا ينبغي للمثقفين الأحرار السيرَ على وتيرته من التشنُّج العصيب والانفعال بالغ المدى. ففي غضون سلسلة المقالات التي نشرتها هذه الجمعية تعدَّى الأمر فيها خطَّ الدفاع عن براءتها الى الهجوم غير المبرَّر على جميع الشخوص المنتقدةِ للإطار المعرفي والممارسي لأعضائها، درجة محاولة تسقيط الجميع بالجملة. وفي هذا مفارقةٌ واضحةٌ لما يعلموه جيداً من إنَّ مجرّد التخالف المعرفي أو النقد العقلاني، أو التفكيك الدقيق للمدَّعيات لا يبرّر الطريقة التي انتهجوها في التعامل مع الخصوم، خاصّةً وأنهم يرفعون دوماً وفي كلّ مناسبةٍ شعارات حقّ الآخر في الاعتقاد، وفي تقبلهم للانتقاد، ويعلنون عن تسامحهم حتى مع ناوئهم.

فمن أسفٍ إذن إن يشتطَ كُتّابُ هذه الجمعية في خطابهم الإثاري الذي لا نرى وجاهةً في أن يتقلّده من ينادي بالتجديد مهما أشتدّت عليه الوطأةُ من مخالفيه.

إنَّ وَضْعَ الأمور في نصابها من أجل إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقّه، يتطلّبُ حسن الظنّ بالآخر ابتداءً وإن بدرت منه دعاوى لا أساس لها.. بل يتطلب الأمر مهنياً الابتعاد عن قذف الأحكام بحقّه من دون تبصُّرٍ، والتركيز على ما يقوله وتحليل ادعائه، ثمَّ الاجابة على إشكالاته بروحٍ منصفٍ وطويةٍ سليمةٍ ونيةٍ صافيةٍ، ولا أقلَّ من معاملته بنفس أسلوبه.. وهذا ما افتقدناه للأسفِ في سلسلة المقالات التي نشرتها جمعية التجديد من على صفحات جريدة (الوطن) البحرينية.

وبقدر تعلّق الأمر بنا فقد جاءت خاتمة مقالاتهم راميةً بقذائفٍ تجهيليةٍ أثارت فينا مشاعر الإشفاق والرثاء لما وصلت إليه حالهم (العصابية) التي جمعتنا في خانةٍ واحدةٍ مع كلّ التيارات الأخرى المتضادة فكرياً ومعرفياً والتي وقفت بوجه هذه الجمعية وأفكارها، وكلٌّ من زاويته، بالرغم من أنّنا لسنا في معرض المخالفة الفكرية بقدر ما نحن في معرض إثبات الانتحال الفكري للقصدية، والتشويه الذي

جرى لمبانيها وتطبيقاتها.. الأمر الذي نعتقد أنها فشلت فشلاً ذريعاً في ردّه أو نقضه، وأوّلُ دليلٍ لنا هو الطابع العصابي الذي يفتعل التشنُّجَ والتسقيطَ في مجمل خطابها الذي لا يكاد يفترق عن أكثر الخطابات الرجعية المنغلقة التي تنادي بتجديدها.

وهذا رابطٌ تجدون فيه ردّنا الأول على جمعية التجديد المنشور في جريدة الوقت البحرينية:

http://www.hajr.biz/forum/showthread.php?t=402804109

نحنُ لم ننطلق في موقفنا من جمعية التجديد استناداً الى مرتكزٍ ثقافيٍّ، بل الى موقفٍ أخلاقيٍّ حتّمَ علينا إشهار ما رأيناه من انتحالٍ للمنهجية القصدية التي لا زلنا نجهد في سبيل تقديمها للآخرين كمعلمٍ فكريٍّ مفارقٍ. ولقد كان مقالنا الذي نشرته جريدة الوقت بهذا الشأن عامراً بدلائل الانتحال والتي تطلبُ رداً عقلانياً رزيناً من شأنه أن ينفي تدنّي أخلاقيات المدّعى عليه لا أن يثبتها ابتداءً. فموقفُنا لم ينبعْ لا من عداء شخصيٍّ إذ لا نعرف ولو عضواً واحداً من جمعية التجديد، ولا من تخالفٍ معرفيٍّ قد يتطوّر الى صراعٍ تهاتري كما يحدث غالباً بين المثقفين، ولا من غرضٍ سقيمٍ أو عرضٍ قاصدٍ. إذن فعندما قمنا باتهام جمعية التجديد بجريمةٍ اخلاقيةٍ أساساً تتعلق بانتحال المشروع القصدي وأدلينا بحجّتنا واضحةً، فقد كنّا نأمل أن نلقى منهم ما يناقضها دونما تهويشٍ ولا تزييفٍ، لا أن نلقى من الإسفاف فوق ما كنا نتهمهم به!. ومع هذا فقد عبّرنا عن احترامنا الشخصي المسبق لهم.. وهو الاحترام الذي (حلمنا!) بأن نلقى ولو شيئاً ممّا دونه، اتكالاً على ما سبق وردّدوه من جميل الكلام عن احترامهم لمخالفيهم.. ومع ذلك فلن يردعنا (حسن خلقهم!) عن الثبات على حسن ظنّنا حتى بعد بخسنا حقّنا.

مآخذٌ أولى:

ساداتنا في التجديد: هبكم أنّنا لم نكن على حقٍّ في ادّعائنا عليكم بالانتحال، فهل يعني هذا أننا (أصحاب ضغائن، جاهلون، مدّعون، أغبياء، تجار مال، جامدون،

مغرضون، ناقمون، فاجرون، معاركون، مماحكون) وهي جميعاً ألفاظٌ وردت في ردّكم علينا بصورٍ شتّى؟!.. فكيف إذا كنّا على حقٍّ فعلاً؟!.. كيف إذا كنّا قد فصّلنا موقفنا بالدلائل المتوالية التي لم تردّوا عليها إلاّ بأسلوبٍ انتقائيٍّ ممتلىءٍ بدعاوى جديدةٍ فيها الكثير ممّا لا يليق بكم وبذكائكم؟..

ألا يجدر بأمثالكم من دعاة الثقافة والتجديد (الاسلامي) أن تعفُّوا عن هكذا أساليب مؤسفة تسيء إليكم، والتي لا يعجز خصومكم الردُّ بمثلها أو بأسوأ منها لو سمحت لهم أخلاقهم الانجرار إليها؟. ذلك أنَّ السلوك الذي يناقض القول هو ممّا يُسقِطُ قيمة القائل وإن كان قوله صائباً.. فكيف بكم وأنتم تنادون بأمة السراة العظيمة التي قائدها القرآن الحقّ الذي أخرجتموه من جعبة الأمة اللاغية فوقه كما تقولون؟!.. القرآن الذي يؤكّدُ على الخُلُقِ العظيم وصون اللسان من الهمزات واللمزات!. لا يا أخوة.. لا تعاتبونا حتى وإن توهَّمتم فينا سوءاً إذ يفترضُ بأخلاقكم أنها أرفع منّا بما لا يقاس.. لأنها أخلاقُ بابٍ تقيٍّ.. أخلاقُ متّصلٍ بقُدسٍ أين نحنُ منه!

السقفُ إذ يخرُّ:

لننظر الآن الى ما كانوا دبّجوه ردّاً على اتهامنا لهم بالانتحال، لا عبر التفكيك المباشر لكلّ أقوالهم، بل عبر التركيز على أساسيات ما جاء في ردّهم، وهي كثيرةٌ، محاولين الوضوح ما أمكننا وإن تطلّب الأمرُ تطويلاً قد يضجُّ منه القاريءُ الذي نأملُ أن يعذرنا إن رأى من قلمنا ما لا يليق.

وفيما يلي الأسس (الحصينة!) لردّ جمعية التجديد على مقالنا مع تعليقنا عليها:

الأساس الأوّل: بين الادّعاء والغبار تأتي السرقات:

لقد قال القائل في جمعية التجديد ما نصّه: **[آخر الغبار ادّعاءٌ بارد بسرقة المشروع كلّه من مفكّر عراقي (المرحوم النيلي)!]**

وقبل التعليق نسألُ جماعة (التجديد): هلاَّ عرَّفتم أولاً بالأسس التي ترتكزُ عليها منهجيةُ مشروعكم حتى نعرف إن كان مسروقاً كلُّه أو نصفُه أو بعضُه؟!

نحن نرى أن كلَّ مشروعٍ قائمٌ على منهجيةٍ مسروقةٍ، هو مشروعٌ مسروقٌ بأكمله إلاَّ إذا نُسِبَتْ المنهجيةُ لصاحبها، وعندها فيمكن عدُّه تطويراً أو تفريعاً للأصل. فمشروع (التجديد) قائمٌ على انتحال المنهجية القصدية كما هي شاخصة لكلِّ من عرفها وقرأها. والمقصود بالمنهجية القصدية هو جملة الأسس والقواعد التي يقوم عليها فكر (النيلي) القصدي المُنتحلةُ في مشروع (التجديد) السراتي. ليس هذا وحسب، بل لقد لاحظنا وذكرنا في مقالنا السابق أمثلةً على ما هو أكثر تأنيباً، إذ أن جمعية (التجديد) لم تكتفِ بانتحال هذه الأسس الفكرية، وإنما بالاضافة الى هذا، قامت بانتحال تطبيقاتٍ فرعيةٍ للقصديةِ من جهةٍ، وبتشويه قسمٍ من تطبيقاتٍ عديدةٍ من جهةٍ أخرى، فضلاً عن مجاراتها للقصدية في مواضيعها مع عكس النتائج. وسنأتي في بحثنا المفصّل عن الانتحال المؤمل إنجازه قريباً بأمثلةٍ كثيرةٍ هي غير ما ذكرناه في مقالنا الآنف.

وعلى هذا فمشروع (السراة) في أساسياته وبُنيته دون كثيرٍ من نتائجه هو مشروع القصدية لا مشروع التجديد!

نعم.. لقد رأينا تطبيقاتٍ جديدةً لدى التجديد (ولعلهم أخذوها من غير المرحوم، كما أفصحوا بخصوص التطبيقات التي جاءوا بها مماثلةً لما أظهره د. عبد الصبور شاهين، واعتذروا عنها بأنها لم تقع بأيديهم مع أنها طبقت الخافقين وارتدت على الدكتور شاهين بما هو معلوم من اللوم والتبكيت وحتى التكفير!)، ولكن تطبيقاتهم هذه قائمة على منهجٍ ما هم بمؤسِّسيه، ولا هم بمكتشفيه كما زعموا، بل أنتحلوه من القصدية بالذات وهذا ما بهتناهم به سابقاً، وسنؤكده لاحقاً وبصورة أكثر جلاء.

وفي تطبيقاتهم ــ التي لم يصلنا العلم يقيناً بانتحالها ــ لم نغمطهم حقَّهم، بل أنصفناهم عندما قلنا أنهم (هم) أحسنوا دبج الكثير منها ممّا يصبُّ في الاطار القصدي، وباركنا لهم هذا.. مع أسفٍ صادقٍ (ازداد بعد جرأة اصرارهم) بأن نبارك لمنتحلين!..

وفوق هذا فلم نرهم في حلقتهم الخاتمة قد ردّوا بحرفٍ واحدٍ على كثيرٍ مما أثبتناه من انتحالٍ وتطبيقات مشوّهةٍ لكتاب النظام القرآني الذي وجدنا كتابهم (مفاتح العقل والقرآن) صورةً طبق الاصل منه. ففكرة الكتابين هي ذاتُها، وأسسُ التنظير

فيهما واحدةٌ مع اختلاف طريقة عرضها.. لم نرهم ردّوا رداً شافياً على أيٍّ ممّا أوردناه، بل قاموا بتهوين بعضه بطريقةٍ من يرتكب عظيماً ومع ذلك تراه يقلّلُ من سوء فعله الذي يَحْسبُ أنه لا يستحقُ أخذَه به!. فلكأنَّ ما قاموا به رائحة شواءٍ ثمنها رقص دراهم!.

الاساس الثاني: ورطة التناقض في الردود:

لقد تعجَّبنا من تيهِ السادة كُتَّابِ جمعية التجديد الثقافي في التناقضات الواضحة الكاشفة عن وهن وفراغ حجتهم. وهذا مثال على هذه التناقضات التي امتلأت به حلقتهم الخاتمة:

ففي أول ردِّهم يقولون:

(.. ودليل هذا أنّ بعض من ناقَشنا في أفكارنا وقواعدنا القرآنيّة، بعد وصول كتاب المرحوم لأيدينا، ننصحهم أحياناً بقراءة (نظامه القرآني) لأنّ فيه من شواهد النقض ما يُغنينا احتجاجه،..)

ثم تراهم بعدها يقولون:

(ومع هذا فنحن من أسّس قواعدنا في كتابنا "مفاتح القرآن والعقل" بناء على الاستفادة المتراكمة من بناء من سبقونا، بزيادة مجهودنا لمدّة سنين، ومعظم قواعده المستلّة من كتاب الله لم يقلها أحدٌ من قبل ولا تُوجد في كتب أحد حسب اطّلاعنا، وإلاّ فليتفضّل أحدٌ بتعريفنا بها ويدلّنا على مصدرها النقليّ ، "ليأتِ لنا بكتبٍ وُجدت قبل كتابنا، فيها قاعدة الضمائر كما وضّحناها، وقاعدة اللامذكور، ومعنى القسَم الإلهي، وسيادة القرآن على المرويات، وقاعدة الوحدة الموضوعية، ومعنى أسباب النزول، والنسخ، والقراءات، والتأويل، والمحكم والمتشابه، والتقييد والتخصيص، وفق نهجنا، وطبقات القراءة والإيحاءات في الآية، وتجاوز المدلول التاريخي للفظة!"، هذا الكتاب الصغير الذي يستطيع القارئ تلمّس الفرق الكبير في المضمون بينه وبين كتاب المرحوم القيّم، لم يكن إلاّ فصلاً واحداً مضغوطاً من كتاب موسوعيّ كبير سمّيناه (الهجرة إلى القرآن المهجور) أشرنا إليه وأخّرنا إبرازه!) ..

وبعد ذلك يقولون:

(للحقّ وخلاف ما زُعم فإنّ السيد المرحوم لم نرَ له للآن تطرّقاً لخاصية الضمائر في القرآن، ولا صيغ المفرد والجمع، بالمعنى التي بها يصيرُ كلام الله هو وحي الملائكة المدبّرين)

فنسألهم: هل حقّاً أنّ معظم قواعد كتابكم (مفاتح العقل والقرآن) لم يقلها أحدٌ، ولا توجد في كتب أحدٍ حسب إطلاعكم؟!!.. وهل حقّاً أنّ المرحوم لم يتطرّق لما ذكرتموه؟

إذن فكيف أدّعيتم في الفقرة الأولى السابقة أنكم تحيلون من يناقشكم في قواعدكم على كتاب النظام القرآني للمرحوم النيلي (السابق على كتابكم) الذي فيه من شواهد النقض ما يغنيكم احتجاجه كما قلتم.. فنسألُ: ينقضُ ماذا؟ ومن خلال ماذا؟. أليس النقضُ هو لقواعد الاعتباط من خلال قواعد النظام القرآني التي هي نفسها التي تتحدثون عنها في كتابكم المفاتح؟!.. لماذا تحيلون محاوريكم على شواهد كتاب النظام دون أسسه؟!!

ألا يعرف كلُّ العالم أن النظام القرآني سابقٌ على كتابكم بسنواتٍ عديدةٍ بما لا يمكن معه قبول ادعاءكم بأنكم لم تقرأوه؟! فكيف تتحدّون مثل هذا التحدي وكتاب النيلي الذي تحيلون الناس إليه نصبَ أعينكم؟! لماذا لم تستثنوا وتقولوا أن قواعدكم ليست موجودة إلاّ في كتاب النيلي إذ هو بين أيديكم؟ ألأنها ستكون واحدة من اثنين: إما أن يكون النيلي انتحل منكم أو أنتم انتحلتم منه؟. فهذا إذن هو الأمر المسكوت عنه والظاهر من ثنايا ردّكم!

فلينتبه القاريء أنهم يتحدُّون العالم حتى بعد اطلاعهم على كتاب النظام القرآني الذي يموهون بتصنّعٍ أنه حدث لاحقاً بعد فراغهم من مؤلفاتهم!. ومعلومٌ أن هذا الكتاب يقومُ على أساسٍ من رفض المجاز والترادف والحذف والتقدير والتكرار، وفي غضون هذا الرفض تطرَّق المرحوم لقضية الصيغ المتعددة للمفرد والجمع بكلٍّ تفصيلٍ (ليقرأ من يشأ موضوع "الفرع الرابع: في التقيد بصيغ الاسماء والصفات" الذي في غضونه موضوعٌ فرعي هو "وجب التقيد بصيغة الجمع إذا تعدّدت الجموع" حيث يجد هناك التفريق بين الألفاظ "أخوة" و"إخوان"، و"عباد" و"عبيد" وذلك في الصفحات من 60 ــ 71). وأيضاً يقومُ على أساسِ رفض حاكمية السنة على القرآن كما هو جليٌّ في صفحة 20 موضوع (حكمه على السنّة)، وأيضاً يقوم على التأكيد

على عائدية الضمائر في آيات القرآن وخاصةً في جزئه الثاني المسمّى (نظام المجموعات) المنشور منذ سنين تتوف على الثمان بمختلف الوسائل المتاحة والمؤمّلُ أن ينشر خلال هذا العام من بيروت، حيثُ جاء في كتاب النظام القرآني ما نصه:

[وعلى مصطلحات المنهج اللفظي فإنَ عائدية الضمائر تكون كآلاتي: (تدخل الضمائر في المركبات فلا يحصل التباس مطلقاً· ولكن في التراكيب المستقلّة المعنى يعاد الاسم نفسه، ولا يستبدل بالضمير لنفس السبب أي لرفع الالتباس والدقّة في أداء المعنى إلاّ إذا كان احتمال عائديته إلى غير المسمى المقصود يساوي صفراً) وهذه الطريقة لا يستعملها، بل لا يقدر على استعمالها أي مخلوق ويمكنه في عين الوقت المحافظة على النظام الكلي للكلام ومحاسنه الأخرى] النظام القرآني ص163 -164.

وإذن فالأمر هو بخلاف ما يدّعون أو يتصنّعون عدم العلم به من عدم تطرّق المرحوم لعائدية الضمائر وانفرادهم بهذه القاعدة، وبغيرها من القواعد الاخرى·

وهذا تناقضٌ لهم آخرٌ، فقد قالوا: **(بحثنا "الخلق الأول" العالميّ، نَقض بحث المرحوم "أصل الخلق بين الأنا وبين الولاية" المذهبيّ، النازل أسواقنا عام 2005 بمقلوب نتائجنا، ومقلوب تفسيرنا للآيات، لقد كتب مُنشئ (القصديّة) نفسها (ره) كتابَه عن الخلق····الخ)**

لنسأل جمعية التجديد: هل كلمة (منشيء القصدية··) هذه إقرارٌ على حين غفلة بما تنكرون؟!

نعم·· فالذي نعلمه ويعلمه الكثير ممن قرأ للمرحوم النيلي: إنَّ القصدية كمنهجٍ فكريٍّ شاملٍ (لا كفكرةٍ مشارٍ لها هنا وهناك) لم تعرف قبل مؤلفاته· فهو (منشيء) القصدية كما اعترفتم بأنفسكم· وهو من أسسّ أساسها وأشاد بنيانها وأقام أركان قواعدها عبر كتبه: النظام القرآني واللغة الموحدة والحل القصدي·· وكلها منشورة بطريقةٍ أو بأخرى ومنذ سنوات تسبق نشر أول بحوثكم السراتية·· فكيف تناقضون أنفسكم فتقولون أن لا أحد قد جاء بما جئتم به من قواعد في (مفاتح الكتاب والعقل) مع أن هذه القواعد هي ذاتها قواعد القصدية؟!· فعن قليل جعلتمونا نفهم أن القصدية خرجت من جعبتكم، والآن تصرّحون بأن منشيء القصدية هو غيركم·· فأي تناقض أكبر من هذا يا تجديد؟!

الاساس الثالث: تبرير الانتحال:

في رد جمعية التجديد وردت العديدُ من تبريرات الانتحال التي يتحجّجُ بها عادةً كلُّ منتحلٍ يقف أمام محاكم الملكية الفكرية في الدول المتحضّرة، والتي تُرفَضُ دوماً من قبل القضاة.

فمن هذه التبريرات قولهم: **(فإذا كان ما توصّل إليه المرحوم من كشفه لنظام قرآني، حقًّا، وهو أمرٌ مسبوق، فمجرّد الادّعاء بانتحاله ينقض كونه حقّاً ويجعله اختراعاً، فالحقّ كأيّ شيء طبيعيّ هو واحدٌ، وقد يكتشفه اثنان وثلاثة لا رابط بينهم، لأنّه "كشف"، وهذا أمرٌ بديهي، أمّا "الاختراع" وهو أمرٌ ذهنيّ فلا يُمكن اتّفاق اثنين لا رابط بينهما إلاّ إذا رضينا بالصدفة، ومع ذلك فقد دلّت العلوم التطبيقيّة والتجارب بأنّ توصّل أناس إلى شيء في بلد، يُسهّل إمكان اكتشافه لدى آخرين لا رابط معهم، وفسّروه بأنّ الوعي البشري كمجموع له نوع اتّصال ووحدة!!)**

وهنا نقول:

أولاً: كيف يكون مسبوقاً وقد ادّعيتم أن أحداً ما لم يقل بما قلتموه من قواعد لنظام القرآن التي أتيتم بها وتحدّيتم العالم أن يذكر كتاباً ذكرها قبل كتابكم؟.. هل تقصدون أنه مسبوقٌ بكشفكم أنتم؟!.. وهل مجرّد قول بعض المثقفين بفكرة وجود نظام للقرآن الكريم دون التنظير لهذا النظام يعني أن المنهجية سبق وتمّ التطرّق لها تفصيلاً؟. واضح أنّه فرقٌ واسعٌ وكبيرٌ بين التنويه عن فكرةٍ ما وبين التنظير للمنهجية التي تؤكّد الفكرة تفصيلاً وبتطابقٍ لا تخطئه عين بصير.

ثانياً: فلنفرض أن النظام القرآني لم يكن كشفاً لحقٍّ بل مجرّد اختراع، فهل هذا يبرّر انتحالَه بحجة أن العقل البشري له نوع وحدة كما تقولون؟! فعلام إذن تقوم محاكم الانتحال إذا برّرتموه في كل حالاته؟!

ثالثاً: هل يقع كلُّ أحدٍ على نفسِ (التفاصيل الجزئية) للحقّ؟! وخاصةً إذا كان الحقُّ يتمثّلُ في منهجٍ فكريٍّ متكاملٍ، أو في نظريةٍ معرفية (لا علمية) مصاغةٍ ضمن متغيراتٍ كثيرةٍ جداً لم يتّفق على أكثر تفاصيلها أحدٌ على مدى عصور حتى بروزها على يد المرحوم النيلي في قصديته الأصل ثمَّ لديكم في سراتكم المنتحلة؟ نعم قد يحدث أن يتوصّل عالمان في الفيزياء مثلاً الى كشف حقيقة (علمية) محددةٍ

في آنٍ واحدٍ رغم عدم اتصالهما· ولكن أن نفترض أن هناك من توصل لنفس تفاصيل النظرية النسبية التي قال بها (اينشتاين) مثلاً وبدون أي اتصالٍ ولا تراكمٍ معرفيٍّ واضح المعالم فهذا هو الهراء بعينه! إلاَّ إذا قلنا أن القرد يمكنه أن يأتي بقصيدة لشكسبير عبر آلاف الطرقات على الطابعة، ولو أخذت الطرقات من عمره كله!

رابعاً: إن مسألة عدم إمكان القول بانتحال الحق لمجرّد كونه حقّاً يمكن أن يكشف من قبل آخرين·· هي تماماً بخلاف المنطق والقرآن الذي يدعي أهل التجديد امتلاك مفاتح تدبّره· فما يقولون مثلاً في من ينتحل آيات من الكتب السماوية ويشوهها ويدعي أنّها من تأليفه وهي حقٌّ·· أو في من ينتحل أحاديثاً شريفةً وينسب مضمونها إلى نفسه وهي حقّ·· وهكذا في وقائع لا تحصى·· فهل يتعيّنُ علينا أن نقول أنهم ليسوا منتحلين طالما أنهم كشفوا عن حقٍّ بغضّ النظر عن أي شيء آخر؟·· أشعر بأني أستهين بعقل القاريء إذ أدخلُ في هكذا تحليلٍ على ما هو من الواضحات!!· أليست مشاكلنا الأخلاقية تتأتّى أساساً من انتحال حق الأغيار ثمَّ التصرّف به؟!

خامساً: هذا التبرير الواهي عن وحدة العقل البشري هو آخر صيحة سمعنا بها لدرء صفة الانتحال مطلقاً على كلِّ مدَّعٍ ومنتحلٍ يتلبَّسُها·· وأحسبُ أن قاضياً ما لو سمعه لضاعف العقوبة عليه من حيثُ أنه استهانةٌ غيرُ مقبولةٍ بعقول الناس وقيمهم، ومن حيثُ أنّه تبريرٌ يسوّلُ للمنتحل والسارق استمرارَ انتحاله وسرقاته كما يشاء!·

سادساً: لنتنازل ولنقل أنّكم ما كنتم تعلمون فعلاً بمؤلفات النيلي، أو أنّكم توصلتم للمنهجية القصدية في نفس الوقت الذي توصّل فيه هو إليها، (وهو مجرّد قول افتراضي منّا) فهلاَّ سبقتم طرح كشوفاتكم (العظيمة) لهذا الحقِّ بشرحٍ مفهومٍ لخطواته كالذي قام به المرحوم النيلي ــ عبر تنظيره المفصل للمنهج القصدي في كتابيه: (الحل القصدي للغة) و(اللغة الموحدة) ــ ومن خلال تنظيرٍ عقلانيٍّ واضحٍ ومتّسقٍ لا من خلال إحالات مبهمة على اللسان العربي المبين والعلوم العربية الصحيحة كما تصفونها في كتابكم (مفاتح القرآن) مع أنّها محل ردٍّ ونقضٍ من قبلكم أنتم، أم تقصدون بهذه العلوم ما لم يؤسّسُ بعد؟! وألاَّ أين نجدها في غير المصنّفات

المليئة بالاعتباط، التي لمّ تصح عند منهجكم المنتحل من القصدية؟! أم علينا أن نصدّقَ أن الإمام الغائب نَحلَكُمْ هذه الأسس نحلاً في أحلامكم فلستم مطالبين بالتنظير لها· (وإذن ·· هلاً أبقيتموها في غياهب سراديبكم؟)!

وأخيراً: فمشكلتنا معكم يا أهل التجديد ليست في أنّ النظام القرآني هو حقٌ يحتملُ أن يقع عليه أحدٌ ما·· مشكلتنا هي في أن التنظير لهذا النظامٌ قد تمّ انتحاله مباشرة من القصدية بدون نسبه لأهله·· فهنا جوهر الموضوع·· فقد كان عليكم أن تنسبوا هذا التنظير لصاحبه وإلاّ فإنّ أهدافكم لن تكون لها علاقة بما ادّعيتموه من قصديةٍ في مشروعكم السراتي·· بل ستكون هي ضدّه حتماً·· لذلك فإن الانتحال هنا إضافة لكونه جريمة بحدّ ذاته فهو تخريب للقصدية وهدم لقواعدها وهذا ما لا يسعنا السكوت عنه فكشفنا عن الانتحال علناً دون تردّدٍ غيرةً على القصدية من أن تقع وتشوّه بأيدي المنتحلين!·

وأيضاً تتبدّى دعاوى جمعية التجديد المهوّنة لعظيم انتحالهم من خلال هذا الكلام: **[فتّش البعضُ عن (فضيحتنا) و(سرقتنا) بحسب لغة تُجار المال الناضبة من إيمان العارفين والاحترام، فلم يجدوا إلاّ سطراً من أربعة عشر بحثاً! كلّ مفكّر يُعظّم القرآن، يستطيع قوله، لوجوده في كتاب الله وفي حديث النبيّ (ص) وأهل بيته (ع) يقول بحاكمية القرآن واشتماله على أسرار علم الأوّلين والآخرين، ادّعوا تشابه هذا السطر الوحيد من بحوث تحوي بإحصائيّة تقريبية مائة ألف سطر، مع سطرٍ قاله المرحوم! فيالفضيحتنا! (إنّما يُفتضح الفاجر) كما أخبرت زينب (ع)!]**··

لن نعلّقَ على تعبيركم المؤسف (بحسب لغة المال الناضبة من إيمان العارفين والاحترام)·· فالقاريء المتابعُ يعلمُ أن القصديين ما كانوا يوما أصحاب مطامع ولا شهرة، بل أن بعضهم نال من بعضكم استهانة لعدم وصول شهرته الآفاق كما وصلت شهرتكم بمشروعكم السراتي فعاب علينا أن ننشغل بكشف الانتحال الذي لن ينالنا منه معكم إلا تعباً وعناءً وتجهيلاً عن التهليل والترويج ورفع الرايات والتسليم على الوزراء! فإن كان اتهامنا لكم بالسرقة والانتحال لا يعبّر عن خُلقٍ ولا احترامٍ فلتكفّ الناس عن الشكوى من السُراق ولتتنازل عن حقوقها طالما أنّ في ذلك عدم احترامٍ لمن تملكُ دليلا على أنهم من السارقين!·· ألا أنّكم ليتكم أثبتُّم عدم الانتحال لكنّا اعتذرنا إليكم بالاحضان·· لكنّ ما نفعلُ للمنتحل إن كابرَ، وللسارق إن عاندَ؟!

فعوداً إلى الفقرة السابقة، نسألُ: هل حقّاً أن المسألة مسألة سطرٍ واحدٍ يا جمعية التجديد؟!

لقد جئنا في مقالنا الأولي بفقرةٍ كاملةٍ من كتابكم مؤلفةٍ من ما يزيد على (120) كلمة وكشفنا أنها استلالٌ متطابقٌ تماماً مع ما جاء في فقرتين متباعدتين أولهما في بداية كتاب النظام القرآني للنيلي والاخرى في آخره. فما هذه المكابرة المكشوفة؟

فمرّةً تقولون أنها جزئياتٌ تمَّ بحثها من آخرين قبل أن يبحثها النيلي، ومرّة تهوّنون على أنه عقلٌ بشريٌّ واحدٌ يتخاطرُ، ومرّةً تأتون ببديهيةٍ عجيبةٍ عن أن الحق إذ كان حقّاً فلا يحق لأحد أن يرتب على هذا دعوى الانتحال، ومرّة تضربون المثل التهريجي عن البيضة والحليب.. ومرّة تجعلون من الفقرة سطراً.. فلكم الحجة والبرهان ولنا الله يا أخوان!

ليلاحظ القاريء أنهم في رأس مقالهم الخاتم قد وصمونا بالادعاء.. الادعاء الذي يجعل الحليب وكل مشتقاته مأخوذٌ من البيض لتشابه بياضهما.. ولكنهم هنا يحاولون تبرير من يسرق الحليب نفسه بحجةٍ أنه ملكٌ مشاعٌ ما دام هو حقاً، وما دام الوعي البشري له نوع اتصال ووحدة.. فيجوز أن يقع الكشف لهذا الحليب هنا وهناك، وبالتالي فهو للجميع فتسقط بذلك كل دعوى للانتحال. أقول: على هذا المنطق فما حاجتنا لإتعاب أنفسنا بالشرائع والمحاكم.. فالانتحال والسرقة ليسا سوى أوهام!!.. وأحسب بعدما (آمنتُ!) بهذا المنطق التجديدي (المظلوم!) أنّ الشاعر السراتي القديم قد أخطأ عندما قال:

ولا أغيرُ على الاشعارِ أسرِقُها ـــ غنيتُ عنها وشرُّ الناس من سرقا

فقد كان عليه ما دام سراتياً أن يقول:

(بلى) اغيرُ على (الأفكارِ) اسرِقُها ـــ (شبعتُ منها) (وخَيْرُ) الناس من سرقا!!!!!

وهذا البيت لطرفة بن العبد.. الشاعر الجاهلي الظريف!

وهكذا أيها السادة.. لكم أن تتحدّثوا ما شئتم عن (جغرافيا لأنبياء)، أو عن

(اسطورة)، أو عن (عصيانٍ لآدم)، أو عن (بين آدمين)، أو عن (ليلة قدر) أو غيرها·· تحدَّثوا عن علاقتها بمؤلفات النيلي·· وقارنوا نتائجها بنتائج النيلي وبيّنوا من الاختلاف ما هو بدرجة التقاطع بين الاثنين·· فلن ينفي هذا عنكم تهمة الانتحال لمنهجيةٍ قائمةٍ افتريتم بتشويهها وعملتم وفقاً لهذا التشويه فأظهرتم مخلوقاً عجيباً لا يُدرى ما هو!·

الاساس الرابع: تزامن السراة وجنة النيلي!:

فقد قالوا:

[فنقول: بحساب رياضيّ كيف تُسرق أربعة عشر بحثاً يحتاج إعداد بعضها فوق خمس سنوات، ويتزامن انتشارها مع خروج كتب النيلي في أسواقنا؟!! أيّ منطقٍ هذا؟]

ونقول: ليتكم أعطيتم حجة أفضل من هذه يا أهل التجديد؟! فهل على الناس أن تصدّقَ كلَّ ما تزعمون بمجرَّدِ الإدّعاء وبدون تقديم أيِّ دليل؟!· فما نعرفه عن التزامن الذي ينفي احتمال الانتحال في كلِّ المحاكم الفكرية التي تطلب الدليل لا التهويش بالكلمات هو أن يكون وقت ظهور البحوث ونشرها واحداً أو يكاد يكون واحداً لا أن تكون وفاة مؤلف الكتب جميعها قبل انتشار أول بحوثكم بخمس سنوات (توفى المرحوم عام 2000 وقد نشرت كل كتبه أيام حياته بطريقة أو أخرى)· وأما نفي الاطلاع فهذا ما نطالبكم أنتم باثباته لا العكس· وهذا ما تجري عليه سمة التحقيق في الانتحال في العالم كله إلاَّ عند جمعية التجديد؟!! ثم كيف تثبتون أن أيَّاً من بحوثكم يحتاج إعدادها لخمس سنوات وخصوصاً أن خطة البحوث وتسلسلها وعدد المشتركين في إعدادها وتوقيت نشرها غير معروفة؟!· فهلا أخبرتمونا بهذه التفاصيل حتى نستطيع الحكم وخصوصاً أنكم تلوّحون بوجود بحوث جاهزة أخرى في متن بحوثكم المنشورة لا يعرف سبب تأخير نشرها· فكلُّ قصَّةِ المشروع السراتي لغزٌ غيرُ مفهومٍ!

نعم·· فهكذا تبني جمعية التجديد كل بنيانها في رد دعوى الانتحال بنفي الاطلاع على البحوث والذي لا نعرف كيف يستقيم؟!

فكلُ ما وصلنا من مؤلفاتهم السراتية منشور في طبعته الأولى عام 2005، والعالم يشهد أنَّ المؤلفات القصدية بدأت طباعتها الرسمية من عمّان ــ الأردن مع أحد أهمّ كتبها التأسيسية وهو النظام القرآني ــ قراءة في المنهج اللفظي.. وذلك في عام 1999 أي قبل انتشار مؤلفاتهم بحدود ست سنوات!. على أن كل المؤلفات القصدية كانت منتشرة في العراق وغير العراق منذ عام 1996 عبر ثقافة الاستنساخ وعاش على هذه المؤلفات كثيرون في ظلّ حصارٍ جائرٍ حينها، وكذلك تمّ بعد وفاة المرحوم بقليلٍ نسخ آلاف السيديات الحاوية للمؤلفات القصدية من قبل أصحاب المكاتب، وكل هذا دون أن يكون بمقدور ورثته السيطرة على هذه الامور. وفضلاً عن هذا فقد نُشرت المؤلفات على منتديات شهيرةٍ منذ عام 2003 كمنتدى شبكة هجر الثقافية أولاً ومنتدى البحرين أون لاين لاحقاً وفي مواقع أخرى، وأيضاً تمّ التنويه عن المؤلفات القصدية في مقالاتٍ متفرقةٍ في صحفٍ وكراساتٍ مختلفةٍ.. فهل حقّاً إذن أن قد تمَّ تزامنها نشراً مع مشروعكم السراتي العظيم؟ ..!

وهل حقاً أنَّ لا رجال ولا نساء لكم في العراق أو عمان او بيروت.. أو دمشق حتى تتعللون بهذا العذر الواهي (في أسواقنا)!.. وهل حقّاً ما قلتموه في مكانٍ آخرٍ من مقالكم من أن أحداً من البحرين لم يسمع بالسيد النيلي إلاَّ عام 2004؟!. فقد قلتم: (ولم يسمع أحدٌ في بلدنا بالسيّد النيلي إلاّ عام 2004)!!

لا يا سادتنا في التجديد فما هكذا تورد الإبلُ، ولا هكذا تُدْفَعُ التُهم!

ثمَّ ماذا عن ذلك الجدال الذي صمّ الاسماع بخصوص القصدية والذي شاركت فيه نخبٌ من المؤسستين الدينية والعلمانية طيلة سنواتٍ، أتريدون أن نصدّق أنكم بعيدون عن كلِّ هذا مع أنَّ حاسة شمّكم جاست خلال كل الديار ومضت بعيداً حتى الى أعماق التاريخ كما قلتم، بل وانتقيتم أكثر من الف وخمسمائة كتابٍ ليس منها كتاباً واحداً للنيلي.. فعجباً لمن يستهين بعقله فيصدّق هكذا كلام!

أكثر من هذا فقد رأيناكم تستشهدون في أحد مؤلفاتكم (الخلق الأول صفحة 200) بمقالٍ لكاتبٍ عراقيٍّ معروفٍ هو الاستاذ القدير ناجح المعموري الذي لا توازي شهرته شهرة المرحوم النيلي، ونتاج المرحوم أكثر منه بكل تأكيد. والغريب أن هذا الاستاذ هو من نفس بلدته وهو أكثر من صديقٍ له وحضر كلّ محاضراته..

فكيف تفسّرون هذا الانتقاء غير المعقول، كيف وصلكم نتاج المعمـــوري دون النيلي؟!

بل دعونا نسأل: لو أنكم كنتم أنفسكم مقتنعين بهكذا ردٍّ لتهمة الانتحال الواضحة فهلاً رددتم علينا فوراً بعد أن بهتناكم بهذه التهمة بدلاً من المماطلة في تأخيرِ الـــردّ لمدَّةِ قَرُبتْ من شهرٍ، وبدلاً من حشر الردّ في سلسلةِ ردودٍ على آخرين لا علاقة لنا بهم، وبدلاً من هذا اللف والدوران والحجج الواهية؟! بل أنتم تـــدرون أن لـــو كـــان بامكانكم نفي الاطلاع المسبق حقاً لما احتجتم لاطالة أمد إظهار الرد.. ولا احتجـــتم لكلِّ هذا الشتم السَّبْ، بل كان يكفيكم اثباته وحسب!

فما من عاقل بعد هذا التزوير يصدق أن مثلكم لم تقع بيده القصدية ومن زمان طويلٍ.. ما من عاقلٍ يصدّقُ أنَّكم وقعتم عليها بعد فراغكم من سراتكم، لكنه يـــصدّقُ أنَّكم ما خططتم سراتكم إلاَّ وهي شاخصة الانتحال ممّا سبقها من قـــصديةٍ عـــامرةٍ. فهكذا تستقيم الأمور على نصابها!

الاساس الخامس: تمويه الأسئلة وتصنّع اللا معرفة:

تتالت الأسئلة المموهة من جماعة التجديد عن وجـــه علاقـــة مؤلفـــاتهم بفكـــر ومؤلفات النيلي التي خالفوا بعضها في النتائج بزاويةٍ 180 درجة كما يقولون!!

ونجيب أسئلتهم تلك جملةً بالقول: نعم لقد اختلفتم في نتائج الكثير من التطبيقات التي تعرض لها المرحوم النيلي رغم أنكم بنيتم تطبيقاتكم على منهجيته المنتحلـــة.. ونحن نتسائل هنا معكم كيف ولماذا هذا الاختلاف؟! وسنجيب حتماً حتـــى يعـــرف القاريء الكريم كلَّ قصَّة سراتكم!

فأولاً نسأل: أليس من الصدف المستحيلة التي لا يصدّقُها عاقلٌ أنَّ من بين كـــل التطبيقات المحتملة في هذا العالم نجد أغلب بحوثكم لا تخرج عن تطبيقاتٍ تعـــرَّضَ لها المرحوم النيلي بالذات؟!

إذن فإن أسئلتكم التي تتصنَّعون البحث فيها عن العلاقة قد أثبتت العلاقة بنفسها!

فهناك تطابق لا يخطئه ذو بصرٍ في عناوين بحوثكم وتطبيقات المرحوم المبثوثة في مؤلفاته· وهذا ما كفيتمونا التفصيل فيه بأسئلتكم المصطنعة·

وأما النتائج التي تختلف 180 درجة كما تقولون فهي عليكم لا لكم!

فأولاً: هي تثبت أن المنتحل يقصد تعمُّدَ الانتحال بحرفنةٍ حتى لا تنكشف جريمته· وهذا ما يشدِّدُ العقوبة في المحاكم لأن السرقة المنظمة والمدبرة أكبر من السرقة التي تأتي من عاميٍّ لا يفهم خطورة سرقته!

وثانياً: هي تثبت التهمة الثانية عليكم والتي ذكرنا شاهداً واحداً عليها في مقالنا الأول والتي سنزيدها الآن وضوحاً وكشفاً وهي تهمة التشويه (المتعمَّد) للفكر المنتحل· لكن هذه المرة لن نحسن الظن كما فعلنا في المرة السابقة (عند تحليل مثال نوح والفجار) فنرجع السر إلى عدم التمكن من المنهجية المنتحلة وحسب!· فقد تجمعت بين أيدينا الكثير من الشواهد التي تبرز أن النتائج المخالفة للقصدية فعلاً هي نتائجٌ مرسومةٌ بدقَّةٍ وتوصِلُ كلُّها لهدفٍ واضحٍ ومحدَّدٍ بذهن من انتحلها، وليست هي مجرد عجز عن استخدام المنهجية المنتحلة!

فهذه قضيَّةٌ أنتم بالذات قد تعرضتم إليها في كتابكم (مسخ الصورة ــ سرقة وتحريف تراث الأمّة) والذي بحثتم فيه انتحال وتشويه ومسخ تراث الأمة ونسبتموه لليهود· ولا ندري ما العلاقة بينكم وبينهم وأنتم (تنتحلون) أسلوبهم أيضاً وللأسف الشديد؟!

ولا ندري أصدفةٌ أن يكون هذا البحث الذي تفرَّدتم به وواضح أن ليس فيه أي شأن بالقصد ولا استقراء بحثي لآيات القرآن الكريم، بل مجرّد استشهادات قرآنيةٍ (بحوالي عشرين آية) لنتائج معدّة سلفاً، ومجمَّعة من هنا وهناك وخاصّةً من حوالي (55) مصدراً من الأنترنت كما هو مكتوبٌ في ثبت المصادر!، ولم يتطرق إليه المرحوم فعلاً في كافة بحوثه؟ أم ما من صدفة بل هو بحثكم أنتم في كيفية تشويه ما تنتحلوه من المرحوم على غرار ما فعله اليهود بتراث المسلمين؟!!

نعم·· إن المتأمل بعمقٍ للنتائج الكثيرة التي خالفتم فيها المرحوم النيلي لا يجدها إلاَّ عملاً مدَّبراً مقصوداً به تشويه قصدية المرحوم من أجلِ أهدافٍ نريدكم أن

توضّحوها بدون تزويرٍ ولا تزييفٍ يا تجديديون حتى نعرف حقيقة التجديد الذي جئتمونا به!.

أقول هذا لأنَّ حتى الأعمى يمكنه أن يلحظ التناقض بين ذكاءكم المبهر في انتحال أسس القصدية بحرفنة وبين (لا ذكائكم!) الطاريء في الوصول إلى نتائجٍ مخالفة تماماً عن التي في القصدية التي تدعونها للوصول إلى نتائجٍ أخيرةٍ يبدو أنها محدّدةٌ سلفاً وتصبُّ أساساً في خانةٍ واحدةٍ وهي تغييرُ كلِّ تاريخ وجغرافيا هذه الأمة!

فلا ندرى حقاً أيَّ سببٍ يجعل لهذه النتائج التي توصلتم إليها في مشروعكم السراتي العظيم تلك القيمة العظمى لأمة السراة العظيمة؟!.. نسأل هذا لأنّنا ندرك أنَّ الغاية الأساسية من القصدية هي تحفيز الأخلاق في عمق الفرد من خلال درء الذاتي بالموضوعي وعبر تطبيقات تأخذ بالمجامع والقلوب وتشحذ العقول الى مزيد من البحث والتقصي عن حقائق الدين والأشياء بعد الحذر من الأنا الغالب دوماً بين سطور المفكرين.. وليس غاية القصدية مجرّد فضح قما عملته الاعتباطية من تخريبٍ في ضمائر الناس عبر إخفائها للحقائق التاريخية او الفكرية، ثمّ التباهي بكشف هذه الحقائق. فهذا جزءٌ بسيطٌ من واجبها الأساسي وهو تعميق الحسّ الخُلقي في الضمير الجمعي تلقائياً بعد تحفيزه لدى الأفراد.

التجديد لم تزل تتبع نفس الخطاب ذي النفس القومي الذي ألفناه بين التيارات السياسية والحزبية النفاقية التي غمرت الساحة طوال القرن الماضي. فهي ليست تجديداً في الحقيقة بل مجرّد ترديدٍ جازف بالنشاز بعدما وقع على فكرٍ حسب أنه قادرٌ أن يمتطيه على حين غفلةٍ من أهله. ولكن هيهات!

إن الفكر القصدي هو فكرٌ هجوميٌّ أساساً.. هو فكرٌ يريد أن يدخلُ في الصميم، وكان الذي يميّزه هو جرأته المنقطعة النظير، لأنها جرأة من هو على صدقٍ، وعلى ثقةٍ غير مغترّةٍ من أنه على حقٍّ وأصالةٍ وإبداعٍ مختلفٍ.. ومن هنا تتبدّى أخلاقياته التي يبدو أن (التجديد) قد عميَ إلاَّ عن انتحالها<!!

فبحثكم العالمي في جغرافيا الأنبياء (وسواه من بحوثكم السراتية) ما وجدنا فيه ما يزيدنا علماً ولا وجدنا فيه ما يدفعنا الى شيء من خُلُقٍ أو تقوى، بل هو مجـرّدُ بحثٍ يسحر أصحابَ أهواء همّهم مجرّد الإثارات فلا يفهمون من القصد ولا القرآن شيئاً فرضوا وهلّلوا وصفّقوا لما كشفتم اللثام عنه من نتيجةٍ غير متحققـة إلاّ عنـد بحوثكم التي تحتاج الى التحقّق أصلاً، والتي هي باختصارٍ: إخلاء منطقةٍ تمتدُّ مـن (الفرات إلى النيل) من تراث الأمّة وحصرها كلها في (شبه جزيرة العرب)، لا بـل في جزءها الغربي وحسب!

ولن أزيد في هذا فليقرأ قارئ بالعين البصيرة لا المبهورة بحوثكم (العظيمـة) التي بها تفتخرون وليتساءل في نفسه عما جئتمونا يا أهل التجديد بـه مـن قـصدٍ، ونعني بالقصد ما هو من صميم الأخلاق، لا مجرّد نتائج البحـوث، إذ واضـحٌ أن سلسلة ردودكم خلت إلاّ من أخلاقٍ غير مرضيةٍ أبداً!... وهي الاخلاق التي حـدت بكم من أجل تبرير نتائجكم المخالفة تماماً للقصدية الى ما هو عجيبٍ من محـاولات التسقيط للآخرين بمن فيهم من انتحلتم فكره ومنهجيته وهو السيد النيلي نفسه!· فهـا أنتم تدّعون أنه قد خالف القرآن الكريم في مسألةٍ فضائية رحلات جلجـامش التـي أبانها تفصيلاً في كتابه (ملحمة جاجامش والنص القرآني) وما لكم من دليلٍ مفـصحٍ عن هذه المخالفة سوى آية قرآنية جئتم بها مقتطعةً من سياقها ولم تبيّنوا كيف خالفها بالرغم من أنه قد شرحها وشرح علاقتها بهذه المسألة·

وأكثر من هذا فقد ادّعيتم أنّكم قد فسّرتم اسم (جلجامش) دون النيلي الـذي لـم يفسّره!

فنسألُ: هل يستلزمُ دفاعكم عن أنفسكم محاولةً مثل هذه لتسقيط النيلي وفكـره؟ هل لا بدّ من الصعود على أكتاف الآخرين حتى إذا تمَّ ذلك فلا بـدَّ مـن ركلهـم؟!

أقول: يا له من أسلوبٍ يتصنّع عدم المعرفة بمؤلفات النيلي !فأنتم أيها الأخوة تعلمون أنه فسّره وشرحه في غضون كتابه بطريقةٍ موقّرةٍ هي أشرف من تفـسيركم الـذي جعل من معنى اسمه (جاموساً) وحشياً وبدون أساس حقيقيٍّ!.. فليقـارن مـن يـشأ

التحقّق بين كتابكم عن الاسطورة وكتاب النيلي عن الملحمة·· وليعجب فضلاً عن هذا من كثرة التشابه بين الكتابين في أمورٍ أخرى غيرها لا يسعنا عرضها هنا·

وكذلك تتصنّعون عبر ادعائكم أن ما قاله النيلي عن الطوفان قد جاء في كتابه عابراً!·· بالرغم من أن الطوفان كان في صميم بحثه عن الملحمة وعلاقتها بهذا الطوفان· وأيضاً تتصنّعون من خلال تحوير مفردة (تل عفر) التي لم يجيء بها المرحوم بل جاء بمفردة (تل فاره)!، وأيضاً عبر ادعاءكم أنه قال أن الطوفان قد وقع فيها، بينما هو يذكر أن بركاناً كبيراً لا (طوفاناً) قد وقع وبما نفهم منه أن الطوفان وقع عقب هذا البركان الذي حدث متزامناً مع انفجار عيون الماء·

لكأنّكم بتصنّعكم المستمر هذا تريدون أن تقولوا لو كنّا قرأنا للنيلي ما كنّا أخطأنا، وإذن فلسنا منتحلين!، أم تريدون أن أُحسن الظن وأقول هو مجرّد خطأ مطبعي أو غفلة عارضة منكم؟ ·أنتم بالخيار..!

لكن التقاطع في النتائج لا ينفي التشابه في التطبيقات يا صانعي أمة السراة العظيمة، بل يثبتها كما سبقنا القول، ويثبت من بعد ذلك لا معقولية أي تفسيرٍ له إلاّ الانتحال!، بل أن تفسيركم لأسباب الطوفان الاخلاقية والطبيعية، لو نظرنا إليه كتطبيقٍ فلن نجده يختلف عن تفسير النيلي إلاّ بمجرّد توسعّكم فيه·

فلنختم أسئلتكم المتصنعة عن العلاقة بين بحث النيلي عن جلجامش وبين بحثكم عن الاسطورة بتسائل حقيقيٍّ لا اصطناع فيه ونقول: ألا أخبرتمونا أي نتائج قصدية أبرزتم من القرآن ليعلو صوته فوق صوت الأمة اللاغية يا أهل التجديد في بحثكم هذا كي نرَ هل من تشويهٍ متعمّدٍ لبحث المرحوم القصدي عن جلجامش أو لا؟ !

لقد قام رحمه الله وبأسلوب قصديٍّ متينٍّ بربط جلجامش الأسطورة بشخصية ذي القرنين في القرآن وذلك ليعلو صوت القرآن الذي علا صوتُ المزوّرين والمنتحلين عليه، وليُظْهِرَ من خلال هذا الربط الوجهَ الحقيقيَّ لجلجامشَ، ليُظْهِرَ مثلاً أخلاقياً رفيعاً لا يمكن لمن لديه شيءٌ من ضميرٍ إلاّ أن يتأثّر به ويسعى للاحتذاء به، ·· فماذا فعلتم أنتم بالمقابل؟! حولتم جلجامش إلى وحشٍ في عملٍ سايرتم به سارقي تراث الأمة من اليهود وغيرهم كما تدّعون، وظلت شخصية ذي القرنين في القرآن

فراغاً؟!.. ولو أردنا شيئاً من إنصافٍ لوجدنا أن من سرق التراث الحقيقي هو نفس هذه الأمة اللاغية فوق القرآن ثم تابعتها باقي الأمم في الأكل من ذيلها!.. فلا ندري علام تفخرون ببحوثكم العالمية التي نراها في وادٍ، والقصدية التي تزعمونها في وادٍ آخر؟!.

لنمضيَ ولنرَ تصنّعاتٍ تسقيطيةٍ أخرى تترّس بها التجديديون، فهم يدّعون أن ما قاله المرحوم النيلي عن (البشر) و(الانسان) لم يكن بأثرٍ من نظامٍ قرآنيٍّ!، وكذلك فإنَّ بحثه عن (الشجرة المحرمة) قائمٌ على تنظير للآيات بمنظار روائي لأهداف مذهبيةٍ.

وسنبدأ بالرد على دعوى المذهبية أولاً، فالرد فيها لا يخلو من ظرافة! فنقول:

لله دركم يا جمعية التجديد لو كنتم حرصتم على أن تخلو كلَّ ادعاءاتكم أنتم من آثار المذهبية (أو الحزبية أو الجماعية) التي تلوي النتائج ليّاً!، وذلك من أجل أن يكون ادّعائكم المذهبية على المرحوم في محلّه فنصدّقكم؟!. فكيف بكم وقد أظهرتم علناً في حلقاتكم في صحيفة الوطن دعوى الاتصال بالامام الغائب، ودافعتم عن مفهومكم للبابية الذي لا توافقكم فيه أيّةُ طائفة من المسلمين؟! أليس هذا دليلاً على تمذهبكم أنتم فكيف تدَّعوه على غيركم؟!

فما زعمتموه من أن بحث المرحوم قائم على تنظير للآيات بمنظار روائي لأهداف مذهبيةٍ هو محض افتراء تكذِّبه منهجية المرحوم التي ترفض مطلقاً حاكمية الروايات على القرآن وترفض كذلك علم الرجال رفضاً قاطعاً في حين أنكم اثبتموه في كتابكم مفاتح الكتاب والعقل في تناقضٍ عجيبٍ لا يبرِّره إلا الدوافع المذهبية التي لا تقوم إلا على الرجال ودوافع الرجال!.. بل معلوم أنَّ المرحوم في العديد من تطبيقاته يزاوجُ في استشهاداته بين الروايات من أي مذهب كان بعدما يتثبتُ توافقها مع النظام القرآني بصرف النظرِ عن مصدرها وسند رجالها.. وكتابُ الطور المهدوي (طور الاستخلاف) يفصحُ عن هذا بكلِّ وضوح..

ثم أن القارئ لبحث المرحوم سيجد بنفسه أنه في كل كتابه عن أصل الخلق لم يذكر إلاَّ بضع رواياتٍ من مصادر (الشيعة) تسيرُ مع ما توصّل إليه ابتداءاً من نتائج

من ذات النظام القرآني· فهل عندما تقع النتائج التي يتوصل إليها على ما يوافق مذهباً ما فهذا يعني أنّه رجلٌ يدافع بالضرورة عن اعتقادات هذا المذهب؟! كيف وقد خالف المرحوم بنتائجه في هذا الكتاب نفسه جل اعتقادات الناس في مذهبه، بل وقد حورب من خلال هذه النتائج نفسها؟!

على أي حال نحن نحيل القاريء على بحوث المرحوم ليرى كم يزيِّفُ أهل التجديد بتصنع الأسئلة ما يعلمون خلافه تماماً· فالمرحوم فصّل القول عن هذا الموضوع (البشر والانسان) لا في كتابه أصل الخلق وحسب، بل وفي كتاب الطور المهدوي الذي وصل البحرين مطبوعاً من دار المحجة البيضاء في بيروت منذ أوائل عام 2003 (انظر موضوع "يوم الدين في القرآن" ص361، وكذلك موضوع "موارد يوم الدين في السور القرآنية" ص406)·· وهناك إشارات متفرقة عن نفس الموضوع في كتبه الاخرى كالنظام القرآني في آخر موضوع (مناقشة المنهج اللفظي لأحكام "ثم" وآراء النحويين فيها)·

فهل تراهم يتعمدون مثل هذه الأحكام ليقولوا (انظروا لو كنّا نعلم بمؤلفات النيلي ما قلنا الذي قلناه·· وهذا دليلٌ على أننا لم ننتحل!!)؟!

الاساس السادس: خطف الأفكار:

وهنا نموذجٌ واضحٌ، فقد قالت جمعية التجديد:

[بحثنا (التوحيد) بدأ بآدم، مستقرئاً كتاب الله، وأساطير الأمّة لدى السومريّين والمصريين وحضارات الشام والمندائيّين، وتكلّم عن أرباب التدبير الإلهيّ، ونقض ادّعاءات التوراة أنّ التوحيد بدأ بموسى (ع)، وأنّ حضارات العرب (لا قريش) كانوا مشركين يعبدون الآلهة المتعدّدة، وزعم المفسّرين أنّ النبوّات بدأت بنوح (ع)، ما علاقته بالمرحوم، ولا نظنّه يعتقد هذا؟!]

في مقالي الأولي الذي نشرته صحيفة (الوقت) قلتُ بخصوص بحثهم عن التوحيد (الذي توسعوا فيه كثيراً وانتهوا الى نتائج مطلوب النظر فيها ملياً والتحقق منها عملياً لمعرفة مدى تطابقها مع المعطيات العلمية والقرآنية والتاريخية·· وهي

نتائج لم يتطرق لها النيلي فعلاً) ما يلي: (التوحيد عقيدة الأمة منذ آدم.. فكرة الكتاب منتحلة من "ملحمة جلجامش والنص القرآني). وهذا هو نصّ الفكرة مستلاً من هذا الكتاب: (لَقَدْ كَانَ العراقيُّ يرمزُ إلى جميعِ القوى الكونيَّةِ التي عَرَفَهَا برموزٍ ويَضَعُ عليها إشاراتِ (التحكُّمِ) بالأشياءِ على نَحْوٍ معيّنٍ، ولكنَّ هذا لا يعني أنَّهُ عَبَدَ تِلْكَ القوى أو نَظَرَ إليها كآلهةٍ. وعدا ذلكَ لا نَجِدُهُم يشيرون إلى فكرَةِ الإله الواحدِ بأيَّةِ صورَةٍ حَسَبَ ما صوَّرَهُ لنا الباحثوَن مَعَ استثناءاتٍ أُحيطَتْ بإبهامٍ شديدٍ مما سَهَّلَ عليهم مهمَّةَ الخروجِ بالنتيجةِ الغريبةِ كلَّ الغرابةِ، وهي أنَّ تعدّدَ الآلهَةِ قَدْ تطوَّرَ في النّهايَةِ إلى فكرةِ الإلهِ الواحدِ، بَيْنَمَا الفكرتان تعيشان صراعاً مستديماً منذ فجر التاريخ.) ــ ملحمة جلجامش والنصّ القرآني ص16. وقبلها في موضوع (أهداف البحث) من نفس الكتاب أنكر النيلي على الباحثين اعتقادهم بأنّ العراقي القديم كان يعبد آلهةً كثيرةً، كما قام بتحليلٍ قصديٍّ لسبب ثبات فكرة الآلهة المتعدّدة عند القدماء في أذهان الباحثين وذلك في موضوعين من كتابه هما (رمزية عشتار) و(الرّمزية في الآلهة المزعومة: أيّا–أنليل–إبرا).. وأيضاً أشار إلى هذا الأمر في كتابه الاخر (الحل الفلسفي).

وهكذا فإني تحدّثتُ عن فكرةٍ مضمّنةٍ في مؤلفات القصدية واتهمتُ التجديديين بانتحالها والتوسّع فيها، كشأنهم في أسسهم وجلّ مؤلفاتهم وكثير من تطبيقاتهم.. فمن هنا العلاقة التي يتصنّعون السؤال عنها!.

الأساس السابع: الاستدلال بما هو مفقود!:

لقد تساءل التجديديون عن علاقة النيلي ببحث (بين آدمين آدم الرسول وآدم الإنسان) وتتبّعه لخارطة التواجد الإنساني على هذا الكوكب، في أطواره، حتى بعثات أنبيائه ورسله، وتتبّع مفردات اللغات العالميّة في تكوين الأسرة، وفي هدفيّة الوجود ومحطّاته الثلاث: البشريّة، الإنسانيّة، الرسوليّة، ومسلسل الاصطفاء للتحلّل من الهمجيّة، وكيف شوّه اليهود خطّ الفطرة، ولوّثوا الأنبياء، وخسروا الاصطفاء،.. الخ، كما تساءلوا عن علاقة النيلي ببحوثٍ أخرى لهم هي (ليلة القدر) و(توراة

الكهنة)، وقالوا بهذا الخصوص: (وبالامكان مراجعة موقع الجمعية للاستزادة معرفياً، ولكشف هشاشة الجاهلين)!

هنا لا ندري ما العلاقة فعلاً.. فهذا البحث عن (الآدمين) لم يصل إلينا كما وصل غيره، ولم نجده في موقعهم لغاية اليوم.. فلا تعليق لنا على ما فيه ..!ولا نستطيع الجزم بخلو مؤلفات المرحوم مما يقولوه فيه.. بل يبدو أنّهم يتحدثون فيه كما هو ظاهر كلامهم عن فكرة الاصطفاء التي تطرّق إليها المرحوم فعلاً وشرحها ضمن مؤلفاته كأصل الخلق والطور، بل وتحدّث عن فكرة تعدّد الأوادم في أوائل كتابه الطور المهدوي (طور الاستخلاف)!!.. فلن نقول أن فكرة كتابهم منتحلة من هناك، لن.. حتى نقرأ بحثهم المفقود هذا!

ونفس الامر عن بحث ليلة القدر الذي لم نعثر له على أثر حتى في موقعهم.. اللهم إلاّ إذا اعتبرنا العرض الفني (الذي لا يتجاوز اربع دقائق (عن ليلة القدر وعيد الفطر بحثاً!.. وكذلك الأمر مع بحث (توراة الكهنة)!.. ومع ذلك فإن المرحوم قد ضمن في بداية كتابه أصل الخلق بحثاً عن القدر وليلة القدر كافٍ وافٍ..!

ونعم.. نحن نوافق (التجديد) في نصيحتهم القراء كي يذهبوا لموقعهم لكشف هشاشة الجاهلين كما يقولون.. وسيعرف القراء بأنفسهم من هم الجاهلون!

الأساس الثامن: التمهيد لانتحالٍ آتٍ!:

بعد أن مهّدَ أهل التجديد للانتحال تمهيداً، وحيث أنه من الواضح أنهم لا يجدون إلى مواصلة مشروعهم السراتي بدونه سبيلاً، نراهم هنا وبكلِّ جرأة يعلنون أن انتحالهم سيتواصل فليضرب من لا يعجبه هذا رأسه بالجدار .!فانظر وتأمل فيما يقولون :

[بل كانت لنا مسودّة بحث متكامل عن (الساعة الكونية-الأرضية) كنسخة إلكترونية، كان كتيّب (مفاتح القرآن) يُحيل في كثير من اختصاراته على إظهاره والتوسّع به مستقبلاً، أودعنا فيه الكثير من التفسيرات لآيات الساعة والقيامة وشرح أقسام السوَر القصار وأسرارها واستجلاء المظاهر الكونيّة المرافقة، حتّى فاجأنا تقاربٌ خفيّ شبه نوعيّ مع ما بثّه المرحوم في كتابه (الطور المهدوي)! مع أنّا لم نكن نظنّ أنّه سبقنا إلى بعض هذه الأفكار أحدٌ! فما

أحزننا هذا، ولا أحسسنا بضياع بعض مجهودنا الفكريّ والبحثي، ولا زعقنا بشبهة احتمال انتحال وسرقة!

هنا يدّعون أنهم ألفوا مسودة بحث متكاملٍ، موجودٌ لديهم كنسخةٍ الكترونية أودعوا فيه الكثير ممَّا ذكروه آنفاً.. وبعد هذا فوجئوا بوجود تقارب خفي شبه نوعي مع ما بثه المرحوم في كتابه الطور المهدوي!!!، بالرغم من أنهم ما كانوا يظنون أن قد سبقهم أحد الى هذه الأفكار!!

فلتجيبوا إن كنتم صادقين على هذا السؤال:

لماذا لم تقوموا بنشر هذه المسودة المتكاملة التي تحيلون القارئين لكتابكم (مفاتح القرآن) في كثيرٍ من اختصاراته عليها كما تقولون؟! أليست هي سابقةً على كتابكم (مفاتح القرآن والعقل) بدليل الاحالات اليها في هذا الكتاب فهي إذن أولى بالنشر؟!

فهل نخطيء الفهم إن قلنا أنَّ سبب هذه الانتقائية في توقيت النشر هو أن ما لم ينشر بعد يحتاجُ لمزيد من التشويه لاخفاء الانتحال؟. بل واضحٌ أن السبب في عدم نشر مسودتكم هذه وتصريحكم الجريء بالتشابه هو في كونها نسخة نوعية من كتاب الطور الذي اشتهر أكثر من غيره من مؤلفات النيلي والذي أضحى علماً قصدياً باهراً تأثّر به كلُّ من قرأه، بحيث لو نُشِرَ لأثبتم الانتحال بما لا حجة لكم بعده مطلقاً؟!

ثمَّ ها أنتم أولاء تقلبون الآية من حيث أن أخلاقكم منعتكم من الزعيق بشبهة احتمال انتحال أو سرقة لمسودتكم من قبل النيلي!!.. يعني بالرغم من أن كتاب (الطور المهدوي) سابقٌ على مسودتكم التي لم تنشر بعد، وكان مؤلفه قد توفي قبل تأسيس جمعيتكم بسنتين، وهذا الكتاب قد طبع الكترونياً عام 1996.. فمن الجائزِ جداً أنه منتحلٌ منكم .. فيا لله ولمنطق التجديد!.. وصدق من قال (حدّث العاقل بما لا يعقل فإن صدّق فلا عقل له)

لكن .. نصيحة لكم يا أساتذتنا في التجديد.. (لا تشيروا في مسودتكم هذه الى المرحوم النيلي ولو بحرفٍ.. فما عاد لهذا أي أثر لنفي تهمة الانتحال)!!

خاتمة القول:

لقد تركت كثيراً من الأمور التي ذُكِرَت في مقالهم والتي تحتاج الى التطرُّق لها من حيث أن فيها الكثيرَ ممّا يكشف عن تناقض مدعيات جمعية التجديد.. لكني أحسب أن ما في أبنتُهُ سابقاً غنيةً عن ذكر هذه الامور، ومع ذلك فستبقى في الجعبة حتى نرى ما سيقول كُتّاب هذه الجمعية في قادم الأيام، وحينها فلكلٍّ حادثٍ حديثٌ.. لكني أسأل الله أن لا أضطر الى تفكيك أقوالهم كلمةً كلمةً الأمر الذي قد لا يتحمله القراء رغم أن التحقّق يتطلبه.

ثانياً: الحوارات التي بشأن الجواب

كان الجواب السابق قد نُشرَ على شكل حلقاتٍ تخللّتها حواراتٌ مع بعض الأعضاء، ولأنَّ هذه الحوارات فيها إضافاتٌ مهمّةٌ فقد ارتأينا نشر ما له منها صلة بجوابنا الرادّ على مقال جمعية التجديد دون الحوارات الجانبية التي حاولت تحريفه إلى مواضيع هامشية من قبل بعض الاعضاء. وهذه هي الحوارات:

العضو الأشتر كتب يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لم تقتصر السرقة من قبل جمعية التجديد لكتابات السيد النيلي بل تعدتها لبعض كتاب الأركيولوجيا والتاريخ مثل كتابات السيد كمال الصليبي والسوري فراس سواح. ومن يقارن بينها وبين ما يروج له أدعياء السفارة نجدها لا تخرج عن بضع نصوص اقتبست من هنا وهناك، ولعلهم سرقوا نظرية الحل القصدي للغة ومزجوها بكتابات بعض من كتب عن جغرافيا المنطقة بعيداً عن النص التوراتي ومن ثم روجوا لها في البحرين بالأساس والمقام الأول.

كون المناخ الثقافي في البحرين يسهل عملية ترويج البضائع المسروقة ومن ثم نشر ادعاء الاكتشاف العظيم الذي وقفت عليه جميعة التجديد الثقافية والتي تفيد بأن الجنة ليست في السماء بل هي تحت جبل اسمه جبل السراة وهم أول من اكتشف موقع ذلك الجبل كما في أساطير ألف ليلة وليلة!.

والبحريني الفقير إلى الله تعالى، طبعاً تقتصر ثقافته على ما يتلقاه من على المنابر كل ليلة جمعة أو في مناسبات معينة تحصر أفقه الثقافي ضمن إطار ضيق قائم على ثقافة التلقي المجرد. وهذا لا يساعد في المقام الأول تمييزه البضائع المسروقة عن غيرها من تلك التي يحرمها بعض أصحاب العمائم عليهم!.

والله الموفق

وكتب العضو الوعد الصادق قائلاً:

مع تقديري الشديد لموقفك المخلص للسيد النيلي رحمه الله إلا أني اعتب عليك هذه الحملة (غير ــ القصدية) على الإخوة وقد قرأت ردهم عليك في جريدة الوطن وبالرغم من تحفظي على بعض مبادئهم إلا أني رأيت فيهم أدباً جماً في الحوار.

الضعيف هو من يقصف الآخرين بصواريخ الإقصاء (العمالة، الارتباط بالخارج،..) والذي يكسب آخراً هو الذي يستطيع ان يمتلك بأسه ولا يحكم قلبه قبل رأسه والشديد هو من يملك نفسه عند الغضب.

بالمناسبة أرجو ان تقرأ تحفظاتهم على (القصدية) وعلى نتائج السيد النيلي لعل الله يهديكم ببعض ويجعلكم سبباً لهداية غيركم.

فأجابت العضوة (ضفاف) قائلةً:

مع الاعتذار للقصدي لدخولي على الخط حيث وجدت أن الأخ الوعد الصادق دخل في منطقة أحسبها من اختصاصي..

الأخ الوعد الصادق،،

مع بالغ الاحترام لرأيك كيف قرأت الأدب الجم في حوارهم؟ !!

وهل يتفق معك في هذا المحايدون من رواد هجر الذين يقرأون ردهم على القصدي مثلاً في تهمة الانتحال؟!

أعتقد أن أي محايد يقرأ الموضوع يدرك أن الأخ القصدي ـ جزاه الله خيراً ـ يتصدى (بقصد) لجريمة أخلاقية تتعلق بانتحال وتشويه متعمد للقصدية من قبل أدعياء يدعون علناً الاتصال بالامام المهدي عليه السلام، وفي نفس الوقت هم في غاية الانحطاط الاخلاقي على جميع الصعد. وإن كنت تريد الدخول في نقاش مفصّلٍ عن دلائل هذا الانحدار الاخلاقي فأنا على استعداد تام للدخول معك في حوار آخر عن هذا كوني أخبر في هذه المسألة من القصدي وغيره ..

لذا نصيحتي إليك إن كنت فعلاً تود معرفة حقيقة أولئك القوم أن تقوم بفتح موضوع جديد لمناقشة أخلاق هؤلاء وانحطاطهم الاخلاقي وسأكون حاضرة لمناقشة تفصيلية مهما استغرقت من وقت وجهد لإبراز الدلائل المعروفة وغير المعروفة عن أهداف وأخلاق أولئك البشر غير السوية..

والله الموفق..

فكان جواب العضو (الوعد الصادق):

الأخت ضفاف:

أنا لا أتحدث إلا عن الكلمات التي صاغها من تتَّهمين في ردّهم على أخينا القصدي. تلك الكلمات في تصوري هي فارغة من الشحنات العاطفية التي يحملّها إياها أخونا القصدي. لا أريد الولوج في عالم السفارة والرؤية واللقاء فلم تكن موضوع تعليقي في الأساس.

ما زالت دعوتي للأخ القصدي قائمة بقراءة ردهم بعيداً عن هالة القداسة للفكر (القصدي) الذي هو في تصوري المتواضع ليس إلا وجهاً آخر للعملة الوهابية.

فالوهابية يقدّسون السند وهذا تطرف!

والقصدية تستنكر السند وهذا أشد تطرفاً!

فردّت عليه (ضفاف) قائلةً:

الأخ الوعد الصادق،،

إقتباس:

أنا لا أتحدث إلا عن الكلمات التى صاغها من تتّهمين فى ردّهم على أخينا القصدي، تلك الكلمات في تصوري هي فارغة من الشحنات العاطفية التي يحملّها إياها أخونا القصدي .

تصورك لا يصمد أمام الدليل!

وعليك أن تبرهن على كلامك باقتباسات من كلام القصدي تثبت وجود الشحنات العاطفية ــ كما تسميها ــ كما قام القصدي بتضمين اقتباسات من ردودهم تثبت لاأخلاقيتهم في تعاطيهم مع الخصوم!

إقتباس:

لا أريد الولوج في عالم السفارة والرؤية واللقاء فلم تكن موضوع تعليقي في الأساس .

لم تكن دعوتي الولوج إلى عالم السفارة والرؤية واللقاء.. بل كانت دعوتي الحوار في ما ادّعيته من وجود أدبٍ جمٍّ في حوارهم..

إقتباس:

ما زلت دعوتى للأخ القصدي قائمة بقراءة ردهم بعيداً عن هالة القداسة للفكر (القصدي) الذي هو في تصوري المتواضع ليس إلا وجهاً آخر للعملة الوهابية .

لم تكن هذه دعوتك بل كانت دعوتك التي رددت عليها هي التالي:

إقتباس:

مع تقديري الشديد لموقفك المخلص للسيد النيلى رحمه الله إلا أنى اعتب عليك هذه الحملة (غير ــ القصدية) على الإخوة وقد قرأت ردهم عليك فى جريدة الوطن وبالرغم من تحفظى على بعض مبادئهم إلا أنى رأيت فيهم أدب جما فى الحوار.

الضعيف هو من يقصف الآخرين بصواريخ الإقصاء (العمالة، الارتباط بالخارج،)..

والذي يكسب آخرا هو الذي يستطيع ان يمتلك بأسه ولا يحكم قلبه قبل رأسه والشديد هو من

يملك نفسه عند الغضب.

بالمناسبة أرجو ان تقرأ تحفظاتهم على (القصدية) وعلى نتائج السيد النيلى لعل الله يهديكم ببعض ويجعلكم سبباً لهداية غيركم .

فأنت أدعيت أدبهم الجم في الحوار وأتهمت القصدي باللا قصدية في التعرض لهؤلاء وكشف انتحالاتهم، بل وزعمت أن لديهم ما يمكن أن يهدي القصدية وهم من تعرفهم وتعرف مصادر دعواهم!

إقتباس:

فالوهابية يقدسون السند وهذا تطرف!

والقصدية تستنكر السند وهذا أشد تطرفا !

هذا القول نابع عن جهل بالقصدية.. وموقف القصدية من علم الرجال معروف.. وهو يسير في نسقٍ واضحٍ أصيلٍ ومحترمٍ، بينما نهج أولئك الأدعياء المنتحلين هو الذي لا يسير على صراط مستقيم

فهم مرّةً ينفونه ومرّةً يثبتونه على حسب أهواءهم والدليل تجده في ردهم على القصدي.. والرد عليهم من القصدي آتٍ في بقية الحلقات إن سمحت لنفسك أن تصبر لتفهم ما يدور..

وأرجو أن يكون هذا الرد خاتمة المطاف حتى لا ينحرف الموضوع عن مساره وذلك وفقاً لقرار المحرر الاسلامي العزيز الذي تقرأه أعلاه ..

فإن أردت مناقشة القصدية وموقفها من علم الرجال أو غيره فقد قام أحد الأخوة (العليا) بفتح موضوع آخر لهذا الهدف ..

وإن أردت مناقشة أخلاق أولئك القوم وأدبهم في الحوار فقد أبديت لك استعدادي لمناقشته تفصيلا في حوار آخر..

فأرجو منك أخانا العزيز أن لا تفتح لنا دعاوٍ جديدةً نرى فيها إصراراً على حرف الموضوع عن مساره..

مع الشكر والتقدير..

وبعد هذا جرت مداخلات ثانوية لبعض الاعضاء، ثمّ تدخلت إدارة شبكة هجر قائلةً:

السيد القصدي المحترم

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

مسار موضوعك اخذ يتركز على مشكلة سرقة الضمائر والالفاظ من القصدية، بينما المشكلة التي يجب ان تركز عليها هي استخدام مدعي السفارة للفكر القصدي لسرقة الامام المهدي

عليه السلام نفسه، باعتبار ان القصدية فكرة غامضة، يمكن استخدامها للتسوّر على عمود التشيع وهو: الإيمان بالامام المهدي عجل الله فرجه الشريف. وهكذا فعل ادعياء السفارة كما تشير في كتابتك.

فادعاء السفارة واستخدام القصدية تارة والحدائوية تارة اخرى كأفكار غائمة يمكنها ان توحي للبسطاء من الناس ان هؤلاء يملكون علماً من الامام مباشرة بطريق المشافهة. مستدلين على صحة ذلك: ان كلامهم عجيب غريب وغير مفهوم وغير مطروق من قبل المنتديات العلمية كما يوحون فهو اذن من الإمام شخصياً .

إن هذه النقطة الجوهرية تجعل القصدية كفكرة غامضة أداة من ادوات الضلال، يجب التصدي لها من الجميع. ومن القصدية على الخصوص. لأن بضاعتهم هي التي تستعمل كسلاح لقتل الإيمان. فمن الواجب على من صنع البضاعة ان يضمن التلف. خصوصاً والشبكة تعلم ان رواد القصدية من أهل الإيمان ومن الذين لا يقبلون تداعي البناء الفكري، بل يحاولون التاسيس للتمتين الفكري ما استطاعوا، ولكن استغلال افكارهم يحملهم مسؤولية شرعية كبرى .

ولهذا عليك واجب شرعي كبير وهو البيان بشكل جلي لقضيتين أساسيتين منفصلتين:

الأولى: إثبات عدم امكانية استغلال الفكر القصدي كمنهج تفسيري لدعم أي ادعاء للسفارة. ولا يمكن لمن يملك القصدية مضروبة في مليون من امثالها، أن يكون سفيراً من خلال الفكر والطرح الفكري فقط. ودعوى السفارة تحتاج الى براهين عظيمة وهي ممنوعة في زمن الغيبة.

والثانية: توضيح معلوماتكم الدقيقة عن المغالطات التي ابتدعها مدّعو السفارة. ومنهجهم في التلفيق وكسب بسطاء العقول الذين لا يملكون مقاييس لجوهر المذهب الإثنى عشري. وعن طريقة الكذب. وكيفية استغلال افكار جديدة مهما كانت صحيحة أو غير صحيحة، استغلالاً خاطئاً من اجل تمشية باطل لا يقول به اصحاب تلك النظريات انفسهم .

وبهذا تكون قد اسديت خدمةً لدينك ولمنهجك القصدي بدل زيادة الغموض في عناوين غير واضحة مثل عنوان (بين قحط السراة وجنّة النيلي). فالموضوع لا يجب أن يكون دفاعاً عن الفكر القصدي من زاوية دعوى الاثراء الفكري في القصدية. كما تريد ان توظف مقالك اللطيف، وانما هناك مسؤولية شرعية للبيان للعامة بما أشرنا عليك من نقاط اساسية .

تقبل تحياتنا وتمنياتنا لك بانجاز دفاع مهم عن المذهب الشيعي بعيداً عن التعصب والإلتزام بالمنهج القصدي، مقابل الالتزام بغلق الأبواب على من يستغل القصدية ليطعن المذهب بسيف القصدية نفسه. ويحارب الإمام حرباً شعواء بتحريف المقاصد والسلوك مستخدماً فكراً أنتم من ساهم بنشره .

فقال العضو (منصور أبو الحسن) معلقاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

كلام جميل جداً من الإدارة العامة ونأمل من الأخ القصدي التوفيق للمزيد بهذا الاتجاه العام الذي يخدم الاسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام.

وبعد تنزيل آخر حلقةٍ من المقال، عادت إدارة هجر لتقول:

أيها الأستاذ المبجل السلام عليك ورحمة الله.

نريد منك إكمال الموضوع بعيداً عن محنة القصدية لتضع حدّاً لكيفية التخلص من النزو على الفكر القصدي لتهديم التشيع من الداخل بدعاوى لا قيمة لها. ولا نريد رداً على التعقيبات فالأمر خطيرٌ جداً .

عليك واجب شرعي أن تبني نظرةً معرفيةً جديدةً في الفكر القصدي تسد الثغرة التي فُتحت بعنوان أنه فكر يمهّد أو يساعد على نشر دعاوى السفارة. فانت تعلم ان دعاوى السفارة في العراق بنيت على مناقشة الفكر القصدي بفكر مزوّر وشبيه بالفكر القصدي كما فعل الصرخي وغيره. فمسألة استغلال الفكر القصدي سلباً او ايجاباً لم تكن جديدة في عالم دعوى السفارة وهذا يعني وجود خلل كبير يسمح لهذا الاختراق من خلال هذا الفكر. فهو اما فكر غير ناضج قابل للاختراق، أو أنه فكر ضال اساساً ويُستخدم للضلال بكل سهولة فعليك ان تسد هذه الثغرة وتعدل المعادلة حتى تستقيم الأمور.

الواجب الشرعي متأت من استخدام الفكر القصدي لترويج وتبهيج دعوى السفارة والنيابة المخصوصة. فهو مسؤولية القصدية شرعا ان يبينوا عدم قابلية الفكر القصدي لانتحال السفارة والترويج لها مهما اختلف الفكر القصدي في مناهجه اللغوية مع اللغويين وغيرهم .

موضوعك يُثبت بما لا يقبل الشك ان التلميع الذي قام به ادعياء السفارة هو بافكار قصدية بديعة كما تروي انت بنفسك الآن، وهذا يعني انك لا تنفي ان القصدية الحقيقية مهد فكر يقبل السفارة ولكن المشكلة ان الجماعة سرقوا القصدية، وإلا فهو قابل للحقيقة المشار إليها والوصول الى الحقيقة التي لم يصل اليها شيعي (عالمهم وجاهلهم) اذا كان هذا ما يؤدي اليه كلامك فما تقول؟

لا نطلب منك الردود على المشاركات وانما الاستمرار في تمزيق الدعوى ضدكم. وإلا فلحد الآن انت تثبت ما يثبته المبطلون وتثبت التهمة حول الفكر القصدي، من دون معرفة بحقيقة

الموضوع، كما يبدو من خلال موضوعك الخالي من الدفاع عن تشيعك وانما تدافع عن القصدية كفكرة تفسيرية غير ثابتة علمياً ولا يمكنها أن تصمد حين النقاش العلمي.

أخي الكريم

نحن لا نريد ان نناقش أي شيء يتعلق بالقصدية فليس هذا من شأننا، وانما نريد أن نستفيد من الدفاع في نفي استخدام القصدية لبناء منظومة معرفية غريبة يستفاد من غرابتها امكانية الدعوى بانها من مصدر غير طبيعي، وهنا يأتي دور الدعوى بأن مصدرها هو الإمام نفسه، وأن السفارة غير بعيدة عمن هذا مصدره .

الشبكة تتمنى أن تكون قد فهمت الرسالة .

فعقبتُ (القصدي) على ردود الإدارة قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة الكرام في الادارة العامة لشبكة هجر الغراء المحترمين.

كما ترون.. في إلماعٍ سابقٍ لنا مبتدأ هذا الموضوع فإنه مقال سبقت لي كتابته قبل مدة تنوف على الشهر وتم رفض نشره في صحافة البحرين.. فلزم الأمر نشره كاملاً.. وهذا حقٌ لنا خالصٌ.. فهل تقبلون اعتذارنا بهذا الحق أم لا؟ نسأل هذا لأنكم كرّرتم ما هو زائدٌ على الوضوح في رسالتكم الاولى.

وبخصوص الاستغلال غير الشريف للقصدية من قبل الاغيار والقول أن هذا ناتج إما من كونها فكرة غير ناضجة أو أنها فكرٌ ضالٌ.. وحصر الخلل بين هذين السببين فقط، فأمرٌ يراد له بسط نقاش ..

فأخبروني أخواني الكرام: هل لي حقّ التعليق على أقوالكم التي هي أشبه بالانذار المبطن (وإني لاستشعرها كذلك).. أم عليَّ فقط الاستجابة قسراً لما تسمونه واجبي الشرعي؟

فيا اساتذتي الأعزاء:

حتى أنني ما عدتُ شيعياً ففي حاجةٍ للدفاع عن تشيعي.. بل قصدياً وفي دفاعٍ عن قصدية لا تصمد أمام النقاش العلمي.. وعليه فلا بدّ لي من طرحها.. لكن أين هو هذا النقاش يا أخوة؟ أفي ما سبق من حوارات في بعض النقاط التي أشبعناها بحثاً؟.. أم قد تمّ نقض القصدية في نقاشات كنتُ غافلاً عنها؟

عفواً.. إذا كانت القصدية لا تصمد أمام النقاش العلمي وهذا هو موقفكم المسبق منها.. فما حاجتي إذن لهذا الواجب الشرعي لبيان موقفها المعرفي مما تطلبون؟!

منتظراً جوابكم مع كل احترامي وتقديري لكم أخوتي الأعزاء في إدارة هجر المباركة.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

العضوة ضفاف كتبت بعد هذا تقول:

بسمه تعالى،،
مع الاعتذار مجددا للقصدي على تدخلي الطارئ في مسار الموضوع ..
لقد استرعت انتباهي المشاركات الأخيرة للإدارة العامة والباحث المميز أبو الحسن المنصور والتي فهمت فيها ما يحث الكاتب القصدي على تغيير مسار موضوعه هذا إلى اتجاه جديد أراه مخالفاً لهدف هذا الموضوع بالذات..
وأرى أن أسباب هذه الدعوة تحتاج لتمحيص وتوضيح أكثر حتى يكون الأمر جديراً فعلاً بالاستجابة من القصدي والترحيب من غيره من المهتمين بالموضوع الأساس ...
أقول هذا وفي بالي استحضر أن القصدي كاتب قديم في هجر وله فيها مشاركات وجولات قصدية كثيرة وفي مواضيع كثيرة ومتفرقة.. أي أن هذا ليس هو موضوعه الأول ولا الوحيد حتى يلزم فيه بتغيير مساره لاتجاه معين وإلا حكم فيه عليه بأن موضوعه قليل القيمة أو الفعالية كما يبدو أن بعض المشاركات توحي إليه..
فهذا الموضوع ــ من وجهة نظري ــ إنما يتناول واحداً من القضايا التي تعني كاتبها وكل من يهتم بالقصدية (سلباً وايجاباً) لا غير!
فلا مبرر لمحاصرته في إطار معين يخرج عن هدف الكاتب فيه طالما لم يخرج الكاتب عن الأصول الواجب مراعاتها ولم يثير فيه ما يسيء للشبكة وأهدافها وقوانينها المعروفة!
لذلك كنت أفترض أن أجد من الإدارة العامة بالذات (كما وجدنا من بعض المشرفين على هذه الواحة) حرصاً على عدم حرف مسار الموضوع حسب ما يراه الكاتب واحترام إرادته فيه بأن لا تخرج المساهمات فيه عن هدف الموضوع والذي هو فضح ومناقشة أوجه الانتحال والتشويه المتعمد لأحد الجماعات (بغض النظر عن ادعاءاتها أو عدم أدعاءاتها للسفارة) للأفكار القصدية ..
ومن وجهة نظري أيضاً هذا التناول بالصورة التي يتعرض لها أخونا القصدي هو بعكس ما يتصوره أخونا الباحث أبو الحسن المنصور اتجاهً عامٌ فعلاً، خصوصاً عندما يقاس بغيره وأحسبه يخدم الاسلام ومذهب أهل البيت أكثر بكثير من النقر على الخلافات الاصولية الاخبارية الجزئية في جواز التلقيح بنطفة الأجنبي أو في خلافات أزلية لا نكاد نسمع فيها جديداً بين السنة والشيعة والذي ما زلنا نرى له حماساً غير منقطعٍ من باحثين يلوكون فيه على مر القرون ولا يحثهم أحد ــ إلا قليلاً ــ على تغيير مسار حواراتهم عما هي فيه..!

ولكي أفسر وجهة نظري هذه بعمومية الموضوع (قصدياً) لنتأمل كم أفردت آيات كريمة في القرآن تشنع على اليهود جريمتهم في انتحال وتشويه وتحريف مقاصد التوراة وعبر ذكر كليات تشير إلى بعد تطبيقاتهم وأفعالهم عن إدعاءاتهم وأقوالهم، ولنقارن ذلك بعدد وتركيز الآيات على جزئيات الخلافات (الفقهية) بين اليهود وبين المسلمين مثلاً!

أخال أن أكثرنا لا يرى في هذا التركيز على انتحالات اليهود وتشويههم وتحريفاتهم للتوراة (ولا أظن الإدارة العامة ترى أن ذلك لعيب في التوراة بكل تأكيد) ما يفارق ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله من أن المسلمين سيحذون حذوهم حذو القذة بالقذة ..

ولعلنا لا نخطيء إذن إن قرأنا في مطايا الحديث ما يوجه إلى أن يحذو المصلحين حذو القرآن في فضح ما يقوم به المفسدون أمثالهم حذو القذة بالقذة!

أليس هذا ما نراه فعلا لدى أمثال هذه الجماعات المشبوهة التي لا يبدو أنها تخالف اليهود لا ذهنياً ولا فعلاً في انتحالاتها وتشويهها لا للفكر القصدي بالذات ــ والذي غايته التدبر وكشف حقائق القرآن أساساً ــ بل هو كما يقول القرآن الكريم:

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون * ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون *) الأنعام،(112-113)

و..أليست دعوى القصدي عليهم بالانتحال تأتي أساساً لكشف لاأخلاقيتهم وسوء نواياهم ومخالفة فعلهم لادعاءاتهم وذلك عبر كشف الانتحال والتشويه المتعمد للأفكار القصدية للمرحوم النيلي بالذات وذلك في خطوة تكشف حذوهم لمسيرة اليهود؟!. فهذا هو حذو القذة للمصلح في القرآن كما أسلفت!

كما أنني وجدت أيضاً أن الرأي من الإدارة العامة يستند ــ على ما يبدو ــ على فرضية خاطئة تعمّم بدون برهان واضح على وجود دور للفكر القصدي في نشوء وانتشار الحركات المنحرفة التي تدعي الاتصال بالامام المهدي عليه السلام ...

أقول وجدت هكذا فرضية لأني لا أفهم بدونها سر الالحاح في افتراض وجود علاقة بين السفارة (موضع البحث هنا) والقصدية على أقل تقدير لأنها غير موجودة أصلاً بحسب معلومات موثقة وشهادات من قريب!

فدعوى السفارة التي نشأت في البحرين منذ أكثر من 20 عاماً لا علاقة لنشوءها بل ولا انتشارها بالقصدية مطلقاً.. فقد جاء انتحال القصدية مؤخراً جداً بعد أن انتشرت السفارة فعلاً في البحرين عبر رؤى غيبية ونصوص تنسب للامام الحجة عليه السلام مباشرة ولم تكن يوماً قائمة على منهج قصدي على الاطلاق!

أقول هذا وكنت بينهم لأكثر من 8 سنوات وأعرف أحدى من فارقهم من أقل من سنتين ولم تسمع مثلي بشيء يسمى المنهج القصدي أو ما يقاربه عندما كانت بينهم!

بينما انتحالاتهم في بحوث السراة جاءت مؤخراً جداً وبعد التخلي ــ أي في البحوث نفسها على الأقل ــ عن الادعاء بمصدريتها عن الامام عليه السلام· فمصادر البحوث المزعومة مذكورة في مؤلفاتهم ولم ينسبوا شيئاً منها للامام الحجة عليه السلام في أي من بحوثهم ··

وأما سبب عدم نسبة مصدر البحوث إلى النيلي بالذات رغم ذكر مصادر كثير أخرى ــ ليس منها الامام عليه السلام بكل تأكيد! ــ فإنما نرى ذلك محاولة لاخفاء الجرم حتى لا يكون هناك مجالا للمقارنة المباشرة التي تكشف الزيف والتشويه المتعمد للقصدية التي هدفها فهم المقاصد القرآنية الشريفة ··

وأما جماعة الصرخي فلا أعرف حيثيات ادعاءهم للسفارة وعلاقته بالقصدية فلا شأن لي ولا للموضوع به على ما أظن..!

وبالطبع لا أجد مانعاً ــ بل أراه واجباً وتكليفاً ــ على القصدي أو غيره بملاحقة أي انتحال وتشويه متعمد وخطير للقصدية أو لمقاصد القرآن من قبل أي جماعة سواء أدعت السفارة أو لم تدعيها··

ولذلك لا أفهم مجدداً لماذا يُتعمَّد تغيير مسار هذا الموضوع بالذات الذي يتعرض لفضح وكشف الانتحال السفاري للقصدية؟

ولماذا لا تكون الدعوة بالعكس وهو أن يتم فتح مواضيع متعددة للتصدي لكل محاولات الانتحال والتشويه لمقاصد أي فكر أصيل سواء كان هو الفكر القصدي أو غيره تماماً كما توجد آلاف المواضيع لمناقشة القضايا والخلافات الأخرى الفقهية وغيرها؟!

كما إنني أيضا لا أفهم لماذا أغلق موضوع الأخ العليا والذي فتحه أساساً لمناقشة كافة الاشكاليات التي تتعرض للقصدية والتي يتم إثارتها هنا، وذلك بغض النظر عن أسلوبه (في التحدي؟!) بدلاً من الاكتفاء بلفت نظره إلى تغيير الأسلوب وفتح المجال كاملاً لمن يود اثارة الاسئلة عن القصدية في ذلك الموضوع بدلاً من إفساد هذا الموضوع بمشاركات لا علاقة لها بهدفه؟!

وأخيرا أعتقد أن القصدي والعليا وضفاف وبقية الأخوة المهتمين بالفكر القصدي لم يقوموا بطرح أنفسهم كمؤسَّسين ومروجين لتيار جديد ليطلب منهم أن يعرضوا بضاعتهم بهذا الأسلوب!

فهم كلهم (إن كانوا فعلا قصديين) يرون أنفسهم باحثين عن الحقيقة لا مالكين لها !

فالفكر القصدي تعكسه مؤلفات المرحوم النيلي المنتشرة عبر كل الوسائل·· ومن لديه الاهتمام ويبحث عن الحق في هذا الفكر فالمفترض أن يقرأ باهتمام ويبادر بإثارة الاشكالات الواضحة والمحددة على ما لا يقتنعه في هذه المؤلفات في مواضيع خاصة وسيجد الترحيب منا بكل تأكيد

في الأخذ والرد معه وإن كانت الحجة أقوى لغيرنا فسيرانا معها بإذن الله تعالى (أقول هذا عن نفسي بكل ثقة ولا أظن أخواني في هذا يختلفون)!

إذن كل ما أرجوه من الجميع هو أن تتسع صدورهم فعلاً لا قولاً للاختلاف في وجهات النظر.. وأن تُحترم إرادة الكاتب في طرح أي موضوع مهما كان طالما التزم بأدب الحوار وقوانين المنتدى بدون إلزامه بتغيير مسار موضوعه وحصره في اتجاه معين..

فلا أرى مبرراً لما يبدو أنه اتجاه لحشر كافة الردود والاشكالات التي ترد على أذهان الجمهور على القصدية بالذا ــ رغم سعة ما يمكن تناوله فيها ــ في هذا الموضوع بالذات مع أن الساحة مفتوحة للتنوع في الطرح وباشكال لا حصر لها في نفس المواضيع من قبل أي كاتب مهما كان!

مع خالص التحية والتقدير للجميع..

فأجابها العضو منصور أبو الحسن قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله

سُعدنا بوجودكم ونقودكم البناءة

إقتباس:

بواسطة ضفاف

لقد استرعت انتباهي المشاركات الأخيرة للإدارة العامة والباحث المميز: أبو الحسن المنصور والتي فهمت فيها ما يحث الكاتب القصدي على تغيير مسار موضوعه هذا إلى اتجاه جديد أراه مخالفا لهدف هذا الموضوع بالذات..

وأرى أن أسباب هذه الدعوة تحتاج لتمحيص وتوضيح أكثر حتى يكون الأمر جديرا فعلا بالاستجابة من القصدي والترحيب من غيره من المهتمين بالموضوع الأساس ...

مرحبا بك

فيما يتعلق بمشاركة الادارة العامة الأولى فقد وافقناه بالجانب الذي أشرنا لهم لاحقا فكل نظرية أو نقد أو تحقيق ونحو ذلك لا يخدم الدين بشكل عام والمذهب بشكل خاص ويهدف إلى الدفاع عنه وتثبيت دعائمه فقد يخلو من الفائدة المرجوة.

يقال أن فرقة السفارة اتخذت من القصدية غطاءً لسرقة الامام المهدي وبالتالي سرقة الفكر الشيعي ومحاولة تحريفه (ومنه الفكر القصدي) وعلى هذه الشاكلة ينبغي أن يكون العمل والنية لا مجرد الدفاع عن انتحال القصدية بما هي منهجية خاصة وبما هم منتحلون، بل أن الهدف أعلاه هو ذاته كان هدف المرحوم النيلي في نيته لتخليص المذهب والدين مما علق به

من دواخل أجنبية ولم يكن يهمه من ينتحل ويسرق وهذا ما فهمته منه بالمشافهة حتى أن بعض بحوثه كانت تُنشر بأسماء أساتذة جامعيين ولم يكن يعرِ اهتماماً، بل كان في بعض الأحيان يهدي بعضها لهم واعرف أحدهم بالأسم وحصل على ترقيات علمية كما كان لا يستجيب لكل ناعقٍ وإن بدا بزي العلم والتأليف إلا إذا اقتضى واقع الحال حلول الفتنة كما في الداعي لتأليف الشهاب· وأما هذه النقطة التي أشارت إليها الإدارة بقولها:

إقتباس:

فمسألة استغلال الفكر القصدي سلباً او ايجاباً لم تكن جديدة فى عالم دعوى السفارة وهذا يعنى وجود خلل كبير يسمح لهذا الاختراق من خلال هذا الفكر فهو اما فكر غير ناضج قابل للاختراق أو أنه فكر ضال اساسا ويُستخدم للضلال بكل سهولة فعليك ان تسد هذه الثغرة وتعدل المعادلة حتى تستقيم الأمور ·

فلا أتفق معها بالرأي ولكم الحق بنقدها وإلا فماذا نقول لمن انتحل التشيع وليس بمتشيع؟!· وقد ورد الوعيد والتحذير ممن انتحل ولاية أهل البيت عليهم السلام أو من انتحل الاسلام بشكل عام مما يبرز إمكانية حدوث ذلك وحصوله فعلا بشواهد كثيرة· فهل يوجد خلل كبير يسمح بانتحال الاسلام والولاية وكون الفكر الاسلامي والشيعي غير ناضج وقابل للإختراق أو أن الفكر الاسلامي فكر ضال ويُستخدم للضلالة والتلبيس على الناس كمثل الفكر الصوفي الذي تُعرف منه دعوى العرفان والاسم الأعظم والمكاشفات ولذا يستخدم الاشارات الباطنية كألفاظ وافكار متشابهة وغامضة يمكنها أن تؤثر بنفوس العوام وتوحي للناس ان هؤلاء يملكون علماً من لدن الله مما قد يفعل بالنفوس أنها تفر من التعقيب عليهم فضلاً عن نقدهم وعدم طاعتهم باعتبارهم الذين أخذوا عن الله بالمشافهة وعاينوا بالمعاينة بدليل ان كلامهم غير مفهوم وغير مطروق كما يوحون ولا يستطيع فهمه إلا من أوتي حظ عظيم أو نال شرف موالاتهم وتتلمذ على أيديهم ليعرف مقاصدهم ويهضم اصطلاحتهم ويذوق من حلاوتهم· وهذه مشكلتنا معهم ولذلك نرى (بخلاف ما ترى الأخت ضفاف) أن من الأولى مناقشة هؤلاء قبل غيرهم لأنهم كما وصفهم الحديث الشريف قطاع طرق· فإذا ثبت أن لدى جماعة السفارة فنوناً تلبيسيةً وتأطيراً فكرياً وعملياً كمثل تلك التي لدى الصوفية من العامة والخاصة فلا بأس بكشفهم مع أني لا أرى ذلك حيث لم تصل خطورة السفارة كخطورة الصوفية العارمة حيث يروج سوقها الفكري والسلوكي في كل يوم باستقطاب الملايين من الشباب والتلبيس على قلوبهم·

وأما أن الإدارة حاصرت الأخ القصدي بإطار معين يخدم لضرب القضيتين ببعضهما البعض (قضية القصدية بقضية السفارة) كما اتضح من مداخلة الادارة الثانية، فهذا ما لم أقصده من ثناني على الإدارة بل وضحت نقطة الثناء في إطار جعل الهدف الأسمى هو خدمة العقيدة

وتخليصها من الدواخل كما فعل النيلي في الحل الفلسفي مثلاً. وبذلك يكون الدفاع عن القصدية من منتحليها غايته الهدف العام لا الخاص الذي يمثل مجرد الفضح للإنتحال كما فهمنا من قولكم:

إقتباس:

بأن لا تخرج المساهمات فيه عن هدف الموضوع والذي هو فضح ومناقشة أوجه الانتحال والتشويه المتعمد لأحد الجماعات (بغض النظر عن ادعاءاتها أو لا أدعاءاتها بالسفارة) للأفكار القصدية ..

فهذا الهدف لا يصلح لأن يكون غاية بحد ذاته، وإنما ينبغي أن تكون الغايات أسمى من ذلك. فنحن في نقاشاتنا الأخرى لا نريد مجرد فضح الصوفية وجماعتهم وانتحالهم للولاية والعرفان الإسلامي، وإنما لتخليص الاسلام من فكرهم وعزله في مقابل توضيح ما هو الاسلام الأصيل بالدعوة إليه عن طريق كلام مُثله العليا المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام وبيان محاسن كلامهم فيه فلو عرف الناس المنصفون محاسن كلامهم وصفاء عقيدتهم لاتبعوهم وهجروا غيرهم.

أما نقدكم لنا بالنقاش في خلافات قديمة أو لا ترين لها مبرراً لخدمة الدين فهذا ربما لابتعادك عن مواقع اتخاذ القرار وإدارة دفة الأمور الدينية فلا تعلمين بما حدث ويحدث والمهم والأهم، وأما ما وصفتيه بالجزئيات فهذا ما ترتب على الكليات يا أختنا، فالهدف هو نقد الكليات التي أفرزت تلك الجزئيات كمثل إباحة التلقيح المبتني على الإباحة الكلية لما خفي فيه نص وبالتالي المشاركة بالتشريع، فهل فهمت الآن سر الارتباط؟

ومن جهة أخرى إن صح كلامك بأن القسم الآخر من نقاشاتنا أزلية وقد مضت وانتهى أمرها فذلك يعني أن الفأس وقع في الرأس فتغيرت الأمور وعاد الإسلام غريبا كما بدأ وبذلك لم تسمعي عن الخلاف شيئا لأنه مضى مع أهله الذين تم القضاء عليهم أو إقصاؤهم ولا أستطيع البيان أكثر.

ولقد فاتك أن أكثر نقاشاتنا التي ربما ألمحت لانتقادها أو لقلة أهميتها، هدفها تصفية الدين من الدواخل مع كشف الانتحال أيضا (لا كغاية بحد ذاته وإنما وسيلة للتصفية)، وذلك لا يتعارض مع دعوتكم في قولك:

إقتباس:

ولماذا لا تكون الدعوة بالعكس تماما وهو أن يتم فتح مواضيع متعددة للتصدي لكل محاولات الانتحال والتشويه لمقاصد أي فكر أصيل سواء كان هو الفكر القصدي أو غيره تماما كما توجد آلاف المواضيع لمناقشة القضايا والخلافات الأخرى الفقهية وغيرها؟!

ولذلك نحن ندعوك أنت والأخ القصدي أيضاً للمشاركة في هكذا مواضيع كالتي تحاول كشف من انتحل الاسلام والعرفان والولاية ونحو ذلك لا مجرد من انتحل شيئاً من نتائج المرحوم النيلي، وخاصة كمن حاول أن يبعد عن نفسه تهمة السفارة فلم يعد يصرح بها فلم يجد إلا أن يستعير فكراً نظرياً تحليلياً استقرائياً ليتستَّر به. وهذا الأمر الأخير مما فات الأخوة في الإدارة العامة لشبكة هجر أن يلحظوه. فجماعة التجديد بعدما أعرضوا عن فكرة السفارة والاتصال المباشر ربما لم يبق لهم شيء إلا الاقتباس من هنا وهناك لملأ الجانب النظري من الفراغ الفكري المستحدث. وهذا لا يعني أن فكرة القصدية فكرة يُستفاد منها (سفارياً) لكونها غريبة. وإنما الغرابة جاءت بوصف الإدارة لعدم فهمهم عن المنهج الاستقرائي الذي تبناه المرحوم النيلي وأثمر عن نتائج أكثرها جيدة ومقبولة عقلاً وشرعاً (وقد يكون في بعضها الآخر نقاش).

وعودة إلى الأخت ضفاف:

إن لم تكن مثل نقاشاتنا لا تخدم الدين أكثر وأهل البيت ع (كما فهمت من تلميحكم ولعلي مخطئ) فلا أدري ما هو برأيك الذي يخدم أهل البيت أكثر؟

قولكم

إقتباس:

وختاما أقول للأخ الباحث أبو الحسن المنصور

سعدت بحوارك القصير الذي توقف بسبب انقلابات البحرين أون لاين وسيسعدنى الدخول فى حوار جديد مفصل بحسب اشارتك السريعة أعلاه للقصدي لمناقشة أسس تحديد المواضيع الهامة والعامة التى تخدم الاسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام فى هذا الزمان ـ طبعا إذا رغبت فى ذلك ـ

قد أشرنا لتلك المواضيع الهامة والعامة (كما فعل السيد النيلي في الحل الفلسفي من جهة، وفي البحث الأصولي من جهة أخرى). وأما الدخول في حوار مفصل فلا أستطيع ان أعدكم بذلك لشغلي الشاغل وحالتي الصحية أيضا هذه الأيام مع أن ذلك النقاش يسعدني جداً.

بعد ذلك كتبت الإدارة العامة لشبكة هجر مخاطبةً العضو (القصدي) بالقول:

الأخ العزيز الحبيب القصدي اعزك الله

إعلمْ أنَّك من اصحاب البيت ولست طارئاً على الشبكة ونعتز بك جداً. وهذا بيتك ولن تُمنَعَ من فكرٍ أو حوارٍ بأي شيء تريد. والشبكة لن تسمح بالتحجير عليك وعلى كلِّ مفكِّر حُـرٍّ. وقـد أردنا شحذ همتك في موضوع مهمٍّ بأمورٍ محددة.

وبما أن كلام الادارة العامة يحتاج الى بعض التوضيح. كما توضح من خلال جوابك وجـواب الفاضلة ضفاف. فقد كلَّفنا المحرر الإسلامي بالتوضيح، وقد أحلْنا الموضوع إليه.

راجين عدم الذهاب بعيداً في الكلمات.

والبقية على المحرر الإسلامي

وهكذا أمسكنا عن الكلام انتظاراً لبيان المحرّر الإسلامي، وبقي الحوار دائراً بين العضوين منصور أبو الحسن وضفاف التي قالت:

بسمه تعالى،،

جزيل الشكر والتقدير للإدارة العامة لموقفها الأخير..

وعسى أن يكون توضيح المحرر الاسلامي لما لم يُفهم من المشاركات السابقة شـافياً لجميـع المهتمين والمتابعين.

الأخ أبو الحسن المنصور:

مع بالغ التحية والتقدير على تفاعلك وردك الأخير على تعليقي العابر علـى مـشاركتك التـي انتقدتَ فيها ــ انتقاداً عابراً ــ تناولَ القصدي لملف الانتحال السفاري ودعوته لاتجاهٍ (عـامٍّ) يخدم الاسلام ومذهب أهـل البيـت علـيهم الـسلام بـشكلٍ أكثـر (مـن وجهـة نظـرك).. ومع حرصي البالغ على عدم حرف الموضوع عن هدفه إلاَّ أني أرى أن الواجب علي أن أمـرَّ مروراً سريعاً على ملاحظاتك الأخيرة على كلامي التي لا أتفق مع تحليلك لهـا لتـتم الفائـدة للجميع..

تقول:

إقتباس:

فكل نظرية أو نقد أو تحقيق ونحو ذلك لا يخدم الدين بشكل عام والمذهب بشكل خاص ويهدف إلى الدفاع عنه وتثبيت دعائمه فقد يخلو من الفائدة المرجوة.

السؤال: كيف قرَّرتَ أن النقد والتحقيق الذي وجهه القصدي للسفارة في انتحالها للقـصدية لا يخدم الدين بشكلٍ عامٍّ ولا المذهب بشكل خاص؟

أنت لا شك تدرك أن القصدي يؤمن بأن القصدية سبيل لمعرفة الدين ومقاصد القرآن الكريم.. إذن فدفاعه وتصدّيه لمن يشوه القصدية متعمداً بعد انتحالها يأتي في صميم دفاعه عن الدين وبنيّة تثبيت دعائمه وفق تصوره.. أليس كذلك؟!

إقتباس:

يقال أن فرقة السفارة اتخذت من القصدية غطاءً لسرقة الامام المهدي وبالتالى سرقة الفكر الشيعى ومحاولة تحريفه (ومنه الفكر القصدي) وعلى هذه الشاكلة ينبغى أن يكون العمل والنية

من الذي يقول؟ وعلى أي أساس؟!

أرجو قراءة ردي الأخير الذي أوضّح فيه هذه النقطة لتعرف أن أمثال هذا القول لا يستند على واقع ولا برهان!

فالواقع هو أنّ السفارة اتّخذت مؤخراً أفكاراً مشوهةً بعد انتحالها من المنهج القصدي، وذلك كغطاءٍ لتشويه مقاصد القرآن، وتلبيس الدين على المسلمين لمصلحةٍ أمريكيةٍ يهوديةٍ بعد تحوّلاتها (السفارة) الأخيرة..

وهناك الكثير من الأمور التي سبق أن أوضحتَها بمعطياتها التفصيلية والتي تكشف لك أبعاد الفتنة وحجم المؤامرة إن كنت مهتماً بمعرفتها.

ونعم لا أخال أن العمل والنية لدى القصدي يخرج عن هذا التصور. وهذا يعني أنه يقف صامداً أمام مخطّطٍ في غاية السوء يُرادُ منه هدم هذا الدين العزيز إفساد مذهب أهل البيت عليهم السلام!

إقتباس:

لا مجرد الدفاع عن انتحال القصدية بما هى منهجية خاصة وبما هم منتحلون

كما أسلفت الدفاع عن القصدية كمنهج بالنسبة للقصديين هو دفاع عن الدين.. والانتحال ليس انتحالاً مجرّداً كما تحسب، بل يرافقه تشوية متعمّد للقصدية. وهذا هو سبب تحرك القصدي كما أوضح في مقدمة كلامه وفي ذات مقاله لو تأملت.

إقتباس:

بل أن الهدف أعلاه هو ذاته كان هدف المرحوم النيلى فى نيته لتخليص المذهب والدين مما علق به من دواخل أجنبية ولم يكن يهمه من ينتحل ويسرق. وهذا ما فهمته منه بالمشافهة حتى أن بعض بحوثه كانت تُنشر بأسماء أساتذة جامعيين ولم يكن يعر اهتماما بل كان فى بعض الأحيان يهدي بعضها لهم واعرف أحدهم بالأسم وحصل على ترقيات علمية

وهدف القصدي (وضفاف معه في هذا) لا يخرج عن هدف المرحوم نيّةً ولا عملاً.

إقتباس:

كما كان لا يستجيب لكل ناعق وإن بدا بزي العلم والتأليف إلا إذا اقتضى واقع الحال حلول الفتنة كما فى الداعى لتأليف الشهاب

وعدم استجابة القصدي في باديء الأمر لكلّ ناعق قد أوضحها في مقدمة كلامه. وقد جاء هذا الموقف الأولي منه بناء على تصوره المسبق أن واقع الحال لا يقتضي حلول الفتنة ــ كما تعبر أنت ــ. ولكنه أكتشف خلاف ذلك بعد الاقتراب من واقع الحال وعليه فقد تغيَّر موقفه. وهذا ما قد بيّنه هو بنفسه في مقدمة الموضوع. فأرجو أن تعيد قراءته وتحمل كلام أخيك في هذا على محمل الجدّ، بل حبّذا ل كان منك حسن الظن في تصديق إدعاءه بهذا.

ولذلك فإن كان الأمر لم يتضح لك أو لغيرك حتى اللحظة فلا أحسب أنه من المنصف أن يسارع أي منكم بالعتاب واللوم والتلميح بعدم جدوى موضوعه، وذلك لأنه يرى بخلاف ما تروه من خطورة الأمر، وفي أن نيته وعمله موجَّهةٌ لأمرٍ عامٍّ يخدم الاسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام.

إقتباس:

وأما أن الإدارة حاصرت الأخ القصدي بإطار معين يخدم لضرب القضيتين ببعضهما البعض (قضية القصدية بقضية السفارة) كما اتضح من مداخلة الادارة الثانية. فهذا ما لم أقصده من ثنائى على الإدارة، بل وضّحت نقطة الثناء فى إطار جعل الهدف الأسمى هو خدمة العقيدة وتخليصها من الدواخل كما فعل النيلى فى الحل الفلسفى مثلاً، وبذلك يكون الدفاع عن القصدية من منتحليها غايته الهدف العام

المرحوم النيلي قام بتشخيص واقع الحال في كلّ قضية تعرّضَ لها، وتعامل معها على أساس رؤيته لخطرها (أو لحلول الفتنة "كما سميتها آنفاً" بسببها).

لذلك عندما رأى أن واقع الحال يقتضي تفصيلاً للرد على الكاتب وانتحالاته فقد أفرد له كتاباً خاصاً.

بينما قام بنقض قواعد الفلسفة والتصوف اجمالاً في كتابٍ واحدٍ بدون الخوض في حواراتٍ تستغرق أشهراً وجهوداً مضنيةً ومناكداتٍ تقرب من السباب والشتم كالتي جرت في شبكة هجر عند مناقشة جزئية تفصيلية بممارسات واعتقادات الصوفية مثلاً!

إقتباس:

وهذه مشكلتنا معهم ولذلك نرى (بخلاف ما ترى الأخت ضفاف) أن من الأولى مناقشة هؤلاء

قبل غيرهم لأنهم كما وصفهم الحديث الشريف قطاع طرق

ضفاف لم ترَ ولم تتعرَّض مطلقاً لمناقشاتكم مع الصوفية، بل ذكرت مثالاً عن خلاف فقهي، وعن تكرار النقر على نفس الاشكالات السنية الشيعية المعروفة· ولكن بما أنك ذكرتها هنا وأشرت إلى منهج المرحوم في التعرض لأمثالها فقد رددت على نفسك بنفسك·

فقد كفاه عناء هذا الجدال أسلوبه القصدي الذي تمثله الآية الشريفة (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) 26النحل· ولذلك أحسب أن الالتزام بمنهجية المرحوم القائمة على نقض مباني المتصوفة اجمالاً وبأسلوبٍ قصديٍّ رزينٍ كافياً، وهو أفضل من الخوض في الجزئيات والتعرُّض لشخوصٍ لها اعتبارها في ضمائر الناس مع ما يثيره ذلك من شحناء وبغضاء بين أهل ملة واحدة·

إقتباس:

لا الخاص الذي يمثل مجرد الفضح للإنتحال كما فهمنا من قولكم

ما فهمتموه من قولنا يقصر عن فهم واقع قولنا وهذا ما قلناه كما اقتبستموه لاحقاً:

إقتباس:

بأن لا تخرج المساهمات فيه عن هدف الموضوع والذي هو فضح ومناقشة أوجه الانتحال والتشويه المتعمد لأحد الجماعات (بغض النظر عن ادعاءاتها أو لا أدعاءاتها بالسفارة) للأفكار القصدية ··

فهذا الهدف لا يصلح لأن يكون غايةً بحد ذاته وإنما ينبغي أن تكون الغايات أسمى من ذلك·

فلو قرأتم مقال أخيكم القصدي لوجدتم أن فضح الانتحال السفاري كان مقدمة لفضح التشويه المتعمد للقصدية، وبيانِ المفارقة بينهما· وهذه هي الغاية الأسمى التي أراكم لم تختلفوا فيها عنا فيما أوردتموه بعد·· إذ تقولون:

إقتباس:

فنحن فى نقاشاتنا الأخرى لا نريد مجرد فضح الصوفية وجماعتهم وانتحالهم للولاية والعرفان الإسلامى، وإنما لتخليص الاسلام من فكرهم وعزله فى مقابل توضيح ما هو الاسلام الأصيل بالدعوة إليه عن طريق كلام مُثله العليا المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام وبيان محاسن كلامهم فيه· فلو عرف الناس المنصفون محاسن كلامهم وصفاء عقيدتهم لاتبعوهم وهجروا غيرهم

نعم .. وأخوك القصدي وأختك ضفاف في نقاشاتهم أيضاً لا يريدان مجـرد فـضح انتحـالات السفارة للقصدية، بل هذه مقدمة لتخليص الأمة من فكرهم المنحرف الذي ينـسبوه للقـصدية وهي منه براء في مقابل توضيح ما هي القصدية الأصيلة بالدعوة إليها عبر كلام أهل البيـت عليهم السلام ..

وقد قام القصدي ببيان مدى مفارقتهم للقصدية الحقة والأخلاق الحميدة التـي يحـث عليهـا القرآن وفكر أهل البيت عليهم السلام في مقالهِ لو تقرأه بتمعنٍ.

إقتباس:

أما نقدكم لنا بالنقاش فى خلافات قديمة أو لا ترين لها مبرراً لخدمة الدين فهذا ربما لابتعـادك عن مواقع اتخاذ القرار وإدارة دفة الأمور الدينية فلا تعلمين بما حدث ويحدث والمهم والأهم، وأما ما وصفته بالجزئيات فهذا ما ترتب على الكليات يا أختنا. فالهدف هو نقد الكليات التـى أفرزت تلك الجزئيات كمثل إباحة التلقيح المبتنى على الإباحة الكلية لمـا خفـى فيـه نـص، وبالتالى المشاركة بالتشريع، فهل فهمت الآن سر الارتباط؟

أخي العزيز لست من ابتدأ النقد باختيار المواضيع وعمومها أو خصوصها لذا أرجو منـك أن تخفف الوطيس وتأخذ كلامنا على محمل حسن كما عهدناك.

وحقيقةً لست بعيدة تماماً كما تظن عن تلك الدوائر التي إليها تشير. ولكن لا داعي للتفـصيل في هذا فلسنا في معرض اثبات اتصال بأهل القرار أو غيرهم.

وأما شرح ارتباط الجزئية بالكلية فلا يحتاج الأمر لتوضيح ولكن ربما لسؤال: ترى هل يستحق نقض جزئيةٍ بسيطةٍ كهذه كلَّ هذا الجهد والمشاحنات التي كانت في أمثال تلـك المواضـيع؟! وهل هذا الأسلوب قصدياً يحث عليه الاسلام وخلق أهل البيت عليهم السلام؟!

أليس التركيز على نقض القواعد الأصولية بأسلوبٍ رزينٍ كما فعل المرحوم النيلي فـي بحثـه الأصولي بدلاً من الخوض في جزئية بسيطة أجدر وأولى وأقلَّ آثارٍ سلبية تملأ النفوس الهشة أحقاداً وأضغاناً؟!!

إقتباس:

ومن جهة أخرى إن صح كلامك بأن القسم الآخر من نقاشاتنا أزليةٌ وقد مضت وانتهى أمرها. فذلك يعنى أن الفأس وقع فى الرأس فتغيَّرت الأمور وعاد الإسلام غريباً كما بدأ وبـذلك لـم تسمعى عن الخلاف شيئاً لأنه مضى مع أهله الذين تمَّ القضاء عليهم أو إقصاؤهم ولا أستطيع البيان أكثر

أخي العزيز ..

ضفاف (أو ايمان) قد دخلت في حوارات سنّية شيعية فيما مضى على هجر وغيرها· فإن شئت اقرأ ما سبق لتـرى أن الخـلاف لـيس فـي الحـوار ولكـن فـي أولويتـه وأسـلوبه· ولا أستطيع البيان أكثر عن الفرق بين أساليب الحوار التي يمكن أن يتدارك بها ما قد وقـع· ولكن لعله من المفيد أن نتأمل مجدداً في كتاب الشهاب الثاقب للمرحوم ففيه مجمـلٌ لا أروع منه يظهرُ الحوار المختلف الذي أحسبه من قبيل ما يأتي البنيان من القواعد فيخر السقف على رؤوس المبطلين ··

فذاك هو شأن الحوار الذي يمكن أن نأمل منه أن يصنع فارقاً في اصلاح ما قد وقع!

إقتباس:

ولقد فاتك أن أكثر نقاشاتنا التى ربما ألمحت لانتقادها أو لقلة أهميتها، هدفها تصفية الدين من الدواخل مع كشف الانتحال أيضاً (لا كغاية بحد ذاته وإنما وسيلة للتصفية)،

أخي العزيز·· نعم قد أخطأت فهمنا حقاً·· فقد خاطبناك في كلّ مرة بالباحث المميز لا تملقاً ولا تزييفاً، بل هذا ما نراك عليه فعلاً· ولو لم تكن بحوثك ذات قيمة بنظرنا لمـا وصـفناك بهـذا صادقين··

ولكني لن أخفيك أيضاً أنه كثيرا ما يعز علي أن أرى أقلاماً بهذا المستوى والتميز مـستغرقة في أحيانٍ كثيرةٍ في محاورات تطول عن جزئية صغيرة ثمّ تتحول تدريجياً لجـدلٍ يبتعـد عـن التركيز والهدف الأساس (الذي هو تصفية الدين من الدواخل)!

فبحسب رأيي المتواضع يكفي التوقف عند حد بيان الحجة والبرهان لا الخوض والتكرار فيمـا هو أصلاً ليس بجديدٍ ولا هو بأصل لا غنى عنه في أيصال المراد وتصفية الدين من الدواخل· وعليه فلا حاجة لاثبات وجهة النظر تفصيلاً بما يتطلبه ذلك من جهدٍ ووقتٍ·

إقتباس:

ولذلك نحن ندعوك أنت والأخ القصدي أيضاً للمشاركة فى هكذا مواضيع كالتى تحاول كشف من انتحل الاسلام والعرفان والولاية ونحو ذلك لا مجرد من انتحل شيئاً من نتائج المرحوم النيلى وخاصة كمن حاول أن يبعد عن نفسه تهمة السفارة فلم يعد يصرح بها فلم يجد إلا أن يستعير فكراً نظرياً تحليلياً استقرائياً ليتستر به،

إن دعوتك لي وللقصدي عزيزة عليَّ كثيراً··

وعن نفسي لا أرى حاجزاً يحول دون الدخول في أي حوار عندما أتصور أن في جعبتـي مـا يسد فيه فراغاً يستحق الوقت والجهد في سدّه·

ولكن الأمر هو كما اعتذرتَ أنت به في نهاية ردك·· فالمشاغل كثيرة· ورغم سعادتي بالدخول في أي حوارٍ إلاّ أني لا أملك خياراً إلا الموازنة بمفهوم الربح والخسارة!

فما يجعلني أتفرغ في هذه الواحة لمواضيع السفارة مثلاً هو بسبب إدراكي التام لخطورة هذا الملف بالذات، وفي نفس الوقت شهودي لفراغ الساحة نهائياً ممَّن يتصدى له بالحد الأدنى الذي تتطلبه خطورته.

فتشخيصي لواقع الحال يجعلني بكل صراحة أجد موضوع الأخ القصدي هو أخطر المواضيع اطلاقاً في هذه الواحة..!

أقول هذا لأني ــ بخلافك يا أخي ــ أشهد معطيات كثيرةً تثبت أن هذه الجماعة وانتحالاتها والسكوت عنها سيسبِّبُ فتنة كبرى ليست ببعيدة عنا ولا عنكم!

ولذلك يعز علي أن أترك هذا الموضوع لغيره في وقتٍ أرى فيه الباحثين المميزين في غفلةٍ عنها، وعن التحذير منها قبل أن تقع الفأس في الرأس على حدّ تعبيرك الجميل!

إقتباس:

وعودة إلى الأخت ضفاف

إن لم تكن مثل نقاشاتنا لا تخدم الدين أكثر وأهل البيت ع (كما فهمت من تلميحكم ولعلى مخطئ) فلا أدري ما هو برأيك الذي يخدم أهل البيت أكثر؟

نعم يا أخي أؤكد على إنك مخطيء في فهمك بأني ألمح لنقاشاتكم أنتم بالذات وأصفها بأنها لا تخدم الدين وأهل البيت عليهم السلام.

وبلى.. أرى أن كشف الانتحال والتشويه المتعمد لمقاصد القرآن الكريم بأسلوب ونفس يهودي واضح وخطير من قبل السفاريين ــ وذلك لا يخرج عن فهمي لتحذير القرآن الكريم في آياته العديدة التي تناولت شر اليهود في تحريفهم لتوارتهم ــ تخدم الاسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام أكثر من أغلب المواضيع الدارجة في أكثر الواحات الإسلامية.

ولعل الواجب عليَّ أن أنوِّه بأني لم أكن في اشارتي لموضوع جواز التلقيح من نطفة الاجنبي مستحضرة لأنك كنت من المشاركين الفعالين في ذلك الموضوع.

فالواقع أني ذكرت ذلك المثال بالذات لأنه استرعى اهتمامي لطول الحوار فيه وحدَّة الخلاف بين المشاركين وتنوعهم لا غير.

ولست أخفيك أني أنزعجت قليلاً من تعليقك وتعليق الإدارة العامة لأني كنت أرى أن الانصاف للأخ القصدي يقتضي تشجيعه لا تحبيطه، لقيامه بجهدٍ مشكورٍ، وخطرُهُ عليه على كل المستويات ليس بقليلٍ. وذلك من أجل خدمة الاسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام عبر فضح المسكوت والمغفول عنه في قضيةٍ خطيرةٍ جداً بدأت نتائجها تظهر في البحرين بقوَّةٍ وأخذت تنتشر في البلدان الأسلامية القريبة. وكثير من الباحثين الاسلاميين المميزين في غفلةٍ تامةٍ عن هذا الموضوع وأبعاده وما يراد من وراءه.

إقتباس:

قد أشرنا لتلك المواضيع الهامة والعامة (كما فعل السيد النيلى فى الحل الفلسفى من جهة، وفى البحث الأصولى من جهة أخرى)· وأما الدخول فى حوار مفصل فلا أستطيع ان أعدكم بذلك لشغلى الشاغل وحالتى الصحية أيضا هذه الأيام مع أن ذلك النقاش يسعدنى جداً

لم أقرأ إشاراتك بهذا الخصوص فعذراً··

وأما ما كتبه المرحوم النيلي فلا أظن أننا نختلف عليه· ولكن كما ترى فالمسألة تخضع لتشخيص واقع الحال وتحسّس وقوع الفتنة· وهذا ما أحسبنا نختلف عليه·

وعلى أي حال أحسب أن ردك وردي هذا عليك قد أعطى إضاءات كافية توضح اختلافات وجهات النظر بيننا في هذا الشأن·

وسألخص رؤيتي التي أراها تتفق مع رؤية المرحوم في هذا الجانب المتعلق بأولوية البحث والحوار في هذا الزمان لأقول:

أولا : أجد أن من الطبيعي أن تخضع مسألة تحديد الأولوية للمواضيع بحسب خبرة وتجربة الباحث نفسه·· فكلُ باحث موفق عبر حسابات ربانية لتجربة وحصيلة معينة يأتي تكليفه بحسبها، إذ (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)· فالتخصص والتجارب التي يخوضها الباحث ليست عشوائية··

وعلى الباحث أن يتأمل في هذه المسألة ويحذر التعميم في أولويات ما يوحي به تخصصه وخبرته على الآخرين فذاك ينبئ عن ضيق أفق وذاتية بغيضة·

ثانياً: لا شك أن الأولوية هي للمواضيع التي تتصل بواقع الحال الاجتماعي السياسي الديني وتزداد أكثر مع احتمال (قائم على معطيات) بحلول الفتنة في أمر معين·

ثالثاً: لعل الأولوية تزداد أكثر للمواضيع المسكوت أو المغفول عنها تماماً حيث أن هذا يعني وجود فراغٍ أكبر لينفذ منه المنتحلون والمشوّهون للدين وللمذهب القويم·

رابعاً: بصفةٍ عامةٍ أحسب أن أولوية البحث تكبر في الكليات وتصغر في الجزئيات، وأن تصفية العقائد والاخلاق مقدّمة على تصفية الخلافات الفقهية والتاريخية مثلاً ·· ولعل هذا يحتاج لتفصيلٍ قصديٍّ لا مجالَ له الآن··

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في وضع النقاط على الحروف بخصوص اختلافي معك أخي العزيز· كما أرجو أن أجد تعليقات ومشاركات تبحر في أصل موضوع الأخ القصدي الذي آملُ أن يعذرنا على التطفل· وعساتا لم نقم بحرف الموضوع عن اتجاهه رغم كلُ حرصنا على خلافه..!

مع خالص التحية والتقدير··

ضفاف

العضو منصور أبو الحسن أجاب قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

شكرا للأخت ضفاف على تعقيبها.

ولن أعقب على ما تفضلت به من أشياء قد أتفق أو لا أتفق معها في الرأي، وذلك لضرورة المحافظة على صلب الموضوع وإتاحة الفرصة للأخ القصدي لإكمال ما يهدف إليه.

ولكن لدي سؤال يصب في ذات الموضوع وذلك لكوني لم اطلع بعد على تفاصيل فكر جمعية التجديد أو لدي اطلاع بسيط مما تفضلتم، وهو: هل استطاعت الجمعية أن (تتبنى) أو تقتبس المنهجية القصدية باعتبارها نظرية تفسير للنص أو بالاصطلاح الحديث (نظرية في الهرمنيوطيقيا) أو في (ألسنية النصوص)؟

أو أن الجمعية استفادت فقط من التطبيقات والنتائج التي أثمرت عن نظرية المرحوم النيلي؟

وبعبارة أخرى: هل هو اقتباس منهجية القصدية أم انتحال نتائجها؟

أرى أن الجواب بتصديق أحد هذين السؤالين أو كليهما سينتج عنه نتيجة مهمة، لبيان حقائق تخص حقيقة الجمعية من جهة، وكذلك تجيب عما ألمح إليه المدير العام، أي قد يكون الجواب يخدم الطرفين ويجمع بين الهدفين في آنٍ واحدٍ.

وكان جواب ضفاف كما يلي:

الأخ العزيز منصور أبو الحسن.

بالنسبة لسؤالك فأحسب أن القصدي قد أجاب عليه في متن مقاله الأول المنشور في صحيفة الوقت، والذي يمكنك الاطلاع على وصلته في هذا الموضوع وزاده إيضاحاً في ردّه التالي على رد جمعية التجديد الذي نُشِرَ على حلقات.

وباختصارٍ فهذه الجمعية انتحلت منهجية المرحوم وكثير من التطبيقات التي بثَّها في مؤلفاته، وكذلك قامت بتشويه كلاً منهما بصورةٍ متعمدةٍ وثقيلةٍ من أجل جرهما إلى نتائج مخالفة للقصدية وإن بدت أنها تسير في اتجاهها العام.

وخطورة هذا العمل إضافةً لكونه توجيهاً متعمداً للنتائج، ينصبُّ أساساً في سياق الفهم المادي واليهودي بالتحديد في جلِّ التطبيقات المنتحلة. وهو ما يتَّفقُ مع مصلحة أعداء الدين والمذهب القويم في هذا الزمان. فإنَّ مَما يُلبس على المسلمين دينهم وفهم كتابهم هو تشويه المنهج القصدي البديع بصورة خبيثة تسيء إليه وإلى معتنقيه. (كما لاحظتم ذلك من خلال رد فعل الأخ ملائكة الغيب وسواه التي ذكرها القصدي، ومن خلال ردة فعل الإدارة العامة في مشاركاتها الأولى).

إنَّ هذا التشويش المتعمد في بحوث التجديد المنتحلة للمنهج القصدي ونتائج تطبيقاته يجعل أثره المرجو من قبل المرحوم النيلي الذي اجتهد في تأسيسه ليكون آلية لتمييز الحق من الباطل لاغياً، بل ويبدد كلَّ جهود القصديين في نشره إن لم ينتبهوا إلى أهمية تمييز القصدية الحقة من تلك المنتحلة والمشوهة ويقوموا بدورهم كاملاً في هذا الشأن!

ولا أحسب أن اندفاع القصدي في التصدي لهذا الانتحال التجديدي للقصدية بالذات واعتباره من أولى أولوياته في هذه المرحلة يخرج أبداً عن هذا التصور الذي لا أحسب أن أي باحث منصف ومهتمٍ بالقصدية ولو بأقل مستوى سيقترب من واقع الحال ويتعداه في تشخيصه!

وعلى أية حال فإن ما ذكره القصدي من أمثلة في مقاليه الأول والثاني هو مجرد إضاءات على منهجهم في الانتحال والتشويه، وكشفٍ لجوانب من خطورتها لمن يتعمق في قراءة المقال.

والواقع أن الكشف التفصيلي لجميع أوجه الانتحال والتشويه المتعمد للقصدية في مجمل بحوثهم الثقيلة يتطلب وقتاً وجهداً مضنياً لا زال أخوكم القصدي يتجشم عناءه منفرداً وبهمَّةٍ عاليةٍ لعله ينجز ما يمكن انجازه قبل حلول الفتنة التي انكشفت له بوادرها قبل أن يقرّر التصدي لها بما يسعه. ولعل الله ييسر له إخوة يعينوه في هذا العمل سعياً لدرء الفتنة في مهدها. أو لعلهم يشجعوه من خلال تفهم دوافعه، ومن خلال قراءة ما يكتبه بهذا الشأن بتمعنٍ وحسن ظنٍّ بدلاً من توجيهه إلى شؤون لا أحسب أن أيّاً منها بمستوى خطورة هذا الشأن بالذات!

ضفاف

وردّ منصور أبو الحسن بالقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

إقتباس:

وباختصار فهذه الجمعية انتحلت منهجية المرحوم وكثير من التطبيقات التى بثُّها فى مؤلفاته، وكذلك قامت بتشويه كلاً منهما بصورة متعمدة وثقيلة من أجل جرهما إلى نتائج مخالفة للقصدية وإن بدت أنها تسير فى اتجاهها العام.

هذا كلامٌ غيرُ معقولٍ أن ينتحل المدعي الكاذب (على حدّ تقديركم) منهجيةً حقيقيةً!

فإما أنَّ تقديركِ خاطيءٌ، وإما أن المنهجية قابلة للإنتحال كما قال المدير العام. ولكي أقرّب لك الفكرة أقول:

ليس لكلِّ أحدٍ أن يكون فقيهاً على مذهب أهل البيت، ويستطيع أن يستنبط الأحكام الشرعية من أصولها· فقد حدَّ المعصوم عليه السلام حدوداً للفقيه الذي يستطيع أنْ يطبق المنهجية الخاصة باستنباط الأحكام· ومنها (روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا)، ومنها قوله عليه السلام (إذا عرف معاني كلامنا فإنه ينصرف إلى سبعين محملاً)· وهذا بالاضافة لشروط اللياقة المعنوية التي تلزمه أن يكون (صائناً لنفسه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه···)، ونحو ذلك من الشروط العقلية والنفسية والولائية حتى ينجح في تطبيق المنهجية الشرعية فيكون فقيهاً، وألاَّ يفتضح بذاته دون جهدٍ، لأنه لا يقدرُ على انتحال منهجية فقه الأحكام وفهمها، وإنما ينتحل فقط نفس الأحكام باجترارها ونقلها كقوالب جاهزة· فإذا أعيته السنن لم يفقه شيئاً وقاس برأيه كما فعل أبو حنيفة الذي فضحته فتاواه المتهتكة·

فإذا كانت منهجية القصدية مستفادة من مباني كتاب الله الذي يفسّر ويبيّن كلَّ شيء (بما في ذلك نفسه) ولا يفسره شيء من غيره، فذلك ما لا يمكن أن يُنتحل، وإنما يُستفاد باستحقاق منقطع النظير (ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)· وإنما الذي يُنتحل هو جزئيات من نتائج تفسيرات المنهجية القرآنية وتطبيقاتها، وإلاَّ فسيستطيع أن يكون اليهودي مفسراً وفقيهاً للمسلم كوظيفةٍ يعمل بها و لا يدري بذلك أحدٌ·

وإن حدث واشتبه مثل ذلك على العوام والسذج فيُعرف الصادق بصدقه والكاذب بكذبه بعد أن يُمتحن بها و توجه إليه المسائل من قبل أهل العلم والاختصاص كما يُمتحن أمر المدعي للعرفان الحقيقي والمقامات العالية·

فإما أن تكون لمنهج القصدية خصوصيةٌ وسرٌّ خاصٌّ مستفاد من مصادر أصلية بحيث لا يعرفه إلا من وفقه الله لذلك بالاستحقاق وكان مستعداً لتحمله وبالتالي يستطيع تطبيقه بجدٍّ وتجري النتائج على يديه ويفيد الناس بتطبيقاته التي يحق لهم الاستفادة منها والعمل بها، أو لا يكون له سرٌّ وخصوصيةٌ فيأتي من يأتي فيتبناه ويستفيد منه في مآربه فليلتبس الصادق مع الكاذب والمؤسس مع المنتحل·

فأرى أن يجري البحث في إثبات عجز المنتحل عن استخدام القصدية باعتبار أصالتها، وعلى كونها منهج غير عادي ينتحله من شاء أن يفعل فليتلبس الأمر على الناس وخاصةً إذا كانت القصدية (آلية لتمييز الحق من الباطل) كما قلتم· ولذلك قد أختلف مع هذا الكلام الذي للأخ القصدي إلى حدٍّ ما:

إقتباس:

فقد تجمعت بين أيدينا الكثير من الشواهد التى تبرز أن النتائج المخالفة للقصدية فعلاً هى نتائجٌ مرسومةٌ بدقَّة وتوصلُ كلُّها لهدف واضح ومحدَّد بذهن من انتحلها، وليست هى مجرد عجز عن استخدام المنهجية المنتحلة !

وقالت ضفاف:

بسمه تعالى،،

الأخ الباحث منصور أبو الحسن·

أطلب منك وبكلّ هدوء أن تعيد قراءة مقال أخيك القصدي الأول والذي يليه· وتقرأ ردَّه على اشكاليات جمعية التجديد لتعرف مقصوده هو (والذي لا اختلف فيه معه) بانتحال المنهجية وتشويهها فضلاً عن انتحال التطبيقات وعكس النتائج·

وليتك أيضاً قبل أن تسارع في الرد والنقض الشكلي القائم على اختلاف لفظي أن تقرأ بنفسك كتابهم التأسيسي (مفاتح الكتاب والعقل) وتقارن ما جاء فيه بالنظام القرآني مسترشداً باضاءات أخيك القصدي في مقاليه السابقين لتفهم برويّةٍ ما هو الانتحال والتشوية المقصود للمنهج القصدي وتطبيقات المرحوم·

وبكلّ تصميمٍ أقول بأني ما لم أرَ رداً تفصيلياً منك أو من غيرك على المقالين وما فيهما من شواهد ووقائع على الانتحال والتشويه المتعمد لقصدية المرحوم النيلي فإنني لن أتجشم عناء الرد في اختلافاتٍ لفظيةٍ لأثبت براعتي في التنقيب عن دلائل المصطلحات أو أسدّدَ ضربات للخصم تثبت تميزي ودقتي في البحث!

فليس هذا ما يستحق عندي أدنى التفاتة بغض النظر عمن يثيره كائناً من كان!

على أيةِ حال أرى في كلامكم عن لامعقولية الانتحال لمنهجية حقيقية، ثمّ التعقيب على ذلك بأن: (إما أن يكون تقديري خاطيء، وإما أن المنهجية قبلة للإنتحال)·· أرى فيه (شيئاً) من التناقض مع قولكم السابق الذي وجَّهتموه إلى الإدارة العامة:

إقتباس:

فهل يوجد خلل كبير يسمح بانتحال الاسلام والولاية وكون الفكر الاسلامى والشيعى غير ناضج وقابل للإختراق أو أن الفكر الاسلامى فكر ضال ويُستخدم للضلالة والتلبيس على الناس كمثل الفكر الصوفى الذي تُعرف منه دعوى العرفان والاسم الأعظم والمكاشفات ولذا يستخدم الاشارات الباطنية كألفاظ وافكار متشابهة وغامضة يمكنها أن تؤثر بنفوس العوام وتوحى للناس ان هؤلاء يملكون علماً من لدن الله مما قد يفعل بالنفوس أنها تفر من التعقيب عليهم فضلاً عن نقدهم وعدم طاعتهم باعتبارهم الذين أخذوا عن الله بالمشافهة وعاينوا بالمعاينة بدليل ان كلامهم غير مفهوم وغير مطروق كما يوحون ولا يستطيع فهمه إلا من أوتى حظ عظيم أو نال شرف موالاتهم وتتلمذ على أيديهم ليعرف مقاصدهم ويهضم اصطلاحتهم ويذوق من حلاوتهم·

ولكن رجائي منك أخي العزيز أن تتأمل في أوجه التناقض بنفسك وبدون الخوض معي مجدداً

في جدل المصطلحات (المذهب، الفكر، المنهج، التناقض، النقد، النقض.. الخ). حيث أني لست مهتمة بالخوض في هكذا حوار وبالذات في هذا الموضوع..

ولكني سأرحب بالحوار المتبادل بكل تأكيد متى رأيت مشاركتك (في أساس الموضوع) قائمة على خلفية ومعرفة كافية بجوانب الموضوع وحرصاً حقيقياً على إثراءه بمعطيات متعمقة والتي يبدو حتى اللحظة أنك لا تملكها ولا تملك الاهتمام بمعرفتها.

وأحسب أن اجتزاءك لعبارة واحدة من مقال القصدي الذي جاء بعد ردّي المختصر عليك دليلاً على زعمي هذا وخصوصاً أن أخاك القصدي لم يجد هكذا اضاءات مشرقة منك على مقاله طوال الوقت لولا ردودي الأخيرة عليك!

ضفاف

منصور أبو الحسن يرد قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

إقتباس:

بواسطة ضفاف

على أي حال..

على أية حال أرى فى كلامكم عن لامعقولية الانتحال لمنهجية حقيقية، ثمّ التعقيب على ذلك بأن: (إما أن يكون تقديري خاطىء، وإما أن المنهجية قبلة للإنتحال).. أرى فيه (شيئاً) من التناقض مع قولكم السابق الذي وجّهتموه إلى الإدارة العامة:

إقتباس:

بواسطة منصور أبو الحسن

فلا أتفق معه بالرأي ولكم الحق بنقده وإلا فماذا نقول لمن انتحل التشيع وليس بمتشيع وقد ورد الوعيد والتحذير ممن انتحل ولاية أهل البيت عليهم السلام او من انتحل الاسلام بشكل عام مما يبرز إمكانية حدوث ذلك وحصوله فعلا بشواهد كثيرة. فهل يوجد خلل كبير يسمح بانتحال الاسلام والولاية و كون الفكر الاسلامى والشيعى غير ناضج وقابل للإختراق أو أن الفكر الاسلامى فكر ضال ويُستخدم للضلالة والتلبيس على الناس كمثل الفكر الصوفى.

ليس في كلامنا تعارضٌ فضلاً عن التناقض.

كلامنا كان رداً على الادارة العامة في حصركم بنقطتين لا ثالث لهما. فكلامنا واقع في انتحال ديانة الاسلام أو انتحال التشيع لا المنهج الاستدلالي الغير قابل للانتحال. وذلك الانتحال مما لا يقدح بالفكر الإسلامي كفكر نظري، ببساطة لأنه فكر رصين وأصيل ولذلك تجد الإشارة بالتفريق بين الإسلام وممن يعتنقه. فقولنا واضح أن منهج الاسلام ليس فيه خلل أو فجوة ولا

يستطيع أحد أن يخترقة وإن وُجدت دعاوى الانتحال للفكر والولاية فهي مجرد دعوى فارغة وكما قال المعصوم عليه السلام (ليس كل من قال بولايتنا مؤمناً ولكن جُعلوا أنساً للمؤمنين)· وضربنا لذلك مثلا بالفكر الصوفي الذي يدعي منهج وطريقة الاسلام الحقيقي، ولكنه لا يمكن أن يكون كذلك لكونه لم يهضم الإسلام، ولم تكن له واقعية توصله به، فليس أمامه إلا أن يكون منتحلاً للدياتة القابلة للإنتحال بإعلان الشهادتين لا للمنهج الواقعي الذي لا يمسه إلا المطهرون.

ويدل عليه بداية كلامنا عن انتحال الاسلام والتشيع وليس انتحال منهجية الاسلام ومنهجية أهل البيت في الكشف عن حقائق الأشياء وأحكام الله والتمييز بين الحق والباطل· فهذا ما لا سبيل لإنتحاله· وإذا احتمل فإن الامامة قد تُنتحل أيضاً وتُمرَّر مطلقاً· وهذا ما لا سبيل إليه· وإنما قد يُدَّعى ذلك فقط فلا نصدق باتنتحال منهج الاسلام وشرعته التي جعلها الله تعالى خاصة للمخلصين والراسخين بالعلم· ولكن قد نوافق الإدارة العامة في ما يلي من المطالب:

إقتباس:

الأولى :إثبات عدم إمكانية استغلال الفكر القصدي كمنهج تفسيري لدعم أي ادعاء للسفارة ·

إقتباس:

والثانية :توضيح معلوماتكم الدقيقة عن المغالطات التى ابتدعها مدعو السفارة· ومنهجهم فى التلفيق وكسب بسطاء العقول الذين لا يملكون مقاييساً لجوهر المذهب الإثنى عشري· وعن طريقة الكذب· وكيفية استغلال افكار جديدة مهما كانت صحيحة أو غير صحيحة، استغلالاً خاطئا من اجل تمشية باطل لا يقول به اصحاب تلك النظريات أنفسهم· وبهذا تكون قد اسديت خدمة لدينك ولمنهجك القصدي·

نحن نقصد من سؤالنا وطلبنا ممَّن يفهم القصدية (الواقعية) إثبات أن القصدية منهج ذو حقيقة وسرٌ (لمسه مَن لمسه) لا يستطيع منتحل أن ينتحله لأنه لا يعمل على يديه· وإن حاول انتحاله فإنه يعطي نتائج مخالفة، ولا يثمر عن شيء كما لا يثمر عن شيء واقعي مَن ينتحل السفارة فضلا عن النبوة والإمامة·

وأنتِ قد تكونون معنيين أكثر من غيركم باعتبار اطلاعكم التفصيلي على الفكر السفاري معطوفاً على اطلاعكم على الفكر القصدي وإعلان تمثيله·

وربما تكوني أنت معنية أكثر من الأخ القصدي لخبرتك بجماعة السفارة عن قرب فيمكن بذلك أن تخففي العناء عن الأخ القصدي الذي لم يعلم بأمرهم إلا مؤخراً، هذا إن كنت فاهمة تماماً للمنهج القصدي بما فيه من نقاط قوة أو ضعف وإلاَّ فلا يحق لكِ الدفاع عنه فضلاً عن تمثيله، لأن من يفعل في هذه الحالة فقد يسيء أكثر مما يصلح·

ودمتِ موفقة في بحثك إن شاء الله وننتظر ما تجود به يدك في إثبات أن المنهج القصدي غير قابل للإنتحال· وإنما سُرقت بعض تطبيقاته ونتائجه وكانت محاولة لسرقة بعض ثوابت منهجية القصدية والنظام القرآني (كنفي الترادف مثلاً) ولكنها لم تعمل على أيديهم في تفسير ما يقال أنها مترادفات لأن نظرتهم لنفي الترادف لم تكن قصدية·

فتجيب ضفاف قائلةً:

أخي العزيز منصور أبو الحسن ،،

مع بالغ التقدير والشكر لاهتمامك بالحوار معي··

ولكن عفوا ·· يبدو أنك ما زلت لا تقرأ ولا تهتم بقراءة كل الحوار!

ولذلك فسأضطر لنقل ما قلته بوضوح في آخر مشاركة لي··

إقتباس:

أطلب منك وبكلِّ هدوء أن تعيد قراءة مقال أخيك القصدي الأول والذي يليه· وتقرأ ردّه على اشكاليات جمعية التجديد لتعرف مقصوده هو (والذي لا اختلف فيه معه) بانتحال المنهجية وتشويهها فضلاً عن انتحال التطبيقات وعكس النتائج·

وليتك أيضاً قبل أن تسارع فى الرد والنقض الشكلى القائم على اختلاف لفظى أن تقرأ بنفسك كتابهم التأسيسى (مفاتح الكتاب والعقل) وتقارن ما جاء فيه بالنظام القرآنى مسترشداً باضاءات أخيك القصدي فى مقاليه السابقين لتفهم برويَّة ما هو الانتحال والتشوية المقصود للمنهج القصدي وتطبيقات المرحوم·

وبكلِّ تصميم أقول بأنى ما لم أرَ رداً تفصيلياً منك أو من غيرك على المقالين وما فيهما من شواهد ووقائع على الانتحال والتشويه المتعمد لقصدية المرحوم النيلى فإننى لن أتجشم عناء الرد فى اختلافات لفظية لأثبت براعتى فى التنقيب عن دلائل المصطلحات أو أسدّدَ ضربات للخصم تثبت تميزي ودقتى فى البحث!

فليس هذا ما يستحق عندي أدنى التفاتة بغض النظر عمن يثيره كائناً من كان!

إذن باختصار ··

شكرا على تعقيبك ··

ولكن لتعرف أولاً أن موضوعنا هنا ليس إثبات حقانية المنهج القصدي التي تتيح أو لا تتيح للادعياء انتحاله كما يبدو أنك تحاول أن توجه الموضوع إليه قسراً!

فإن شئت دعنا نقرأ تحليلك المفصّل لما أورده القصدي في مقاليه عن انتحال وتشويه المنهج القصدي للمرحوم النيلي على أيدي السفاريين بعيداً عن الاختلافات اللفظية فيما يمكن أو لا يمكن انتحاله··

هذا إن كنت مهتما بهذا الموضوع.. وإلاَّ فدعك منه وتفرغ لمشاغلك الأولى أخي العزيز..
وأما كوني مؤهلة لتمثيل القصدية والدفاع عنها. فهذا ما لا أطلب عليه شهادة ولا تزكية من أحد أخي العزيز..
فإن ما (أقرّر) أن أكتبه بشأن القصدية أو غيرها أمامك وأمام الجميع لينقده كما شاء.
وتوزيع الأدوار بيني وبين القصدي لا نحتاج لتوجيهٍ فيه من أحد فكلانا حرٌّ فيما يكتبُ.. وكلانا يعرف حدود تكليفه ومعرفته.
ولسنا في ساحة حربٍ وتحدٍّ أخي العزيز ولا تنافس على حطامٍ مع أحدٍ.. فرجاء خفِّف الوطيس!
ورحم الله امرؤ عرف قدر نفسه فتواضع واتَّضع!
والحمد لله رب العالمين..

ضفاف

وبعد هذا الحوار بين العضوين السابقين جاء بيان المحرر الإسلامي المنتظر حيث قال:

تبيانٌ للزميل القصدي حفظه الله:
لقد بعث أحد العلماء رسالةً إلى إدارة الشبكة أخبرها أن السيد القصدي أرسل له رسالةً أظهر فيها أنه ينوي إنزال موضوع يبيّن انتحال السفاريين للقصدية، ويبيّن بالوثائق ضلال السفاريين وغربتهم عن الدين. و قد قدَّرت إدارة الشبكة أهمية الموضوع وقرّرت تثبيته حال إنزاله في الشبكة وتمَّ ذلك فعلاً.
وبعد أن نزل الموضوع في الشبكة وكان عبارةً عن شكوى من التشكيك بالمنهج القصدي من قبل أعضاء في هجر وخارج هجر، تبيّن أنه يركز على أمرٍ مهمٍ في واقعه، وهو انتحال السفاريين (جمعية التجديد) للمنهج القصدي، وإنكارهم لهذا الانتحال، بل يدّعون بأنهم أصيلون في هذا الفكر قبل أن يطّلعوا على الفكر القصدي.
فسار الموضوع باتجاه مناقشة دعوى عدم الانتحال وكذبها والتذكير بهذه الجريمة الأدبية والفكرية على حلقات. وقد تمَّ بيان عدم توفّر الوازع الأخلاقي في عرضهم لقضيتهم كما قرَّر السيد القصدي، مع الإشارة العابرة في بعض الأماكن من البراءة من النتائج الخاطئة لانتحال الفكر القصدي، كما صرح في أول مقال له بقوله: (وهنا أعلن براءة القصدية من هذا النتائج التي هي حصيلة انتحالٍ وتشويهٍ متعمّدٍ للقصدية القرآنية الشريفة).
ولأنَّ السيد القصدي يرى أن هذا الانتحال موظّف لتلميع صورة السفاريين، والبرهنة على سفارتهم بطريق المغالط التي تُمرَّرُ على البسطاء (حسب تعبير واستخلاص إدارة الشبكة

الموقرة) فإن القضية أصبحت أكبر من موضوع انتحال أدبيٍّ لفكرةٍ أو لمنهجٍ، والتصارع على قضية الانتحال أو توارد الخواطر كما يدعي السفاريون من خلال ردودهم.

ولهذا رأت الإدارة تنبيه السيد القصدي إلى أن المسير باتجاه قضية الانتحال الأدبي وتثبيتها لن يخدمه لوجود خيط رفيع يجب التنبه له. وهو أن هذا الدفاع المستميت عن فكرة الانتحال (التي هي مقتنة في حقيقتها) تبيّن أن السيد القصدي يرى أن الحقائق الصحيحة التي يطرحها السفاريون منتحلة من القصدية، ولهذا فمجمل دليلهم على صحة دعواهم الحالية هو المنهج القصدي، وهذا واضح من مشاركات السيد القصدي. وهنا تلم فكرة قد تكون خاطئة جداً لا تخفى على اللبيب .

فطلبت الإدارة البيان بشكلٍ جليٍّ لقضيتين أساسيتين منفصلتين:

الأولى: إثبات عدم إمكانية استغلال الفكر القصدي كمنهج تفسيري لدعم أي ادعاء للسفارة. ولا يمكن لمن يملك القصدية مضروبة في مليون من أمثالها، أن يكون سفيراً من خلال الفكر والطرح الفكري فقط. ودعوى السفارة تحتاج الى براهين عظيمة وهي ممنوعة في زمن الغيبة.

والثانية: توضيح معلوماتكم الدقيقة عن المغالطات التي ابتدعها مدّعو السفارة. ومنهجهم في التلفيق وكسب بسطاء العقول الذين لا يملكون مقاييس لجوهر المذهب الإثنى عشري. وعن طريق الكنب. وكيفية استغلال افكار جديدة مهما كانت صحيحة أو غير صحيحة، استغلالاً خاطئاً من اجل تمشية باطلٍ لا يقول به أصحاب تلك النظريات انفسهم.

وحين رأت الإدارة العامة بأن السيد القصدي لم يشر إلى قبول إضافة هذا الهمّ الفكري له، أرادت تنبيهه مرة ثانية على أساس الفكرة التالية وهي:

إن انتحال المبطلين لأفكار معينة وتكرّر هذا الانتحال له مدلول مهم، (كما حدث مع ثلاثة من مدعي السفارة في العراق ــ رغم تظاهر بعضهم للرد على القصدية وتبيان المنهج الصحيح كما يدعي ــ ، بل وصل الأمر كما نقل ــ والعهدة على الناقل ــ أن السيد فرقد القزويني كسلوكي سفارتي متمرّس حين قابل القيادات الأمريكية عرض فكرةً شبيهةً بالقصدية لتأليف فهم شامل للديانات الثلاث ولدمج الفهم الموضوعي للنصوص، وقد مُنح أكثر من عشرين مليون دولار لبناء مدارس ومعاهد في الحلة مبنية على المنهج التفسيري الموّحد المبتني على منهج قصدي غير ملتزم بالقصدية).

إنَّ مدلول هذا الانتحال السريع من قبل حركات سفارية مهما اختلفت فيما بينها هو واحد من ثلاثة ، فهو:

1. إما فكر غير ناضج قابل للاختراق.
2. أو أنه فكر ضال أساساً، ويُستخدم للضلال بكل سهولة
3. والصورة الثالثة: عليك أن تسدَّ هذه الثغرة وتعدل المعادلة حتى تستقيم الأمور.

وهذا التقسيم قد فُهِمَ خطأ، حيث فُهِمَ بأنه انحصار بين عدم النضوج وبين الضلال، بينما لم يلتفت إلى الدعوة لسد الثغرات··· والنص يعني أن اختيار مثل هذا المنهج من قبل المبطلين لم يكن اعتباطاً· فهو إما أن يكون فكراً لم يصل إلى مرحلة من النضوج قد سُدَّت فيه الثغرات لتكفل عدم استغلاله، أو أنه فكر ضلالي يمكن لكل من يريد أن يستخدمه، أو أنه أمر ثالث يمكن الدفاع عنه ولكن لم يتسن الدفاع عنه في هذه النقطة حيث ينبغي بيان أن المداخل التي دخلوها لا يمكنها أن تخدم فكرة السفارة في حقيقتها، ولكن ما استخدموه هو أمر آخر خفي يجب بيانه، وهذا لم يتوفر·

وواقع إن الاعتراف بالانتحال واستخدامه استخداماً سيئاً يقتضي فكَّ الاشتباك الفكري عند المراقبين للفكرة، الذين يرون الصياغة التي تقول: أن دعوى النجاح السفاري يستند إلى الاستخدام الخاطئ أو الصحيح للقصدية ·

وهذا الكلام الذي يترشح من مجمل موضوع السيد القصدي خطيرٌ جداً، يجعل من طرحه أضيق من دعواه ومن أهمية موضوعه القيم·

فكلُ ما طالبت به الإدارة هو أن يكون التركيز على فك الارتباط بين النجاحات في الطرح الفكري الذي يؤكده السيد القصدي وبين الانحراف التفصيلي في استخدام الفكر القصدي من أجل تمرير دعوى السفارة·

إذن هي قضيةٌ كليةٌ وعدَّةُ قضايا جزئية ·

القضية الكلية هي نسبة النجاح واللمعان الفكري الحديث عند السفاريين التي تستند إلى استخدام المنهج القصدي· وهذه قضية عامة يجب أن تعالج لأنها يجب أن تبدأ من السؤال المهم وهو :

هل المنهج القصدي يساعد على إنشاء مذهب ديني أو دعوى بالارتباط بالإمام؟ (هنا أشارت الإدارة إلى أن المنهج القصدي يتَّسم بالغموض للقارئ العربي والمفكر المعاصر لأنها فكرة غير تقليدية جعلت منها أداة لإثبات غرابة الطرح مما يوحي بمصدرية غير اعتيادية، وهذا الغموض لا يمكن أن ينكره القصدية بل هم يشكون دائماً من عدم فهم الجميع للمنهج القصدي وما هذا إلا لكونه غامضاً على المتلقين)

أما القضايا الجزئية هي كثيرةٌ جداً· ولكن هذه تأتي في الأهمية متأخرة·

إذن الإدارة لم ترد تغيير الموضوع، بل هو نفس موضوع الانتحال وأهميته وخطورته ونتائجه· ولكن الإدارة رأت أن قضية الانتحال ليست مجرد عرض مظلومية الفكر القصدي وإنما هي عرض إشكالية أيضاً على الفكر القصدي كتحدٍ سافرٍ تعرَّض له هذا الفكر من استغلاله من قبل شريحة من المبطلين المتحدين منهجاً المختلفين مسلكاً·

وهذا الإشكال يعترف به السيد القصدي في ثنايا كلامه، بل قال بمرارة: (بعد هذه المحنة وجدتني في محنةٍ أشدّ إيلاماً وأسوأ وقعاً، بل هي آخر ما كنتُ أتوقعه من شرٍّ لم يعرض لي

في عصري كلّه· وحقّاً فإني أشعرُ من قرارة نفسي بالعجز مطلقاً أزاء هذا الشرّ بكلّ مكره العجيب، وبكلّ هذا السكوت المريب الذي أخرس ألسنة من كنتُ أتوسّمُ فيهم جرأة القول العدل حين يتسلّطُ الجور والفساد·· إنما لا ناصر إلاّ الله ولستُ سوى هباءة في مهبّ ريح، فلا قبل لي بقواصف الظلم إلاّ أن يعين الله تعالى!·· ومع ذلك فقد عزمتُ أن لا استسلم لهذا الشرّ مهما تجبّر وعتا، ومهما انصاعت له الدنيا حتى يخطّ عليّ الموت مخط القلادة على جيد الفتاة·· وما يلي قصةُ هذه المحنة الشرّ·· وإنها لشرٌ بحقٍّ)·

وقال مرة ثانية: (وثبتَ لي حقاً أنهم انتحلوا القصدية انتحالاً بيّناً ولغاياتٍ هي غير التي تهدف إليها حتماً·· وقد تبيّنتْ لي تلك الغايات لاحقاً عبر معطياتٍ كثيرةٍ احتفظ بتفاصيلها لحين انتهائي من كتابٍ قيد التحرير يتعلق بهذا الانتحال)·

إن هذه الإشارات كانت مشجعة جداً بأن السيد القصدي قد أدرك أن مسألة الانتحال ليست مسألة ملكية فكرية، وإنما مسألة استغلال، ولهذا استبشرتُ كثيراً، وتخيلت أن السيد القصدي سيعرض جزءً من كتابه أو كتابته لدراسة معطيات الانتحال، وتقديم حلول فكرية تمنع مثل هذا الانتحال وتنبه البسطاء الذين انساقوا وراء الدعاوى الباطلة على نقاط مهمة تحصنهم من قبول استخدام المنهج القصدي المنتحل لتمشية النتائج الضالة في نفوسهم[1].

ومن هنا كانت الإدارة حريصة جداً على أن يدافع القصدي عن تشيعه الذي يراد له الهدر من قبل المنتحلين، لأنه قصدي قد استخدمت فكرته ضد مذهبه، وليس وارداً في أذهان المديرين للشبكة اتهام السيد القصدي في تشيعه كما فهم بقوله: (فيا اساتذتي الأعزاء: حتى أنني ما عدتُ شيعياً ففي حاجةٍ للدفاع عن تشيعي·· بل قصدياً وفي دفاعٍ عن قصدية لا تصمد أمام النقاش العلمي·· وعليه فلا بدّ لي من طرحها)·

فكان هذا فهماً لما هو غير مقصود إطلاقاً، بل الشبكة تثمّن وتقدّر السيد القصدي حين يبيّن أن الانتحال جاء لتطويع الناس لمنهجٍ ضالٍّ تتبرأ منه الحركة القصدية، وهذا يدعو إلى مسارعة الحركة القصدية للدفاع عن التشيع الذي ينتمي له القصدي بحقٍّ، من خلال بيان نقاط الخطورة التفصيلية والإجمالية في الانتحال لا مجرد إثبات الانتحال ولا أخلاقيته· ولهذا كان ينبغي فهم سياق النص بهذا الاتجاه ·

وتبقى هناك جملة قد أظهر السيد القصدي تجاهها تحسساً· وهي أن الفكر القصدي نفسه قد لا يثبت حين النزال العلمي، ولعل من حق الأخ القصدي أن يزعل لأنه يرى الحقيقة كل الحقيقة في الفكر القصدي· وهذا من حقه وحسب شهوته المعرفية ومسلكه الذهني، ولكن الإدارة رأت أمراً مهماً وهو إن الفكر القصدي لم يُحاور من قبل علماء على درجة عالية من المعرفة وإن بعض ما تم طرحه في الشبكة يمكن أن يناقش، وقد لاحظت الشبكة وجود حوار لطيف مع عالم

---

[1] كما ترى أخي القاريء·· فهذا هو الكتاب المنشود بين يديك·· إنما أكان يسع مؤلفه وضعه أو جزءاً منه في موقع الشبكة وهو قيد التأليف؟!! فما الذي يجري خلف الكواليس؟!!

متمكن وهو المنار حيث بين الايجابيات في الفكر القصدي ولكن لم يغفل وجود سلبيات يمكنها أن تحيّر المتابع للفكر القصدي· وقد بين إن منهج المعرفة غير مبني على النتائج اليقينية وإنما على التذوق الشخصي للمعاني· وهذا يفتح الباب للحوار في مجالات شتى قد يثبت فيها الفكر القصدي وقد لا يثبت·

نعتقد أن الموضوع يجب أن يستمر ليسير من إثبات الانتحال وسر نجاح المنتحلين لهذه الأفكار إلى باطل ما توصلوا إليه من نتائج في هذا الانتحال لموضوعٍ متكاملٍ·

نرحب بالأخ القصدي ونعتبره أحد المثقفين الأحرار الذين نحترمهم ونتمنى له التوفيق في كتاباته وفي حواره في الشبكة·

مقدرين وشاكرين كل الأخوة والأخوات الكرام·

المحرر الإسلامي

فكان جوابنا على المحرّر الإسلامي كما يلي:

السادة الأفاضل في الإدارة العامة لشبكة هجر الغراء حرسهم الله

الأخوة المشاركين المحترمين

الأخ المحرر الإسلامي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكر الله تعالى لكم على إثراءكم لهذا الموضوع بمداخلاتكم اللطيفة أخوتي الكرام·

لقد وعدتُ قبلاً بأن أناقش الأخوة في مشاركاتهم ما إن أنتهي من وضع المقال كاملاً، لكنْ جرت الأمور بعد تنويه الإدارة الموقرة كما رأيتم·· لذلك فإني سأناقش هنا فقط مداخلة الأخ الفاضل المحرر الإسلامي الذي بذل جهداً مشكوراً في تصحيح مسار فهمنا لما تفضّلت به إدارة الشبكة من طروحاتٍ معتبراً هذه المداخلة هي المعبرة عن موقفها·

لكن وقبل الدخول في النقاش أرى لزاماً عليّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل وبعظيم الامتنان لكلٍّ من:

إدارة شبكة هجر المحترمة على تعقيبها الأخير الذي أكّدت فيه مودّة بالغةً لا أراني مستحقاً لها·· بل خجلي مما سبق مني يطمعني في صفح الأخوة في هذه الإدارة العزيزة·· فبارك الله في هجر وفي إدارة هجر·

العالم الفاضل الذي نبّه إدارة الشبكة إلى نيتي بإنزال الموضوع على صفحاتها· فشكر الله لهذا العالم الفاضل هذا الجميل وحفظه الله من كل مكروه·

سيدي المحرر الإسلامي المحترم:

لقد قرأتُ مقالكم ملياً.. ومضيتُ في التأمل فيه بعيداً. فكانت شئون وشجون وعبرات ودمعات.. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

فوالله ما أدري ما أقول.. ذهب النبلي رحمه الله لربّه وما كان في حسابه أن تتناوش منجزه الذئاب بهذه الصورة التي فاقت كلّ حيرةٍ!

عذراً مولاي.. فها أنت ذا تتحدّث هذه المرّة عن ذلك السيد القزويني، بعدما سبق الحديث عن السيد الحسني!

أخي المحرر الإسلامي المحترم:

أنت تقول نقلاً عن قائلين آخرين وضعتَ العهدة عليهم أن الاميركان قدّموا لهذا الرجل (20) مليون دولار لأغراض هي التي ذكرتها.. لكني أُحيلك لتضع العهدة على الحاكم الأميركي السابق (بريمر).. فاقرأ مذكراته لترَ ما يقوله عن هذا الرجل.. اقرأ لتجد أنه قد زكّاه بما لم يزكّ أيّما رجلٍ من العراقيين وبشكلٍ يوحي أنها ليست 20 مليون وحسب!

وإذن فإني على علمٍ غير قليلٍ بما يجري.. على علمٍ باستغلال القصدية بهذه الصورة الخطرة. والله أعلم بما عانيتُ وعانى أخوةٌ أعزاء ممّن لازم السيد النبلي رحمه الله في قرّ محنَتِه من خرابيط الأغيار وبخاصة المستغلّين الذين أضحوا كثرةً كاثرةً تتربّصُ بالقصدية.

رأيتهم سرقوا.. فركضتُ خلف السرّاق غير عابيءٍ بسكاكينهم التي لا زالت غرزاً في القلب.. وهبتُ بكلّ شريفٍ طالباً عوناً فما أعانني إلاّ قليل لا ذكر له ذاق هو الآخر غرزات وطعنات!

رأيتهم انتحلوا.. فحسبتني قد أديتُ واجبي إذ فضحت الانتحال!

رأيتهم شوّهوا.. ففضحتُ هذا التشويه فضحاً!

رأيتهم استغلوا.. فنبهتُ العالمين لهذا الاستغلال بما وسعني!

تبرّأتُ وبرّأتُ القصدية منهم بفصيح القول وعبر أرقى منبرٍ أمكنني من خلاله الإفصاح.. غير أن هذا بكل ما فيه من جهدٍ لا يكفي!

لا بدّ من بيان السبب الذي يجعل من القصدية عرضةً لاختراقها فانتحالها واستغلالها.. لا بدّ أنّ العلّة فيها هي بالذات!.. لا بدّ أنها إما ليست ناضجةً أو أنها فكرٌ ضالٌ أو ما (لستُ أدري)!. فعليك إذن أيها السيد القصدي المبجّل أن تسدّ شاغراً يقطع السبيل على كل منتحلٍ ومستغلٍ.. فهذا هو واجبك الشرعي اللازم لك أو سيذهبُ تشيعك هدراً!

لكنّي أسأل: لماذا لم تحتملوا خياراً آخر يفسّر كل هذا الاستغلال والسرقة والانتحال والتشويه؟ أرأيتم يا أخوتي لصّاً يبلغ من الغباء درجة أن يسرق سقطاً فيشتري به قصراً؟!، أم لا بدّ له من سرقة ما جعله الله درّاً؟!

أرأيتم يا أخوتي وضيعاً ينتحلُ صفة مسئولٍ كبيرٍ من خلال بزّة رجلٍ متشرّدٍ، أم لا بدّ له من مظهرٍ ولوازم تكلّفه قيمة تستحق التضحية بها من أجل أخرى أغلى منها؟!

أرأيتم يا أخوتي أحداً يستغلُّ الآخرين إلاَّ أن يكون وضيعاً مستهتراً شقياً يعلم أن لا قدرة لهم عليه؟!

أرأيتم يا أخوتي أحداً يشوّه صفحات وجوهكم الوضيئة وجباهكم الشريفة إلاَّ أن يكون جباراً عتياً؟!

أجل.. لماذا لا يكون الخيار المحتمل هو في أن القصدية جوهرة لا حارس لها سوى شرذمة قليلة لا حول لها ولا قوّة ومن جملتها هذا القصدي النكر؟!

فهل العلّة في المستغَلّين (بفتح الغين) أم في المستغِلين (بكسرها!)؟ أهي في جباهكم الشريفة أخوتي أم في هذا الجبار العتي؟ أهي في الجوهرة أم في سارقها؟ أهي في القصدية أم في منتحليها؟

أنتم تريدون مني مستحيلاً تسمونه واجبي الشرعي.. والله سبحانه أرأف بعباده وعبيده فكلّفهم بما وسعهم لا بما لا طاقة لهم.. وألاَّ فقد كان يلزمه تعالى أن يوجب على الكلّ الحفاظ على كتابه الشريف، ولمنع كلّ تغيير لمقاصده فيه ولمنع كل تأويلٍ له، ولمنع كل من لا ناقة له ولا جمل بالقول فيه كيفما شاء وأنى شاء.. فهل رأيتم كم مِنْ مَنْ استغلّ كتاب الله لغير مقاصد الله؟، وكيف سفكت بسبب هذا أنهار الدماء؟.. فهل نلوم ربّنا لأنه ترك قرآنه عرضةً لتأويل المبطلين.. أم نلوم القرآن نفسه لأنه قابلٌ لأن يخترقه من يشاء من خلال التأويل.. أم لا بدَّ لنا إن أنصفت ضمائرنا أن نلوم الظالمين المبطلين؟

بالطبع لا مقارنة بين النص القرآني الشريف باعتباره نصاً إلهياً وبين القصدية باعتبارها آلية آتية من نفس هذا النص كسبيلٍ لتدبّره يقابل السبل الجزافية التي أتت على الأخضر واليابس. ولكن الإنصاف يتطلب عدم حصر العلة بذات القصدية.. إذ لولا أنها بهذه الدرجة من الأثر والقوّة لما أقدم البغاة على انتحالها واستغلالها.. ولأنَّ لا جهة تتولّى التنظير لها أو طياعة مؤلفاتها سوى قلّة غير معروفة في الوسط البحريني بالذات، فقد كانت في هذا فرصة لمن يشأ الصيد في الأرض الحرام.. فلوموا الصائد يا أخوان لا المصيد!..

وأقول مكرِّراً: لولا أنها أختكم (ضفاف) حفظها الله التي نبهتني إلى هؤلاء بالدليل الواضح فلربما وجدتم من يبيع القصدية من أشباه الرجال في العراق لهؤلاء السفاريين بالفلس والفلسين.. فهذا ممّا يحسبُ لها عند ربّها إن شاء الله فجزاها الله خير الجزاء وأحسن الجزاء. بل أقول: ليتكم تشهدون الفرق الذي شهدناه بين طريقة عمل هؤلاء السفاريين في تنظيمهم السري وهم ينتشرون كالنار تحت الرماد على مدى أكثر من عقدين من الزمان وتقتربون من واقع الحال لتشهدوا إمكانياتهم الهائلة في ترويج مؤلفاتهم القصدية المشوهة، وبين طريقة عمل نظائرهم في العراق المعروفة هوياتهم والمكشوفة سذاجة أفعالهم من أول لحظة!

أقول: (ليتكم..) لتعرفوا ما الذي حدا بنا إلى أن نركز على فضح انتحالات وتشويه أولئك دون التركيز على غيرهم. فشتان بين قدرة وامكانات وخطورة عمل أولئك مقارنة بصغار ذوي الهيجا المبتدئين الذين لو أدركوا أثر فعل السفاريين، فلربما سارعوا بالتتلمذ على أيديهم!

وهنا أرى من الواجب أن أذكّر المحرر الإسلامي العزيز أن السفارة ما قامت وما أنتشرت عبر انتحال الفكر القصدي كما يظن.. بل أن السفارة إنما انتحلت الفكر القصدي بعد قوةٍ وتمكينٍ من جهات (الفوق الاستكباري) وذلك لتشويهها أولاً بحيث تتمكن ثانياً من عطف نتائج التطبيقات باتجاه الأهداف التي لا تستقيم مع القصدية الحق!

وقد كان على الذين توحّدوا صفاً في مواجهة هؤلاء قبل سنواتٍ عديدةٍ ولفترة قليلةٍ أن ينتبهوا من جديدٍ لظهور السفارة تحت رداء التجديد.. إذ أنهم يتحملون جزءً من المسؤولية، لا بل جلّها بهذا الصمت الغريب..

كأنهم قد قبلوا بما تصفونه أخي المحرر الفاضل بالنجاح السفاري وعليهم التعامل مع واقعٍ لا قبل لهم به. بالطبع فلسنا ندعو الى آليات التكفير.. وإنما الى ممارسة دور فاعلٍ ومستمرٍ في كشف تدليسات هؤلاء وتنبيه وتحذير الأجيال الصاعدة منهم ومن أمثالهم.

وماذا بعد؟

نعم.. هناك الذين قالوا: (أعميانٌ أنتم يا هؤلاء؟ ألا ترون أنها ما كانت جوهرةً ولا درّةً ولكنها حصى؟!!)

ومن هؤلاء: الشيخ الكريم صاحب كراس (اللغة الموحدة في الميزان) والأب الروحي لأحد الأحزاب الكبيرة في العراق الذي لم يكتف ببهت النيلي رحمه الله، بل وتعدّاه إلى وصفٍ غير مقبولٍ لجملةٍ واسعةٍ من (الطبقة الواعية) حسب قول بعض المستفتين في مقدمة هذا الكرّاس. تلك الطبقة التي صدّقت بالنيلي ظهر أنها حسب ما قاله هذا الشيخ: (فسقة مرتزقة مغشوشين)!.. إنما حقّاً لا ندري موقفه الآن فقد سكتَ من بعدها كأن ما كان جرى ما قبلها!

السيد صاحب الكتاب سيء الصيت (محاكمة عالم سبيط النيلي) الذي تمنيتُ لو كان لدي الآن لقمتُ بنشره هنا كاملاً، فهو كافٍ لوحده في تقييم نفسه!

مقامات عظيم القدر السيد محمود الحسني في آلاف البوسترات الحاملة لصورته والموزعة في كافة مدن جنوب العراق وفي مئات اللافتات وكلها بعنوان (السيد الحسني يرد على عالم سبيط).. وقد اتّضح للجميع مدى جمال ردوده!

وغيرهؤلاء كثيرٌ وكثير..

ومع ذلك .. فهؤلاء أشرف مليون مرّةٍ من المنتحلين.. على الأقل فما دامت هي عندهم حصى فما أزهدهم بها!!.

فمرحباً لتشنيعهم بها فهو أروح لنا والله!

سادتي الأعزاء:

هذا هو جوابي.. فإن لم يضع النقاط على الحروف ولم يعجبكم منه شيء.. فلنقل أن القصدية هي فكرة أو نظرية (غير ناضجة)، فهذا الاحتمال هو أدنى ما قد نقبل به إنصافاً لها، فعلى الأقل هو يجدُ فيها ثمرةً ننتظرُ أن تنضج ذات يوم. وإذن فلا بدَّ من الحفاظ عليها ورعايتها وإبعاد الأذى عنها حتى تستوي فتنفعُ.. أم ترون أن لا بدَّ من طرحها وعدم الاعتناء بها؟. لكني أحسب أن السرَّاق والمنتحلين والمستغلِّين أزهدُ بما هو غير ناضجٍ ومرٍّ من سواهم من الشرفاء الذي هم في استعدادٍ لبذل الجهد خالصاً لوجه الله من أجل أن تكون النهاية هي ثمرة كأحلى ما تكون؟!

فليت الشرفاء من علماءنا الأفاضل ــ الذين أقررتم بأن أحداً منهم لم يقم بنقد القصدية إلاَّ عابراً وعلى أضيق نطاق ــ قاموا بدورهم وبذلوا شيئاً من الجهد ليسقطوا ما فيها من زبدٍ إن وجدوه، أو يعينوا على تنضيجها لتنفع الناس. (وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) أم أن قدرها أن تبقى غير ناضجة لينتحلها المنتحلون (كما تقولون!)؟

وبغير هذا..

فلكم حلٌّ وحيدٌ سأرضى به ما دمتم علّقتم الواجب الشرعي ببيان ما تطلبونه عليّ.. وهو حذف الموضوع كاملاً.. ولخاطر عين كل الأحرار الشرفاء فسوف انسحب إلى حيثُ كنتُ مكتفياً ببيع الدفاتر والأقلام في مكتبتي الصغيرة.. إذ لطالما صرخ بي من يعرفني منهم: (ما لكم وللناس!).. منتظراً الآتي الأعظم الذي أسأل الله تعالى أن يجنبني ويلاته التي لم ولن يشهد مثلها الأنام.. ولقد مرَّت ولا زالت عِبَرٌ!

سادتي في هجر:

بصراحةٍ فإني في عجزٍ عن البيان بغير ما قدّمتُ، ولم أدَّعِ ولن يكون لي أن أدعي بأني أمثِّل القصدية بالشكل المطلوب، إني أتحدّث عنها على قدر ما استوعبتُ منها.. والذي يمثلها أفضل تمثيلٍ (من جهة التنظير) هو مؤلفات المرحوم نفسه. غير أننا ما ادّعينا للنظرية الكمال، ولا يعني اعتقادنا بها أنها كاملة وغير قابلة للنقض.. فاحملونا على خيرٍ وليتفضّل السادة العلماء ببيانٍ وافٍ شافٍ ينقضها في أسسها ومبادئها (لا في تطبيقاتها) جملةً وتفصيلاً.. فإن تمّت الحجة علينا بهكذا نقضٍ رجعنا عنها.. وألاَّ فقد سبق لنا وقلنا لمرات أن القصدية هي الدين والدين هو القصدية (بالطبع لا بمعنى القصدية منسوبةً إلى المرحوم النيلي، وإنما بالمعنى الذي بشير إليه الحديث الشريف "إنه لا يسعكم في ما نزل بكم مما لا تعلمون، إلا الكف عنه والتثبت فيه وردّه إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد، ويجلو عنكم فيه العمى" والذي جهد النيلي من أجل بيانه للناس وفق أساليب هذا الزمان ومصطلحاته!).. فهل سنجد من يتفرّغ لهذا أم نبقى نقول للناس جزافاً أنها حصى، أو أنَّ الذنب ذنبها إذ تسرق وتستغلّ!.. فقد مرّت سنوات طوال وصارَ من أمر بعض الأفاضل الأعزاء أن يتأكّد من أننا لا نريد تأسيس

مذهبٍ جديدٍ فنزيد في تشتيت الشيعة إلى مزيد ومزيد!.. بل بعض الأخوة في هجر وجدَ أن لا بأس بوصف القصدية على أنها مذهبٌ، ما دام البعض لم يرتض وصفها بمجرد طريقة.

لقد أكّدنا مراراً وتكراراً وبمختلف الوسائل أن القصدية ليست مذهباً، ولا يمكن لها أن تكون كذلك.. إنها باختصارٍ آليةٌ تدعي التصحيح!.. إنها منهجٌ للتدبّر في كتاب الله يقابل المنهج الاعتباطي الذي عمّ كافة المناهج الأخرى. بالطبع فإنّ هذا لا يعني خلوها هي بالذات من الاعتباط، لأن عمل الاعتباطيين استمرّ دهوراً ودهوراً وجثم على الصدور والضمائر، ولم يخلص منه سوى المعصوم عليه السلام. فلا تتوقعوا أمام هذا الركام أن تجدوا القصدية نقيةً من رأسٍ وخاصّة أن التنظير لها هو من جهدِ رجلٍ واحدٍ تكالبت عليه الشياطين بكل المصائب والويلات التي منها سرقة بناته منه ومنعه من رؤيتهن مدة زادت على 6 سنوات لغاية وفاته.. فوالله ما زلت صفحة الأسى في وجهه نصبَ عيني يوم ذكر لي هذا الأمر قبل رحيله إلى جوار ربّه بقليل.. فرحم الله عالماً العزيز.. رحمك الله يا أبا أحمد.. ولكن عذراً أخي فعلى رغم ما أفضيته لي من حكاياتٍ عجيبةٍ أراها شاخصةً الآن.. على رغم هذا.. فيا أخي.. قد سئمت!

والى هنا انتهى المطاف بهذا الحوار.. وسكتتْ شهرزاد من بعد عن الكلام المباح!

والحمد لله ربّ العالمين.

تمّ الكتاب بتوفيق الله فله الحمد وله الشكر

الفهرس

توطئة أولى 3

المقدمة 7

لماذا هذا الاسم (التجديد)؟ بل التجديد وظيفة مَنْ؟ 13

النظام القرآني أم مفاتيح القرآن؟ 17

الانتحالات في المقدّمة 19

أولاً: يقول المنتحلون في مقدّمة كتابهم 19

ثانياً: في كتاب المفاتح تجد 20

ثالثاً: في كتاب المفاتح وفي نفس المقدّمة تجد بعد الفقرة أعلاه ما يلي 22

الانتحالات في متن الكتاب 24

(إبطال المجازات) 27

القاعدة الأولى: معوقات فهم كتاب الله 27

القاعدة الثانية: الإلمام بعلوم القرآن 46

القاعدة الثالثة: فوقية القرآن عن الإحاطة البشرية 63

القاعدة الرابعة: حكمة النسيج القرآني (نفي الترادف) 67

القاعدة الخامسة: التحرر بكتاب الله من أسر فهم السالفين 91

القاعدة السادسة: الوحدة الموضوعية والسياق القرآني 96

القاعدة السابعة: الضمائر في القرآن 103

القاعدة الثامنة: دلالة اللامذكور 107

القاعدة التاسعة: آحاد كلمات الله 115
القاعدة العاشرة: المنظومية المعرفية القرآنية 117
القاعدة الحادية عشر: القرآن والتطوّر المعرفي والتاريخي 126
القاعدة الثانية عشر: أدوات التعامل مع القرآن 133
القاعدة الثالثة عشر: المفردة القرآنية والمدلول التاريخي 136
القاعدة الرابعة عشر: لغة القرآن حيوية تصويرية 140
القاعدة الخامسة عشر: نسبية الوصول المعرفي 146
القاعدة السادسة عشر: سيادة القرآن على المرويات 142
حول الفصل الثاني: نزهة سريعة عبر أشواك التجدد معطيات ضياع لا معطيات إرشاد 179
الملاحق 196
الملحق (1) نص المقال المنشور في جريدة الوقت البحرينية الحلقة الأولى .. 197
الحلقة الثانية: في رد «القصدية» على مشروع «عندما نطق السراة» 204
الملحق (2) نص المقال المنشور في جريدة الوطن البحرينية رداً على مقالنا السابق 212
الملحق (3) جوابنا على مقالهم السابق منشوراً في شبكة هجر الثقافية مع بعض الحوارات 223
ثانياً: الحوارات التي بشأن الجواب 256